الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد الصديق بن يحي –جيجل

كلية الآداب واللغات الأجنبية قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:.....

عنوان المذكرة/

# العجائبي في جامع البيان في تأويل القرآن للطبري

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبتين:
- ياسمينة شباح
- صورية مرابط

إشراف الأستاذ:
* عمر بوفاس

أعضاء لجنة المناقشة

| | | |
|---|---|---|
| د. رؤوف قماش | جامعة جيجل | رئيسا |
| د. عمر بوفاس | جامعة جيجل | مشرفا |
| د. عبد الفتاح جحيش | جامعة جيجل | ممتحنا |

السنة الجامعية: 2021/2020

بسم الله الرحمن الرحيم

# شكر وعرفان

نحمد الله ونشكر فضله على نعمه علينا وتوفيقه لنا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :" لا يشكر الله من لا يشكر الناس"

أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف عمر بوفاس على صبره ووقوفه معنا من بداية العمل إلى نهايته، فله الشكر على عطائه وثقته التي وضعها في شخصنا وتوجيهاته ومساندته لنا خلال العراقيل التي واجهتنا فبفضل الله ثم جهوده ومساعدته القيمة من خلال البحث معنا على المراجع وسعيه الدائم لإعطائنا أكبر دعم ممكن فجزاه الله عنا خير جزاء

كما لا ننسى الأستاذ الكريم بوكعباش الذي استقبلنا منذ بداية البحث ولم يبخل علينا يوما بالتوجيه وإرشاده لنا لأهم المراجع التي تفيدنا في انجاز البحث فله الشكر الجزيل على مساعدته القيمة.

ونتوجه بالشكر إلى كل من ساعدنا في انجاز هذا العمل خاصة الصديقة الحاضرة معي دائما في مراحل انجاز البحث ريمة مشعر لها الشكر وكامل الامتنان على مساعدتها القيمة في وصولنا إلى هنا.

فجزاكم الله خيرا

# مقـــــدمة

ارتبط العجائبي بتاريخ الإنسانية حيث صار نسقا قائما متعدد الأوجه والتجليات تثيره الدهشات البشرية اللامحدودة تجاه الذات والعوامل الخارجية عبورا عبر الوجدان والعقل بين الوعي واللاوعي يحتمه الخيال الجامح الخلاق حيث يخترق حدود المعقول والمنطقي والتاريخي والواقعي مخضعا كل ما في الوجود من الطبيعي إلى الماورائي لقوة واحدة فقط هي قوة الخيال المبدع المبتكر الذي يجوب الوجود بإحساس مطلق بالحرية التي لا تقيدها قيود يعجن العالم كما يشاء ويصوغ ما يشاء غير خاضع إلا لخياله ولمتطلباته، يغير ما يراه وفق قوانين وحدود في فضاءٍ لا يخضع إلا للخيال، الجامح، الطليق، ولا يخفى على أحد أن التفكير العجائبي مترسخ في البنية الثقافية العربية، والبوابة التي دخل من خلالها العجائبي إلى التراث العربي، فتحها القصاصون الذين كانوا يخترعون الوسائل الحكائية، على القصص التي يقصونها بغية تحقيق الإدهاش والتسلية، فالعجائبي خميرة ممتدة في الشفاهي والكتابي، وفي كل الأجناس التعبيرية من النصوص السردية المتنوعة، كالأخبار، والملاحم، والحكايات، والقصص الخرافية، والأساطير، وصولا إلى القصص الدينية، من القصص القرآني الذي تعرض لتحويل نص كبير نتيجة تأثر الرواة والقصاصين بالثقافة الأجنبية الأخرى، والتي حملوها من الثقافة الفارسية والعراقية وكذا الحيرة التي كانت مصدرا مهما يمد الرواة بالقصص الذي تختلط فيه الأحداث التاريخية، بالأحداث الخيالية، وتتصل به الكائنات العجيبة وكذا بلاد الغساسنة التي احتك بها الرواة وكانت مقصده الشعراء، وهي بيئة غنية بالموروث الأسطوري، والديني، بالإضافة إلى اليمن التي كانت ينبوعا آخر أغرق السرديات العربية بالأساطير والحكايات، و تحتضن اليمن العديد من الثقافات كالوثنية، والمجوسية، والمسيحية، واليهودية، وهذا كان له انعكاسا كبيرا على القصة العربية عامة والدينية بصفة خاصة، خصوصا أنها كانت مصدرا للعديد من الرواة الذين يعتبرون مصدرا من مصادر القصص في العصر الإسلامي،وهما وهب ابن منبه وكعب الأحبار، اللذان تسلل من خلالهما العجيب إلى النص الديني (التفاسير) "الذي خرج عن النطاق الديني المحض،كما تقول الدكتورة وديعة طه نجم" فلم يعد يعكس اتجاها دينيا واحدا بل أصبح يعكس اتجاهات المذاهب المختلفة، أين أصبح القصص الديني يحمل ملامح وخلفيات الديانات

والمعتقدات والأساطير المختلفة، وهذا الأمر أحدث انشقاق بين المفسرين والدارسين الذين قالوا بالشك في المرويات التي تناقلها الرواة في قصص الأنبياء التي داخلها الكثير من الإسرائيليات، والأساطير وأصبح هذا النوع من القصص برغم من قداسته المرتبطة بالنص المقدس (القرآن الكريم)حمالا للعجائبي الذي هيمن عليه الخيال والعالم الغرائبي، وأصبحت على أثره نصوص التفسير مصدرا آخر يتجلى من خلاله العجائبي، انطلاقا من الأخبار، والمرويات التي تتضمنها نصوص التفسير.

والحديث عن العجائبي في نصوص وكتب التفسير يحيلنا إلى أهم وأقدم كتب التفسير التي تعد من أغنى وأثرى الكتب بالعجائبي وهو الكتاب الغني عن التعريف كتاب الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن وقد وقع إختيارنا لهذا الموضوع الموسوم" بالعجائبي في جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري "لعدة أسباب سنحاول الإشارة إليها في بضعة نقاط هي:

في البداية لم يكن هذا العنوان هو موضوعنا إنما أردنا العمل على موضوع مشابه كان موسوم" بالعجائبي في القصص القرآني "رغبة منا في ولوج هذا النوع من الدراسات التي تسلط الضوء على القص القرآني بفضاءاته ومعجزاته، لكن بسبب الإشكالية القائمة حول موضوع العجيب في القرآن، والتي عرفت العديد من التحفظات بسبب قداسة النص الإلهي ورفض الكثير من الباحثين إخضاع النص المقدس الألهي إلى المناهج الإنسانية الموضوعة من قبل البشر، ونتيجة لهذه الإشكالية تم تغيير موضوع بحثنا إلى التفسير باعتباره نصا بشريا وإن كان يرتبط بالنص المقدس، لكنه يبقى نصا من وضع البشر، وبالتالي فقط وجهنا هذا العمل لدراسة العجائبي في جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري أولا :لعدم رغبتنا في الإبتعاد عن النصوص الدينية كثيرا وأيضا للحفاظ على الجزء المتعلق بالعجائبي، قد جمعنا ماده العلمية والمراجع على أساس الموضوع الأول والذي كان قريبا جدا من الموضوع الثاني والذي قمنا بالعمل عليه، فإختيارنا لجامع البيان عن تأويل القرآن يعود في الأساس إلى قرب نصوص التفسير من النص القرآني يعود في الأساس إلى قرب نصوص التفسير من النص القرآني، من حيث تناوله لقصص

الأنبياء والتي يتوفر فيها العجائبي، الذي يمثل محور الدراسة، بما أننا أردنا في جنس العجيب إنطلاقا من رغبتنا الشخصية في إكتشاف هذا النوع من السرد المفعم بالخيال، و الإبداع الغير محدود، فميولنا إلى هذا النوع من الكتابات التي تشمل الأخبار العجيبة والأحداث والشخصيات الخارقة، ونهمنا إلى كل ما هو مدهش مشوق ومثير، كان دافعا لنا في اختيار العجائبي كعنوان للدراسة، بالإضافة إلى الرغبة في الاطلاع على تجليات العجائبي في نصوص التفسير ومحاوله الوصول إلى معرفة أبعاده وتمظهراته في جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لما لهذا الكتاب من قيمة دينية، وعلمية، وأدبية، ولاعتباره من أول الكتب التي تضمنت هذا النوع من الأخبار والقصص العجائبية، وكأي عمل بحثي أو دراسة هناك دائما إشكالية رئيسية تنطلق منها الدراسة وتتفرع منها إشكاليات فرعية، وإشكالية موضوعنا هي :ما هي تجليات العجائبي في جامع البيان عن تاويل آي القرآن؟ وما هي الدلالات والوظائف التي تضمنتها المرويات التي جاءت في هذا التفسير؟ وأيضا إشكالية فرعية هي ما هو العجائبي في الأدب العربي والغربي وتجليات العجائبي في السرد العربي القديم؟.

وللإجابة على هذه الإشكاليات وضعنا خطة عمل مكون من فصلين نظريين وفصل الثالث تطبيقي خصصنا الفصل الأول لتحديد ماهية مصطلح العجائبي لغة واصطلاحا، وتطرقنا فيه أيضا إلى مفهوم الأدب العجائبي في منجز الأدب العربي ومنجز الأدب العربي، أما الفصل الثاني فخصصناه لتجليات العجائبي في السرد العربي القديم من خلال عرض بعض النماذج التي تجلى فيها العجيب في السرود العربية، بداية بالقص القرآني، والحديث الشريف، والحكايات الشعبية، من خلال الأسطورة، والخرافة، والسيرة الشعبية، وكذا القص الصوفي وأدب الرحلة، والتفاسير، من أجل إثبات وجود العجائبي في السرد العربي القديم، والفصل الثالث التطبيقي بدأنا بتوطئة للتعريف بالكاتب أبو جعفر الطبري، تطرقنا فيها لحياته، ومكانته العلمية، وآراء العلماء فيه، وأيضا التعريف بكتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، وإبراز منهجه فيه، ثم قمنا بدراسة تجليات العجائبي في الكتاب

ودراسة تمظهراته من خلال الحدث العجيب، والشخصيات، والزمان، والمكان، والعمل على تحديد الوظائف التي يحققها العجيب في جامع البيان والغاية منها.

وفي الختام أتينا بخاتمة كملخص لهذا العمل عن طريق عرض مجموعة النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة، ثم قائمة المصادر والمراجع التي إعتمدنا عليها في إنجاز هذا البحث.

**المنهج المعتمد:**

لإنجاز هذا العمل إعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي، لأنه الأنسب لتحليل ودراسة الكتاب الذي يتجلى فيه العجائبي، من خلال ما جاء فيه من مرويات، فالمنهج الوصفي يناسب تحديد الشخصيات، والأزمنة، والأحداث، تبعا لتجلى العجيب فيهم، أما التحليلي فاعتمدنا عليه في تحليل مادة العجيب ورصد الأبعاد، والدلالات الدينية،والأدبية، والجمالية للعجيب.

وقد إستعنا في إنجاز هذه المذكرة على جملة من المصادر والمراجع وأهمها:

ـ كتاب جامع البيان عن تأويل القرآن للطبري بنسختيه تحقيق محمود شاكر وأيضا تحقيق عبد الله التركي.

ـ مدخل إلى الأدب العجائبي لتزفيتان تودوروف.

ـ شعرية الرواية الفانتاستيكية لشعيب حليفي.

ـ الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس الهجري ركان الصفدي.

ـ العجيب والغريب في كتب تفسير القرآن تفسير ابن كثير نموذجا لوحيد السعفي.

ـ عجائبية النثر الحكائي أدب المعراج والمناقب، لؤي علي خليل.

ـ تحولات السرد العربي القديم دراسة في الأنساق الثقافية وإشكالية التأويل لضياء الكعبي.

والعديد من الدراسات التي ساعدتنا في انجاز هذا العمل.

وطبعا لم نكن الإستثناء ولم تصادفنا أي عراقيل أثناء إنجاز هذا البحث حيث واجهتنا العديد من الصعوبات والمشكلات، التي كادت أن تجبرنا على التخلي عن الموضوع، وتغيير موضوعنا ثلاث مرات قبل أن يتم إختيار وتأكيد قبول موضوعنا هذا مما جعلنا متأخرين جدا في إنجازه، ولم تنتهي العراقيل والصعوبات،بالإضافة إلى كثرة المراجع وصعوبة تحديد المصطلح مما أثر على تحديد المعلومات الأهم من المهم، نظرا لتعدد الرؤى والدراسات، وكذا عدم تمكننا من الحصول على مادة العجيب في النسخة الأولى، وصعوبة البحث في جميع النسخ لكثرة المحققين الذين قاموا بحذف الجزء المتعلق بالأخبار والقصص والذي يمثل المادة التي نبحث عنها، فإضطررنا لتغيير عنوان في آخر لحظة، ونظرا لضيق الوقت، ونعدام المراجع، وصعوبة البداية من جديد، سواء من الناحية النفسية، أو من ناحية الحصول على المراجع وإعادة العمل إلى نقطة الصفر، مما صعب علينا العمل والتقدم فيه وكنتيجة حتمية لكل ما ذكر عدنا إلى العنوان المتمثل في العجائبي في جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، بعد أن إستطعنا بفضل الله الحصول على نسخ الكتاب بتحقيق عبد الله التركي، وأيضا جزء من تحقيق محمود شاكر، وبعد حصولنا على ما نبحث عنه من أخبار، يتجلى فيها العجائبي عدنا للعمل بالرغم من تأخرنا عن الدفع مع الزملاء، لكن الحصول على النسخ التي تحتوي على العجيب أعاد لنا بعض الأمل، رغم أننا واجهنا مشكلة أخرى بسبب غلق الجامعة، إضطرارا لتفشي فيروس كورونا وخطورة الوضعية الوبائية من جديد، مما أدى إلى عدم تمكننا من العمل سوية، وغياب الأستاذ المشرف زاد من صعوبة الأمر، ورغم كل هذا حاولنا إنهاء هذا البحث والوصول إلى نتيجة من شأنها أن تنسينا كل ما قاسيناه من تعب وضغط نفسي فالحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات.

# الفصل الأول: مدخل إلى الأدب العجائبي

- إشكالية ترجمة مصطلح العجائبي
- مفهوم العجائبي لغة
- مفهوم العجائبي اصطلاحا
- مفهوم الأدب العجائبي
- العجائبي في منجز الأدب العربي
- العجائبي في منجز الأدب الغربي

## إشكالية ترجمة إشكالية ترجمة مصطلح العجائبي.

### مفهوم العجائبي لغة:

مصطلح العجائبي أي العجيب يندرج ضمن الجذر اللغوي (ع.ج.ب) الذي يحيل بذوره على صيغ ومشتقات متنوعة: عجب، عجيب، عجبا، يعجب...

جاء في لسان العرب لابن منظور أن العجب والعجب :إنكار لا يرد عليك لقلة اعتياده...واصل العجب في اللغة، إذا رأى ما ينكره ويقل مثله... والتعجب أن ترى شيء يعجبك تظن انك لم ترى مثله.[1]

فهو يرى أن العجب هو الأمر النادر الحدود الذي يترك في نفس الإنسان الدهشة والاستغراب، لقلة اعتياد الإنسان عليه.

وهذا ما اتفق فيه " الراغب الأصفهاني"مع "ابن منظور"، حيث يعرف العجيب بأنه":التعجب"وهو حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشيء ولهذا قال الحكماء" العجب ما لا يعرف سببه ".[2]

أما في معجم تاج العروس لزبيدي نجد التعاجيب :العجائب لا واحد لها لا من لفظها (...) ويقال رجل تعجابة بالكسر أي ذو أعجيب وهي جمع أعجوبة".[3]

أما الخليل فقد جعل بين العجيب والعجاب فرقا فيما العجيب، فالعجب وأما العجاب فالذي جاور حد العجب مثل الطويل والطوال ."في الخليل بن أحمد الفراهيدي يجاوز بين العجيب والعجاب في كون العجاب أشد مبالغة يبرز عظمة الشيء.

ويتضح لنا من خلال الناحية المعنوية لمادة) عجب

---

[1] جمال الدين ابي الفضل محمد بن مكرم ابن منظورالانصاري الافريقي المصري، تح عامر احمد حيد، دار الكتب العمية، بيروت لبنان ،ماة(عجب)،ط1426،1هـ-2005م،ص531،532.

[2] ضياء الكعبي: السرد العربي القديم الأنساق الثقافية وإشكالية التأويل المؤسسةالعربية للدراسات والنشر لبنان ،ط1 ،2005،ص 35.

[3] محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد المنجم خليل إبراهيم _ السيد محمد محمود بيروت لبنان، ط1 ،1428هـ/2008م،ج1، ص199.

أن معناه :يدعو إلى العجب،" وخرق المألوف والخروج عن العادة، لأنه شيء غير اعتيادي أو حدث ما فوق طبيعي، وهو ما اتفقت عليه معاجم اللغة العربية وفالتعريفات المتنوعة لمفهوم العجيب عند قدماء المعجميين العرب جاءت تحت إطار لغوي دلالي مرتبط ارتباطا معجميا"شبكة دلالية تشير إلى تنوع زاوية النظر إلى حدة المسألة فمنها لغة تحدد موقف الإنسان من العجيب والغريب :الدهشة والانبهار والذهول والاستغراب والحيرة والخوف والعجب والالتباس والفزع".[1]

وهذا يدل على أن السامع ينفعل مما يقرا أو يشاهد أو مما يروي له ويتولد في نفسه المتلقي الاستغراب والدهشة والحيرة والتردد.

أما في المعاجم الحديثة فنذكر ما ورد في معجم محيط المحيط :لبطرس البستاني إن العجب"إنكار ما يرد عليك واستطرافه، وروعة تعتري الإنسان عند استعظام الشيء(...) ، والتعجب إنفعال نفسي عما سببه [2] أي أن العجيب هو كل إنفعال نفسي سببه غير ظاهر يترك في نفس الإنسان الحيرة والانبهار.

كما جاء في المعجم الوسيط أن العجب روعه تؤخذ الإنسان عند إستعظام الشيء يقال هذا أمر عجب، وهذه قصة عجب وعجب عاجب :شديد للمبالغة( ...)أما العجيب ما يدعو إلى العجب.[3]

"في حين يرى جبران مسعود في الرائد أن العجب :إنفعال يصيب المرء عند إستعظام الشيء."[4]

كما ذهب كرم البستاني في قاموس ( المنجد في اللغة والإعلام ) إلى أن :العجب إنكار ما يرد عليك العجب، ج إعجاب :إنفعال نفسي يعترى الإنسان عند إستعظامه أو إستطرافه أو إنكار ما يرد عليه.

---

[1] ضياء الكعبي السرد العربي القديم الأنساق الثقافية وإشكالية التأويل المؤسسة العربية للدراسات والنشر لبنان،ط1، 2005 ص 34.

[2] بطرس البستاني: محيط المحيط قاموس عصري للغةالعربية،تح: محمد عثمان دار الكتب العلمية بيروت،ط1 ،2009، ج6، صفحه 83 – 84.( باب العين).

[3] المعجم الوسيط معجم اللغة العربيةالإدارة العامة للهجات وإحياء التراث مكتبه الشروق الدولية القاهرة، ط4 ،1426هـ/2005 م، ص 584.

[4] نقلا عن: سميرة بن جامع العجائبي في الخيال السردي في الف ليلة وليلة جامعة الحاج لخضر باتنة ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي القديم 2009- 2010 ص 15.

إن مفهوم العجيب في المعاجم العربية الحديثة، غير بعيد عن مفهومه في المعاجم العربية القديمة، فقد حافظ المحدثون على معاني القدماء من حيث معنى الدهشة والحيرة وحصرو مفهوم "العجب "في نطاق الإنفعالات النفسية للإنسان وإستعظامه ما يرد عليه.[1]

ولعل النص القرآني الجليل بإعتباره نصا مقدسا ومعجزا علميا وتشريعا ولغة، قد حفل هو الآخر بكثير من الآيات الكريمة التي إحتوت على مادة عجب، بكل ألوانها وظلالها و أبعدها الأسلوبية، والتي تصب كلها في معنى الإستعظام والإستغراب والإنكار، ومن بين هذه الآيات نذكر قوله عز وجل: «ۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠ »[2] فالعجب هنا المدهش والمذهل والخارق، أي ذلك الأمر الغير مفهوم الغامض الذي يؤدي بنا إلى الانبهار والإعجاب.

وقوله أيضا:أَمۡ « حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبٗا ٩ »[3] أي كانوا آية يعجب بها من علمها، وفيه معنى الإنكار على السائلين عن أصحاب الكهف، كأنه قال :لا تعجبوا من أمرهم ففيما خلقناه من صنوف الخلق ما هو أعجب منه.[4]

كما وردت كلمه عجب في سورة الرعد في قوله تعالى:❁ « وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٥ »[5]، هنا يخاطب الله تعالى محمد صلى الله عليه وسلم، ويعجب من تكذيب الكفار له، والإعجاب من ذلك تكذيبهم وإنكارهم يوم البعث، وقدرة الله تعالى على ذلك..

---

[1] سميرة بن جامع، المرجع السابق، ص15.

[2] سورة الحديد الآية 20

[3] سورة الكهف الآية 9

[4] مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي: فتح الرحمن في تفسير القران،تح: نور الدين طالب دار النوادر،ط1 ،1430 هـ/ 2009 م ،مجلد 4،ص 147.

[5] سورة الرعد الآية 5.

وقوله عز وجل في آية أخرى: « قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴿٧٢﴾ ». [1] قالت يا ويلتي أي يا عجبا، وقال هذه اللفظة عند ورود أمر عظيم ...وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة، وكان بين البشارة والولادة سنة. [2]

حضر مصطلح العجائبي في التراث العربي قديما وحديثا، والتراث الغربي أيضا كما أنه يتقاطع مع عدة مصطلحات عديدة تختلف في التسمية منها العجيب لدى العرب ومصطلح الفانتازيا أو الفانتاستيكية عند الغرب.

وقبل التعرض إلى أهم المعاجم الأجنبية التي تطرقت لمفهوم العجيب فان علينا أن نتتبع بدايات هذا المصطلح في اللغات الأجنبية.

والبداية مع التراث الفرنسي من خلال قواميسه التاريخية، ففي بحث قام به كل من وايمانويل بونجارتن " emmanuéle Boumgartene"وفيليب مينار"Philippe Ménard "في قاموسهما، في أصل كلمة العجائبية fantastique إذ المحا إلى أنها ترجع عن طريق الصفة اللاتينية fantasticus المأخوذة بدورها عن الإغريقية Fhantastikos والتي تخص المخيلة، وتعني في القرن السادس عشر كل ما هو :شارد الذهن وأخرق، وخارق ثم خيالي . [3]

وحسب ما ذهبت إليه الباحثة فاطمة الزهراء عطية فيما سبق، فإن العجب يعرض لنا الواقع بطرق غير متوقعة، فهو يربط الواقع المتناقض بعالم آخر، وهو عالم اللامعقول أو اللاوعي، فالعجائبية حسبه قولها مأخوذة من الإغريقية التي ترتبط بالخيال وكل ما هو غريب وخارق للمألوف.

---

[1] سورة هود الآية 72.

[2] مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي، فتح الرحمان في تفسير القرآن، مج 4، ص 359.

[3] نقلا عن: فاطمة الزهراء عطية:اعجابية وتشكيلها السردي في رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي ومنامات الوهراني، جامعة محمد خيضر بسكرة ،رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه تخصص أدب مغربي وأندلسي 2014 / 2015 ص 12.

وحسب ما ذهبت إليه الخامسة العلاوي أن العجيب في المعاجم الفرنسية لا يخرجنا عن إحدى الدلالتين:

ما يبعد عن مجرى العادي المألوف للأشياء فيبدو معجزا فوق طبيعي.

تدخل وسائط أشخاص فوق طبيعيين (...) في الآثار الأدبية هذا معناها في المعاجم الأحادية اللغة .أما معناها في المعجم الثنائية اللغة، فلا تخرج عن كونها المرادف للمدهش تارة و للخارق الخارج عن العادة تارة أخرى وهي بهذا المعنى لا تغدو أن تكون إلا صدفة للأشياء الجميل.[1]

ونفهم من هذا القول بأن العجائبي يجسد لنا عالمين متناقضين المعقول واللامعقول، فالعجائبي في المعاجم الفرنسية مرادف لكل ما هو مدهش وخارق أي خارج عن المألوف.

أما مفهوم العجيب (fantastique ) فقد ورد في بعض القواميس الأجنبية منها:

فقد ورد في قاموس لاروس الصغير le petit Larousse

ما يلي :العجيب هو الذي يبعد عن ساحة المألوف والعادي للأشياء، أو الذي يظهر فوق طبيعي.

أما بالنسبة لروبار الصغير le petit Robert فالعجيب هو لا يفهم طبيعيا وهو عالم ما فوق طبيعي.

في حين نجد في القاموس الموسوعي dictionnaire Quillet Encyclopédique :أن كل عجيب هو ما يبعد عن ساحة المألوف للأشياء (...) وأديبا توجد وسائط فوق طبيعية مثل :آلهة الأساطير الشياطين والملائكة عالم الجن...[2]

من خلال هذه التعاريف نستنتج أن العجيب إقتصر على كل ما هو فوق طبيعي بمعنى الظواهر الغير متوقعة أو معتادة كالظواهر الغير مألوفة والتي لا يمكن بأي حال من الأحوال إيجاد تفسير لها.

[1] الخامسة علاوي: العجائبية في الرواية الجزائرية، دار التنوير الجزائر، 2013 ،ص 32.

[2] نقلا عن: سميرة بن جامع: العجائبي في المخيال السردي في الف ليلة وليلة جامعه الحاج لخضر باتنة مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي القديم 2009/ 2010 ص 16- 17.

أي أن العجيب ما قل اعتياده وخروجه عن المنطق المألوف أي تكسيره وعدم التصديق به، فهو مناف للعقل وغير عقلاني ولا يصدق.

**العجائب اصطلاحا:**

بعد وقوفنا عند التحديد المعجمي لكلمة" عجيب"،" عجائبي"نتطرق إلى استعراض أهم المفاهيم الاصطلاحية الخاصة بالعجائبي، عند كل من العرب والغرب.

فالقزويني بدوره يقدم لنا تعريفا في غاية الأهمية من خلال كتاب (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات) فهو يحاول أن يجعله أكثر دقة حيث يقول ":العجيب حيرة تعرض الإنسان لقصوره عن معرفة سبب الشيء وعن معرفة تأثره به"[1]فهو هنا قد ربط العجب بالحيرة نتيجة عدم الإلمام بالأسباب التي أدت إلى ظهور هذا الأمر الخارج عن المألوف.

فقد انتشر مصطلح العجائبي في السنين الأخيرة و عرف انتشارا واسعا بين النقاد، دورا معادلا لا مناص منه " للفنتاستيكي (fantastic) باعتباره جنسا أدبيا يملك من المقومات النظرية ومن التمثيلات والتراكم ما يكفي ليستقل بذاته".[2]

هذا التعريف يشبه إلى حد كبير ما جاء به اللغوي الكبير الجرجاني الذي يرى أن "العجب هو تغيير النفس بما خفي بسببه وخرج عن العادة مثله "[3] إذ أن كلاهما يربط العجيب بتضمير الحالة النفسية للإنسان بسبب عدم قدرته على تفسير بعض الأمور التي تصادفه في حياته.

---

[1] القزويني :عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، تح: فاروق سعد، دار الافاق الجديدة، بيروت-_لبنان، ط4، 1981، ص12.

[2] حسين علام: العجائبي في الأدب الدار العربية للعلوم ناشرون لبنان،ط1 ،2010 ص 10.

[3] عبد القاهر الجرجاني: كتاب التعريفات، تح: عبد المنعم الخفي (د.ط) دار الرشاد القاهرة (د.ت) ص 169.

والعجيب أيضا هو" الخيال الخلاق مخترقا حدود المعقول والمنطقي والتاريخ والواقعي، ومخضعا كل ما في الوجود من الطبيعي إلى الماورائي لقوة واحدة فقط :هي قوة الخيال المبدع المبتكر، الذي يحوي الوجود بإحساس مطلق بالحرية المطلقة".[1]

في حين يرى" عبد المالك مرتاض "أن العجائبية مصطلح جديد في اللغة العربية، وفرق بينه وبين مصطلح العجيب فيقول :يعد مصطلح العجائبية في اللغة الجديدة، والعجائبية غير العجيب، وكان هي العجيب، لا يفي بالحاجة، فجيئ به جمعا، وهو يمكن أن يكون ترجمة لمصطلح Merveillaux الفرنسي".[2]

أما" حسين علام "فقد عرف العجائبي من خلال كتابه (العجائب في الأدب)"إنه ذلك النوع من الأدب يقدم لنا كائنات وظواهر فوق طبيعية تتدخل في السير العادي للحياة اليومية سيغير مجراها تماما."[3]

وبهذا فإن مصطلح العجائبي في نظر البعض من اقدر المصطلحات تعبيرا عن المفهوم المقصود، أي كل ما يتعلق بالأدب الذي يهتم بموضوعات و اللاواقع واللامالوف.

ويمكن أن تندرج في مجال العجيب حكايات الخلق الأولى في الكتب المقدسة بالإضافة إلى المعجزات، والكرامات التي يشكل ما فوق الطبيعي إطارا لها كما انه يمكن أن تدخل في مجال العجيب القصص التمثيلية Allégorieذات الطابع التحليلي والحكايات على لسان الحيوان، les gable وحكايات الجنيات الخيرات les contès defèsوحكايات في الأشباح la fontemes بالإضافة إلى ما يعرف بأدب الخيال العلمي fiction la sciences.

[1] كمال ابو ذيب: الأدب العجائبي والعالم الغرائب دار الساقي،ط1، 2007 ص8.

[2] حسين علام: العجائبي في الأدب، ص 32.

[3] حسين علام: العجائبي في الأدب، ص 32 – 33.

وأن تودورف Ezetan Todorv ينظر إليه هنا من ناحية وظيفة بحث حيث يرى أن القارئ إذا قرر أن الظواهر خلال الواقع فإننا نبقى في العجيب فقد حفر مصطلح العجائبي في التراث العربي قديما وحديثا والتراث الغربي.

أما عند الغرب فقد ظهرت تعريفات عديدة للعجائبي في مؤلفات صدرت حديثا في فرنسا نذكر أهمها:

يكتب كاستيكس في الحكاية العجائبية في فرنسا:( ينهار...العجائبي...بالتدخل عنيف للسير الخفيف في إطار احياة الواقعية.)

ويكتب لويس فاكس في الفن والأدب العجائبيان :

يحب القص العجائبي...أن يقدم لنا بشرا مثلنا، فيما يقطنون العالم الذي نوجد فيه، إذ بهم فجأة يوضعون في حفرة المستخلق عن التفسير.

ويكتب روجيه كايوا في قلب العجائبي (إنما العجائبي كله قطيعه أو تصدم للنظام المعترف به .واقتحام من اللامقبول لصميم الشعرية اليومية التي لا تتبدل).[1]

رغم تعدد المصطلحات والتباس المفاهيم بين الدارسين والنقاد نلاحظ أن معظم التعاريف التي قدمها هؤلاء تصب في معنى واحد وإن اختلفت في تسميتها، فالعجائبي هو تلك الحيرة والتردد أو الاندهاش الذي يعتري الشخص أمام أمر غير مألوف.

ومن خلال هذه التعريفات نلاحظ أنها تشترك جميعا في فكرة واحدة تشير إلى اختراق الظواهر السرية الغامضة تعريف" تزفتيان تدورف" من أبرز التعاريف الخاصة بالعجائب وأهمها حيث" يكمن العجائبي عنده في

[1] تودوروف تزفيتان: مدخل إلى الأدب العجائبي، تر: الصديق بوعلام دار الكلام الرباط، ط1، 1993، ص 49 - 50.

تفسير التردد والحيرة التي تحصل للشخص جراء ظاهرة أو حادثة غريبة تتخذ مظهرا يتجاوز الطبيعي تفسيرا يعتمد على العلل فوق الطبيعية البعيدة عن الواقعي والعقلاني."[1]

كما يعرفه في موضع آخر أنه "التردد الذي يحسه كائن لا يعرف غير القوانين الطبيعية في ما يواجه حدثا فوق طبيع"[2]. بمعنى أنه ثمة قوانين جديدة غير مألوفة يجب قبولها في تفسير الظواهر الطبيعية.

فتودروف يعتبر عنصر التردد مركزا محوريا في فهم العجائبي ":فالكائن هو ذاكرة لها قوانين طبيعية، يتواجد فجأة، أمام حدث غير طبيعي، فيكون هناك تصادم بين الطبيعي وغير طبيعي...بما يؤجج الصدام ويطبعه بطابع التردد [3] وهنا نفهم حقيقة المتلقي للعجائبي، حيث يجد نفسه أمام صبغة عجائبية غير مألوفة، وهو ما يثير لديه حالة شعورية خاصة ليستطيعه.

فقد حاول تدوروف أن يبين لنا طبيعة العجائبي وحقيقته التي تعتمد على عدة مكونات كالحيرة والتردد، إلا أنه يضع شروطا لتحققه، وهي ثلاثة أولها وثالثها إلزاميان، وثانيها اختياري وهي:

**الشرط الأول** :لا بد أن يحمل النص القارئ على اعتبار عالم الشخصيات كما لو أنهم أشخاص أحياء، وعلى التردد بين تفسير طبيعي وتفسير فوق طبيعي للأحداث المروية) و يندرج هذا الشرط في المظهر اللفظي.(...)

**الشرط الثاني** :قد يكون هذا التردد محسوسا بالمثل، من طرف شخصية، فيكون دور القارئ مفوضا إليها، ويمكن بذلك أن يكون التردد واحدة من موضوعات الأثر، مما يجعل القارئ في حالة قراءة ساذجة، يتعاطى مع الشخصية) ويندرج هذا الشرط في :المظهر التركيبي من جهة :وجود نمط شكلي للوحدات (ردود الفعل ) الراجعة إلى حكم الشخصيات على الأحداث(...)

---

[1] المرجع نفسه، ص92.

[2] المرجع نفسه، ص18.

[3] شعيب خليفي: الرواية الفنتاستيكية دار الأمان المغرب منشورات الاختلاف الجزائر الدار العربية للعلوم ناشرون،ط1، 1430 هـ/ 2009 م، ص 31.

**الشرط الثالث** :ضرورة اختيار القارئ لطريقة خاصة في القراءة من بين عدة أشكال ومستويات، تعبر- أي طريقة -عن موقف نوعي يقصي التأويلين الاليغوري ( المجازي ) والشعري ( الحرفي أي غير التمثيلي أو المرجع )، ويستغرق العجائبي زمن التردد."[1]

وبالتالي إذا تحقق التردد عند القارئ وخلق فيه الخوف والرعب وقبل القوانين الجديدة تحققت بذلك العجائبية عند تدوروف لأنه لما يقول التردد هو الذي يمد العجائبية بالحياة[2] فقد حاول تدوروف من خلال تعريفه أن يبين لنا طبيعة العجائبي وحقيقته التي تعتمد وتؤسس على عدة مكونات كالحيرة والتردد والدهشة والاستغراب . وما يتجاوز حدود المألوف والمنطق والعمل.

فالعجائبي مرهون بلحظات الحيرة والتردد، فإذا زالت هذه اللحظات تلاشى العجائبي، وأصبح ينتمي إلى جنس العجيب والغريب.

## مفهوم الأدب العجائبي:

### الأدب العجائبي:

يعتبر الأدب العجائبي مجالا خصبا لوجود المغامرات الخارقة، والعجائب المثيرة إذ يحمل القارئ إلى عوالم غريبة وجديدة، يمتزج فيها الواقع بالخيال والحقيقة بالسحر، ليفتح له بذلك منافذ يطل من خلالها على واقع جديد يلتقي فيه العجيب والغريب والخارق.

فالأدب العجائبي يجمع الخيال الخلاق مخترقا حدود المنطقي والتاريخي والواقعي ومخضعا كل ما في الوجود، من الطبيعي إلى الماورائي لقوة واحدة فقط :هي قوة الخيال المبدع المبتكر.[3]

---

[1] تزفيتيان تدوروف: مدخل إلى الأدب العجائبي، ص18-19.

[2] المرجع نفسه، ص 45.

[3] كمال أبو ديب: الأدب العجائبي والعالم الغرائبي، ص8.

فإذا كان الأدب الواقعي يحاكي الواقع بطرق مختلفة فالأدب العجائبي أو الفانتاستيكي يتجاوز الواقع والمنطق إلى اللاواقع واللاعقل، عبر خاصيتي التعجب والتدهيش، وبهذا يكون العجائبي نمطا استثنائيا في العمل الأدبي، حيث ينقل الخيال من البسيط إلى المركب أو خيال مضاعف.

وهذا ما يفسر دخول العجائبي ضمن حقل الأدبية، لما يمتلكه من خيال مفرط، استطاع أن يؤسس مصطلحا آخر، اكتسى أيضا طابعا خاصا ضمن حيزه الأدبي، أنه الفنتاستيك، هذا المصطلح الذي جاء يفرض تقنيات، تؤسس للعلمية السردية، التي يتم من خلالها الإبلاغ عن جملة من عناصرها الأدبية التي تعتمد" على تكسير الرتابة التي هيمنت على ذاتية القارئ طويلا، بخلق غرابة مقلقة، والنفاد إلى الشعور، والذاكرة، وتفنيتها إلى ذرات مركبة، وذلك عن طريق إبراز ما هو فوق طبيعي، وتقليص دور ما هو طبيعي.[1]

وإذا نظرنا إلى العجائبي من ناحية توظيفه في النصوص الأدبية، فإننا نجد اختلافا واضحا في مفهومه وطريقة صياغته، فبعض القصص أو الروايات تستلهم العجائبي في كافة أجزائها، مثل القصص ذات الطابع الشجي، أو الأسطوري كألف ليلة وليلة، ومما يندرج في السياق العجائبي كذلك رسالة التوابع والزوابع، لابن شهيد أو رسالة الغفران لأبي العلاء المعري.

وبهذا نستنتج أن العجائبية هي أكثر تعبيرا في الدراسة والتطبيق عن غيرها من المصطلحات، وهذا ما أكده الأستاذ علي خليل حيث قال ":انتهينا إلى العجائبي هو اقدر المصطلحات تعبيرا عن المفهوم المقصود، وقد صدرت الدراسة في الكتاب مستقل بعيون تلقي العجائبي في النقد العربي الحديث المصطلح و المفهوم".[2]

[1] شعيب حليفي: شعرية الرواية الفنتاستيكية،ص89.

[2] لؤي علي خليل :عجائبية النثر الحكائي في أدب المعراج والمناقب10.

## العجائبي في منجز الأدب الغربي:

يمكن النظر إلى بذور العجائبي في الإرث الأدبي الغربي من خلال تلك المقاربات المتناولة له وعلى رأسها مؤلف جورج كاستيكس .George castax .le conte fantastique en franceالذي كان أول من تعرض للعجائبي بالتعريف حيث أنه"يتميز بالإقحام اللفظ السري الغامض في إطار الحياة اليومية الواقعية."وهو في مؤلف آخر يراه"الشكل الجوهري الذي يأخذه العجيب عندما يتدخل التخيل في تحويل فكرة منطقية إلى أسطورة، مستدعيا الأشباح التي يصادفها أثناء تشرده المنعزل ."ووسائل نشوئه كثيرة منها"الحلم والوسواس والخوف، والندم، وتقريع الضمير، وشدة التهيج العصبي والعقلي، وكل حالة مرضية ."ومقاربة" جورج كاستيكس " للعجائبي كجنس أدبي، تمت تاريخيا من خلال معالجته لبعض الأعمال الكلاسيكية الأولى التي تضمنت شيئا من الخارق والفوق طبيعي .كالشيطان العاشق لجاك كازوت، والوحش الأخضر لجراردي نزفال، و ساعة الموت لابال هيجو".[1]

وكل هذه الأعمال ظل يحدد بها تاريخيا ظهور العجائبي في فرنسا حيث ترجمها هوفمان إلى الفرنسية سنة 1828م.[2]

هذا عن المقاربة التاريخية للعجائبي، أما المقاربة الدلالية، فقد قطعت عن رصد الموضوعات المتكررة والمتطورة

هذا عن المقاربة التاريخية للعجائبي، أما المقاربة الدلالية، فقد قطعت عن رصد الموضوعات المتكررة والمتطورة

للعجائبي باعتباره نسجا نصيا وهذا في معظم الحكايات العجائبية، وقد حصرت هذه التيمات( الموضوعات) في ستة أشكال هي:

[1] شعيب حليفي: شعرية الروايةالفنتاستيكية دار الأمان المغرب منشورات الاختلاف الجزائر الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2009 ص 29.

[2] شعيب حليفي: شعرية الروايةالفنتاستيكية،المرجع السابق، ص 29.

الجن والأشباح الموت ومصاصو الدماء، المرأة والحب الغول، عالم الحلم وعلاقته مع عالم الحقيقة، التحولات الطارئة في الفضاء الزمن.[1]

يحمل التراث الغربي بين طياته منذ القدم متنا زاخرا بأنواع مختلفة من العجيب والغريب، جسدتها كتب تراثية استثمرها كتاب اليوم في خلق نوع مميز من الكتابات العجائبية.

حيث تعود بداية ظهور العجائبي في التراث الغربي إلى عصور ضاربة في القدم بدءا من الإغريق، الذين كانوا مولعين بحكاية الحيوان وغرائبه، خاصة الأفعى التي حكوا عن"القوة الغريبة التي تمتلكها إلى درجة أنها تفهم لغة الحيوان وأنها عرفت العشب الذي يمنح الخلود."[2] إضافة إلى القصص الحيوانية المليئة بالأساطير التي تحمل الكثير من أشكال العجائبي، بالإضافة إلى أهم وأشهر ملحمتين إغريقيتين هما "الإلياذة "و"الأوديسا " المبنيتين على الخارق والعجيب والشخصيات الإلهية والنصف الإلهية..

أما العجائبي عند الرومان فهو يظهر من خلال حكاياتهم أشهرها :حكايات الحب والروح، التي رواها لنا "ابوليوس"، بعدها جاءت "الإلياذة "ل "فرجيل "التي حملت بدورها صورا للعجائبي.

ولا ننسى أعمال" دانتي "في العصر الوسيط، أهمها :مؤلفه الكوميديا الإلهية الذي يعتبر سجل في ثقافة العصور الوسطى بأكملها، بحيث نجد أن مؤلفه هذا عبارة عن استشراف يقودنا إلى حياة ما بعد الموت، بكل ما تحمله من تصورات خيالية عن مصائر البشر.

أما بدايات العجائبي في عصر النهضة، نجد كتابات الفرنسي برولت شارل خاصة قصص أو حكايات الزمن الماضي 1967 التي فتحت له باب الشهرة مثل ما فتحت الطريق سالكة أمام حكايات الجن"[3] إضافة إلى

---

[1] المرجع نفسه، ص29.

[2] فرديش فون ديرلاين: الحكاية الخرافية،(نشأتها مناهج دراستها فنيمتها)،تر: نبيلةإبراهيم ،دارغريب،(د.ط) القاهرة (د.ت) ص 180.

[3] محمد اركون: الفكر الاسلامي ،قراءة علمية، المركز الثقافي العربي، مركز الانتماء القومي، بيروت، ص45.

مجهودات الأخوين الألمانيين جريم عام 1812 حيث قاما بكتابة ونشر كتب متنوعة تحمل من القصص الشعبي وتفسيرات الميثولوجيا، وخاصة أن مؤلفاتهما مليئة بما هو غريب عجيب ومدهش.

ويندرج ضمن هذا المضمار كل من روجي كايوا ولوي فاكس، وقد ارتبطا بالجانب الدلالي وثيقا من خلال أعمالهما الأولى والمتأخرة، أما" ارنيبسير Iréne Bessiere" فانها تحاول أن تؤسس تعريفا أكثر تماسكا يعتمد على القول بأن الفانتاستيك ينبني على المفارقة والتناقض، وسط انسجام اللغوي أسلوبي.[1]

وجاءت مقاربات أخرى تجعل من العجائبي "مظهرا من مظاهر الذهنية البدائية ولذلك فهو دائم الارتباط بالمعتقدات والطقوس الميثولوجية[2]"وهذا ما تنادي به المقاربة الأنثروبولوجية.

وتعتبر المقاربة النفسية من المقاربات المنظرة للعجائبي، عندما تنظر له على أساس أنه" شكل من الأشكال التي تترجم الصراع بين رغبات الإنسان والوسائل التي يحقق بها هذه الرغبات".[3]

أما المقاربة البنيوية فيحمل لوائها تودروف الذي يعد تصوره لجنس العجائبي واحدا من أدق التعريفات لضبط حدود هذا المصطلح إجرائيا صاحب التصور المبني على التردد والحيرة(...) تردد كائن لا يعرف سوى القوانين الطبيعية أمام حادث له صبغة فوق طبيعية.[4]

## العجائبي في منجز الأدب الغربي:

لقد عرف الأدب العربي القديم محاولات إبداعية عديدة، تنهل من معين الخيال العجائبي :كالشعر الجاهلي، الذي اعتبر ناظمه )الشاعر (إنسانا غير عادي، فهو يتواطأ مع الجن تلميحا أو تصريحا في أجواء ملأ بالرهبة والغموض، نسبه الشعر إلى الجن ألهمت النقاد أن يذكروا العلاقة بين الشعر والسحر، ويمكن عدها "تعبيرا

[1] شعيب حليفي: لمرجع نفسه، ص 30.

[2] المرجع نفسه، ص 30.

[3] المرجع نفسه ،ص 37.

[4] المرجع نفسه، ص 29- 30.

عن مستوى معرفي في فهم الحياة والكون وسائر مظاهرها، فهو ذو ارتباط أبعد غورا بما في طبيعة العمل الشعري من صبغة عجائبية وإعجازية أضفاها الخيال الجمعي علي.[1]

فقد ورد في بعض كتب الأدب ودواوين الشعراء نماذج من الشعر الذي يرغم فيه القائل مصاحبة الجن، بل أن بعضهم يزعم أنه دعا الجن إلى طعامه وجاذبهم طرفا من الحديث:

اتوناري فقلت :منون؟قالوا:

سراة الجن، قلت عموا ظلاما

فقلت إلى الطعام فقال منهم

زعيم :نحسد الإنس الطعام

لقد فصلتم بالأكل فينا

ولكن ذاك يعقبكم سقاما[2]

وكثيرا ما نجد بعض الشعراء زعموا مصاحبه الجن والغيلان إياهم، فقد ورد في بعض:

ولي صاحب من بني الشيطان

فطورا أقول وطورا هوه.[3]

وبعيدا عن عجائبية الشعر العربي، ندخل عوالم النثر، لنجد قوالب بنيت لغويا بين المألوف واللامألوف، وبين أدوات طبيعية وأخرى غير طبيعية، غيبية.

إذ يستمد العجائبي وجوده الفني من سردنا العربي في حكايات وأخبار ومن الملل والنحل والمعتقدات الشعبية، ومن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والنصوص التي تحوي عوالم الحشر الأخروي بطريقة عجائبية

[1] عبد الله سليم الرشيد: شعر الجن في التراث العربي مظاهر قضايا ودلالات الرياض، ط1، 1433هـ/ 2012م، ص119.

[2] المرجع نفسه، ص 120.

[3] عبد الله سليم الرشيد: شعر الجن في التراث العربي مظاهر قضايا ودلالات الرياض، المرجع السابق، ص14.

وعليه فإن" :توظيف الخطاب العجائبي القائم على الغرابة والتردد بين الواقع والخيال بها من النماذج التراثية الكثيرة الوفيرة، ما يجعل المتلقي فوق الواقع، يرتاد حقولا مجهولة منها :كتاب الف ليلة وليلة، الشهير بالليالي العربية، وهي عبارة عن مجموعة متنوعة من القصص الشعبية تحتوي شخصيات أدبية خيالية، تمثل بيئات شتى خيالية وواقعية، وهكذا تتوالد الحكايات في الليالي تحت نسق البداية من العجيب إلى الأعجب، إلى الأكثر عجبا، تحت إطار حكاية إطارية كبرى تحوي مجموعة كبيرة من الحكايات العجيبة.[1]

كما اجتهدت السيرة الشعبية العربية في توظيف عناصر أسطورية، تقرب عالم الخيال لنفسك، خاصة توظيف الخوارق، والوصف الخيالي للبطل...

كما أنها تتقاطع مع أنواع سردية أخرى، كالحكاية العجيبة، أو الحكاية الشعبية "وتشكل النبوءة المركزية، أساسا تقوم عليه السير الشعبية، وهي التي تولِد مختلف وظائف الحكي في هذه السير " [2] السير " ومن أشهر هذه السير نذكر :سيرة الزير سالم، علي الزئبق، سيف بن ذي يزن، سيرة الأميرة ذات الهمة، سيرة بني هلال، سيرة الظاهر بيبرس....

إن قصص الحيوان من أقدم أنواع القص فهو ":يحفل بأجواء أسطورية، وأعمال خارقة ومواقف بطولية، ذات شخصيات هي خليط من الإنس والجن "[3] فضلا عن" :الإمتاع الفني الذي تحققه غرائبية قصص الحيوان وعجائبها وقدرتها على الإدهاش والإثارة، ومن ثم الوصول إلى قلب القارئ وعقله معا".[4]

[1] نقلا عن: فاطمة الزهراء عطية: العجائبية وتشكلها السردي في رسالة التوابع والزوابع، ص 20.

[2] ضياء الكعبي: السرد العربي القديم الأنساق الثقافية وإشكالية التأويل، ص 178.

[3] ينظر: محمد عبد السلام كفافي:الأدب المقارن دراسات في نظريةالأدب والشعر القصصي ص،309 - 312.

[4] قحطان صالح قحطان: الأدب والسياسة قراءة في قصة النملة والثعلب سهل بن هارون ،ت 215 هـ، ص 77.

أما المنامات فهي إرث بشري عريق، وحاضر ممتد بحضور الإنسان، تتكهنه أسرار عجائبية، كما عرض تودوروف في شرح المصطلح للأسرار الخفية الممتزجة بالواقع، والامتزاج بالخارق، واقتحام اللامعقول [1] وعلى ضوء ذلك فهو نص رمزي عجائبي مشبع الدلالات، أجوائه مشحونة بالفينة والفكر على حد سواء تغزي بتوظيفها واستدعائها [2] وبهذا يمكننا الاستدلال برأي "السعيد يقطين "الذي يؤكد انتماء المنام للنص العجائب بدليل أنه:[3]

نص من طبيعة مختلفة.

يتخذ لذلك نسقا مختلفا يجعله أقرب للنص العجائبي، أو اللغوي الذي يولد الحيرة.

هو نص مستعص على الفهم والتأويل نقول :المنام حالة نعيشها جميعا لكن تعاملنا معها، كل منا حسب ثقافته، وفهمه حينها يدخل الإنسان حالة حلمية مشبعة الدلالات،).... الحالم (من ثقافته وحياته وتركيبته .....الأمر الذي يقرر فيه الإنسان، كون أحلامه حاملة بعدين :أحدهما واقعي، وثانيهما لا واقعي، وهذا يقرر وقوفه أمام عوالم مجهولة، يحاول ربطها بالواقع، بغية تفسيرها.

أما الرحلات فتتموضع في الأدب لتنفرد من العجائب بمادتها الموغلة في القدم وتيماتها الحاملة للعديد من بذور العجائبي، أهمها بذرة ارتياد حقول مجهولة المعالم، تسودها روح العجيب والغريب .فهي تقدم لنا لوحه يمتزج فيها الواقعي بالمتخيل"فتوضع المخيلة في واجهة سافرة مع خطاب آخر واقعي، بنشد المطلق، في حين ينسج محكي

[1] عبد الناصر: المنامات في الموروثالحكائي العربي دراسة في النص التكاثر البنية السردية المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،ط 1، 2008 ص 369.

[2] المرجع نفسه، ص 11.

[3] سعيد يقطين: من قضايا التلقي والتأويل تلقي الأحلاموتأويلها في الثقافة العربية،منشورات كليةالآدابوالعلوم الإنسانية الرباط المملكة المغربية، 1995 ص 145.

المخيلة، نسبة المطلق، والقدرة على الإدهاش، والتغلغل في ثنايا الواقع في لحظاته الثلاث :الماضي والحاضر والمستقبل، كما أن ما تنسجه المخيلة هو إفراز موسوم بسمات فيها شيء من الغموض والفوق طبيعي.[1]

فتراثنا السردي العربي، مليء بهذا النوع من الرحلات، ومن أشهر هذه الرحلات التي سجلها التاريخ العربي : رحلة ابن بطوطة )تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي، رسالة الغفران للمعري (فهي رحله خياليه موصوفة، بأنها وصف رحلة يقوم بها بطلها، ابن القارح، من الأرض إلى السماء، أو من العالم الدنيوي إلى العالم الأخروي، بقسيمه الاثنين الجنة والنار، أنها إذن، وصف لرحلة عودة[2] أما رسالة البسطامي أو ما يعرف بمعراج يزيد البسطامي فهو "وصف لرحله يقوم بها أنار السارد في حلمه، إلى العالم الآخر، حيث الحضرة الإلهية ...هذه أول قصة مكتوبة تنتمي إلى الحقل الأدبي يتأثر فيها صاحبها بقصة معراج الرسول".[3]

ومن بين الرحلات المشهورة التي تتميز بأحداثها وشخصياتها الخيالية العجيبة رسالة الطير لابن سينا والذي يقوم بسرد رحلته التي يطير فيها مع الطيور إلى حيث يوجد الملك العظيم، ملك الطيور، الذي يشير على المستوى الرمزي إلى الله، ويصف فيها الصعاب التي تتخطاها الطيور (...) تتمكن من قطع المقامات أو الجبال الثمانية التي تقابلها السماوات الثمانية في معراج الرسول لتصل في آخر الأمر كلها سليمة إلى حيث يوجد الملك العظيم.

[1] شعيب حليفي: شعرية الفانتاستيك، ص111 - 112.

[2] عبد المالك قجور: القصة ودلالتها في رسالة الغفران و حي بن يقظان، ص 78.

[3] مرجع نفسه، ص 84.

# الفصل الثاني تجليات العجائبي في السرد العربي القديم العجائبي في القص الديني

- القرآن الكريم
- الحديث الشريف
- العجائبي في الحكاية الشعبية
- العجائبي في الأسطورة
- العجائبي في الخرافة
- العجائبي في السيرة الشعبية
- العجائبي في القص الصوفي
- العجائبي في أدب الرحلة
- العجائبي في التفاسير

## العجائبي في القص الديني

### القرآن الكريم

القرآن الكريم محور القص الديني، فقد جاء مصطلح (القص) ومشتقاته في أربع وعشرين آية، وجاء مصطلح (الحديث) بمعنى القص والإخبار في نحو عشرين آية، وكثيرا ما جاء مصطلح النبأ مرادفا للقص أو مقترنا به وهناك (سورة القصص) التي أصلت هذا المصطلح في الثقافة العربية الإسلامية، إضافة إلى سور متعددة جاءت مقترنة بأسماء الأنبياء الذين تسرد أنباءهم، ونجد د محمد رجب النجار، يحدد الوحدات السردية القرآنية في أربعة مجالات : المجال الأنبيائي) سيرة الأنبياء والرسل (والمجال التاريخي) أصحاب الكهف، ذو القرنين، سد مأرب، قارون (والمجال الغيبي أو الميثي) الجن والملائكة (والمجال الرمزي أو التمثيلي) عالم الحيوان :الغراب والطير والبقرة)،[1] وجاء في القرآن الكريم ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ سورة يوسف الآية3 ، ﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا﴾ الأعراف الآية101 ، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ يوسف الآية ۝111، ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ الكهف الآية.13

ويتميز القصص القرآني بخصوصية عن غيره من القصص حيث يتفرد بشموليته وتجاوزه للزمان والمكان وصلاحيته المطلقة كونه يؤطر التجربة الإنسانية عامة ويكيفها باعتباره موجها للخلق أجمعين، كما أنه بعيد عن التزييف والتحريف والزيادة والنقصان الذي طال المتون السردية القديمة، والكتب المقدسة حيث قال تعالى﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ سورة الحجر الآية.9

[1] ركان الصفدي: الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس الهجري، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2011، ص45.

الحديث عن القص القرآني يأخذنا إلى نسيجه القصصي وأحداثه التي ورد فيها ذكر معجزات الرسل والأنبياء والتي تأتي بصورة مدهشة، تنم عن أحداث خارقة فوق قدرة البشر وقد ذكر هذا تحت مصطلح العجيب وجاء في مواضيع عدة في آيات مختلفة، وجاء مصطلح العجيب ليؤكد على مدى إعجاز النص القرآني ويعبر عن وقوع حدث خارق سبب إندهاش المتلقي وهذا لعجزه عن الفهم لحظة وقوع الأمر الخارق) المعجزة (وذكر هذا في سورة هود ﴿أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ هود الآية.72

وقد حاول بعض الدارسين البحث عن حقيقة تجلي العجيب في القصص القرآني انطلاقا من الوقائع والأحداث التي تم ذكرها في النص القرآني والتي تنم عن القدرة الخارقة وتثير الرهبة والدهشة وهذه المحاولة في ربط القصص القرآني بالعجيب عرفت معارضة من الدارسين والباحثين ممن رفضوا إخضاع النص القرآني لمناهج التحليل التي وضعها الإنسان[1] الإنسان من هنا كان الإختلاف حول إمكانية التحدث عن العجيب في القرآن الكريم؟ فنجد القدماء يستصعبون هذا الأمر نظرا لخصوصية النص القرآني، لذا فإنه من الصعب الحديث عن العجيب في القرآن لأن هذا يقودنا بالضرورة إلى إخضاع النص القرآني لمناهج التحليل اللساني والأدبي التي إنطلقت من النصوص المكتوبة في حين أن القرآن أولا وقبل كل شيء لغة دينية قبل أن يكون نصًا مكتوبا بالإضافة إلى أن إرساء مفهوم العجائبية على الوهم والخيال أودى بعدم مقاربة النص القرآني عجائبيا خشية أن يتهم من يقاربه بأنه يصف القرآن بالخيال.

هذا التحفظ حول القول بعجائبية النص القرآني عرف نوعا من التعديل عند الدراسين المحدثين الذين حاولوا التوفيق بين قدسية هذا النص السماوي وبين حقيقة ثراءه بالعجيب وقد قدم محمد آركون دراسته للفكر

[1] جديد خيرة: العجابتي في الرواية المغاربية المعاصرة روايات الميلودي شغمومأنموذجا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي نظام ل.م.د، تخصص الرواية المغاربية والنقد الجديد، قسم اللغة العربية، جامعة آل ال البيت ص26.

الإسلامي تناول فيها عدة جوانب ومنها موضوع العجيب وقد إنطلق من سؤال مفاده هل يمكن التحدث عن العجيب في القرآن؟

وتوصل إلى جواب مفاده إثبات وجود العجيب في القرآن إذ يقول :"بالإضافة إلى العجيب المدهش أو الساحر الخلاب ذي الأصل العلمي، عجيب مدهش أدبي وعجيب مدهش ديني مرتبط بالفكر الأسطوري المعروف عند المؤلفين العرب وهو يتغذى من أمثلة عديدة يثير القرآن بواسطتها عجيب الإنسان ودهشته أمام عجائب الخلق"[1].

محمد آركون فرق بين ثلاث أنواع للعجيب، العجيب العلمي والعجيب الأدبي والعجيب الديني، الملازم للفكر، العجيب الديني إنما" يرتبط هنا بإلحاحات العقل الذي يعترف بعدم قدرته الاحالية على القبض على سلسلة الأسباب والنتائج، ذلك أنه كلما راح العقل يفكر بالعالم وظواهره المحسومة كلما آدرك مدى عجزه وقصوره، وهذا ما يؤدي إلى إحداث الإنفعال أو الإنبهار الديني في الوسط الديني"[2].

"وهذا يسمح لنا بأن نتحدث عن العجيب المدهش في القرآن، ضمن مقياس أننا نمتلك فيه بعض الإشارات والدلائل التي تمكننا من استكشاف الوجود الإحتمالي لطراز معين من العجيب المده"[3].

إعتراف محمد آركون بوجود العجيب في القرآن لم يمنعه من الإعتراف بصعوبة إخضاع النص القرآني لمناهج التحليل، حيث يقول» :لكن تظل أمامنا صعوبة كبرى لا يمكن تجاهلها، تتلخص هذه الصعوبة في أننا عندما نتحدث عن العجيب المدهش في القرآن فإن ذلك يعني أننا سنطبق عليه بالضرورة مناهج التحليل الآلسني والأدبي التي تم إنجازها اعتمادا على النصوص المكتوبة في حين أن القرآن – تماما كالتوراة والإنجيل –هو أولا لغة دينية،

[1] محمد آركون: الفكر الإسلامي قراءة علمية، المركز الثقافي العربي، مركز الإنتماء القومي، بيروت، الطبعة 2، 1996، ص 189.

[2] المرجع نفسه. 189.

[3] المرجع نفسه.189.

وإذا ما قصدنا باللغة الدينية "جمل التظاهرات والصياغات المعبرة للروح الدينية، من حركات وكلام وشعائر ثم فيما بعد من كتابة، التي تترجم الروح بواسطتها علاقتها المطلقة بالمطلق الذي تعيشه فإنه ينبغي لنا أن نعترف بأنه لا تزال تنقصنا الآلسنيات وعلم الدلالة الملائم (...) إن اللغة الدينية تدعونا لأن نقرأ ونعيش هذه العلاقة التي تتجاوزنا والتي تربط بين الأسطورة- المقدس -الخارق للطبيعة - العجيب المدهش - الغيب الخاص بالكائن المطلق."[1]

وتتغير وظيفة العجيب المدهش وطبيعته بحسب ما إذا المتلقي رجلا مؤمنا أو غير مؤمن، فنجد أن العجيب المدهش عند رجل الإيمان ليس إلا تجليا للعقل العلوي المتعالي الذي لا يمكن سبره (ما يسميه المسلمون بالغيب) إن له إذن وظيفة معرفية قصوى وكبرى لا يحاط بها«، ويؤسس القرآن لعلاقة تحسس وعي أو إدراك، مبينة على قبول العجيب المدهش، أي الجميل والخير واللانهائي بصفته مكانا أو فضاء لإنبثاق الشخص الإلهي».[2]

وتختلف تجربة الإنسان غير المؤمن الذي يرى أن العجيب المدهش ليس إلا تنازلا مؤقتا يقدمه العقل للإثارات والظواهر الخيالية ».[3]

إن التحدث عن العجيب المدهش في النص القرآني لابد أن ينطلق من معرفة مسبقة لطبيعة هذا النص المقدس وبالتالي يجب أن نميز بين نوعين من العجيب من حيث وظائفه وما يؤديه ويرمي إليه من غايات وأهداف، فهناك العجيب الذي يتجلى في النص السماوي المقدس والذي يحيلنا على ما هو قدسي، سماوي، متعال، وكامل، وهناك العجيب المتجلى في النص الأدبي وهو ما يحيل على ما هو دنيوي، إنسي أرضي، ناقص وهذا ما يتفق مع ما أسماه آركون بالعجيب الديني والعجيب الأدبي وهما يختلفان من حيث الأصل والوظيفة.

[1] محمد أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، المرجع نفسه، ص 190.

[2] المرجع نفسه، ص 191.

[3] المرجع نفسه.191.

ولم تقتصر محاولة إثبات وجود العجيب في القرآن الكريم على محمد آركون، حيث حاول بعض الباحثين دراسة موضوع العجيب في القرآن، إنطلاقا من القرآن نفسه الذي أورد لفظة عجيب للإشارة إلى القرآن عموما في قوله تعالى ﴿اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ الجن الآية1 [1]، دلالة على مفهوم الدهشة والحيرة والإستغراب أو الإشارة إلى بعض الحوادث منها قوله تعالى :﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ ق الآية 2[2]، وقوله تعالى :﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (61) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (62) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا(63) ﴾ الكهف[3] الآية 63/62، وقد جاء في بعض التفاسير حول معنى هذه الآيات أن ذلك الحوت الذي كان يتزودان منه، لما وصلا إلى ذلك المكان،) مجمع البحرين(، أصابه بلل البحر، فانسرب بإذن الله في البحر، وصار مع حيواناته حيا [4]، ، ولما انسرب في البحر، ودخل فيه، كان ذلك من العجائب، وقال المفسرون :كان ذلك المسلك للحوت سربا، ولموسى وفتاه عجبا.

فالتعجب هنا يقع بسبب وقوع حدث غير طبيعي خارج هذا المألوف مثل عودة الحوت إلى الحياة بعد الموت، وهذا ما يعد حدثا خارقا، مما يدخله ضمن العجائبي الذي عرفه عبد المالك مرتاض" بأنه كل كتابة تشتمل على كائنات أو ظواهر خارقة"،[5] "، والقص القرآني حافل بكل ما يثير الدهشة والحيرة، سواء بحضور لافت للحيوان واضطلاعه بتسيير الأحداث، وحواره المدهش وكذلك الجن والشياطين والمارد، وبأحداث يتداخل

[1] سورة الجن، الآية 1.

[2] سورة ق، الآية 2.

[3] سورة الكهف، الآية (61، 62، 63).

[4] عبد الرحمان بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، المكتبة التوفيقية، ط2، مصر القاهرة، 2015،ص511.

[5] نقلا عن حيدر عبد عودة الصرخي: الحقيقة العجائبية والغرائبية في القص القرآني سليمان عليه السلام أنموذجا، رسالة مكملة للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية، عمادة الدراسات العليا، جامعة آل البيت،دون جامعة، 2015/2014، ص 13.

فيها المعقول واللامعقول وفق عقل المتلقي، أو بخرقها لبنيتي الزمان والمكان، لاسيما في قصة سليمان عليه السلام، وقصة موسى عليه السلام وقصة أصحاب الكهف وغيرها من القصص، وهذا النوع من السرد المدهش والغريب، المشبع بالعجيب والسحر يشد المتلقي لهذا الإعجاز الرباني، وتعد معجزات الأنبياء من الأفعال الخارقة التي تؤصل للعجائبي في القرآن الكريم، حيث يعرف جميل صليبا الخارق" بأنه كل ما خالف العادة، وخرق نظام الطبيعة، كالمعجزات والكرامات ".[1]

ومن بين الدارسين الذين ذهبوا إلى عجائبية القرآن الكريم للباحثة سناء شعلان" التي عدت الروافد الدينية أول روافد العجائبي والغرائبي في السرد القصصي الحديث، وكانت قصص الأنبياء وما أجرى الله تعالى على أيديهم من معجزات أول شاهد تستحضره، وذكرت أولا :الروافد الدينية، فالديانات سماوية كانت أم أرضية، تحفل بقصص الأنبياء والصالحين الذين أجرى الله على أيديهم الخوارق والمعجزات تحفل بتصوير عوالم فوق إدراكية كعوالم الجنة والنار والبرزخ والتناسخ والأرواح.[2]

وفي الإتجاه نفسه ذهبت وداد مكي حسين في بحثها الموسوم بعجائبية الرؤيا عند يوسف عليه السلام حيث قالت : "ونحن نرى أن النص القرآني، من قبل الولوج فيه، نصا عجائبيا بالنسبة إلى الإنسان... أما سورة يوسف عليه السلام فإنها تنطوي على أشكال عجائبية عدة منها...القميص وإلقاؤه على يعقوب عليه السلام وإرتداده بصيرا".[3]

---

[1] نقلا عن حيدر الصرخي: الحقيقة العجائبية والغرائبية في القص القرآني " سليمان عليه السلام أنموذجا، رسالة مكملة للحصول على درجة الماجيستير في اللغة العربية جامعة آل البيت ص13.

[2] سناء كامل شعلان: السرد الغرائبي والعجائبي في الرواية والقصة القصيرة في الأردن، نادي الجسرة الثقافي والإجتماعي، ط2،قطر،د.س، ص 36، مكتبة نور لتحميل الكتب https://www.noot-book.com.

[3] حيدر عبد عودة الصرخي: الحقيقة العجائبية والغرائبية، مرجع سابق، ص 14.

وكذلك عشتار داود محمد في بحثه الموسوم بتجليات السرد في الخطاب العجائبي، قصة سليمان عليه السلام أنموذجا، فقد صرح بأن:" الجانب الإعجازي في القرآن الكريم، لا يرتكز فقط على الجانب الشكلي اللغوي، كما أعتيد التعاطي معه، وإنما على الجانب المضموني أيضا، عبر موضوعاته التي تجسد المعجزات الإلهية التي تدخل في نطاق العجائبي، بالنسبة إلى العقل الإنساني المحدود بما اعتاد عليه"[1]

أما شعيب حليفي " فقد ذهب إلى التمثيل بأمثلة من القرآن الكريم في معرض حديثه عن العجائبي، إذ يقول» أما العجائبي فهو حدوث أحداث وبروز ظواهر غير طبيعية مثل تكلم الحيوانات، ونوم أهل الكهف لزمن طويل والطيران في السماء والمشي على الماء بالنسبة لموسى عليه السلام .[2]

ومن أمثلة الظواهر غير الطبيعية في القصص القرآنية ما تم ذكره في قصة مريم من أحداث غير طبيعية مثل حقيقة حملها بدون علاقة مباشرة مع رجل فهي كانت غير متزوجة ولا هي بإمرأة فاحش إنما هي طاهرة عفيفة فكيف لها أن تحمل وهذا هو الحدث الخارق المدهش أنا يكون لها ولد ولم يمسسها بشرً ولم تكن بغياً، حمل مريم بنت عمران معجزة عجيبة أمام عقل بشري لم يسبق له وأن رأى حمل إمرأة دون أية علاقة مع رجل وهذا المعلوم والطبيعي وحدوث العكس يجعل المتلقي في حالة إنكار وإستغراب ودهشة وقد بدى هذا على مريم عندما نبأها الملك الكريم بعيسى حيث جاء في هذا الحدث قوله تعالى» :فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا (18) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (19) قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا«(20) مريم الآية(17/20) .[3]

[1] حيدر عبد عودة الصرخي: الحقيقة العجائبية والغرائبية، مرجع سابق، ص15.
[2] المرجع نفسه.ص15.
[3] سورة مريم، الآية (20/17).

تظهر لنا الآيات الكريمة كيف أن مريم شعرت بالدهشة أمام ما جاء به الملك الكريم وهذا واضح من خلال تساؤلها » أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا»[1] بَغِيًّا « فهذا حدث عجيب مدهش يجعل المتلقي في حيرة إذ أن العجيب عند تودروف هو" فعل يدخل المرء في حيرة فهم حقيقة الحدث "ومن الأحداث العجائبية التي تضمنتها قصة مريم هي ولادة عيسى عليه السلام وجاء في كتابه العزيز ذكر لولادة عيسى »فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا (23) فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (25) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا (26)».[2]

– مريم التي تعاني آلام المخاض والولادة المرأة الضعيفة تهز جذع النخلة، أليس بفعل عجيب بالنسبة لوضعها فعل كهذا لا يتوقع من مريم التي من المفروض حسب ما هو معروف والطبيعي أن تكون ضعيفة لا قدرة لها على فعل كهذا وكما أن العجيب أن تأمر بهز جذع النخلة في حين أن يد مريم لا تستطيع أن تمسك جدع نخلة لتهزه سواء إذا ما نظرنا إلى جذع النخلة الضخم والكبير مقارنة مع كف مريم وبالنظر إلى قوة مريم التي لا تكفي لهزه فالنخيل معروفة بالطول وجذعها كبيرة لا تهزها قوة البشر إنما المعلوم أن الإنسان يتسلقها للوصول إلى التمر، فما بالك أن يتوقع من إمرأة تصارع مخاض الولادة وحيدة وهنا تكمن حقيقة الحدث العجيب، إن المتلقي يصاب بالدهشة لحقيقة قدرة مريم على هز جذع النخلة، وتستمر الأحداث غير الطبيعية المثيرة للإستغراب والدهشة، حدث تكلم عيسى عليه السلام وهو حديث الولادة، فالطبيعي أن الطفل الرضيع لا يتكلم بل ليس بقدرته إصدار أصوات أخرى غير البكاء، فما بالك أن يتكلم هذا الرضيع حديث الولادة بل ويخاطب قومه مدافعا عن أمه :أنه نبي الله وهذا الحدث غير المتوقع من رضيع أمر عجيب، مدهش، خارق، مثير للغرابة في أنفس المتلقين وباعث على

[1] سورة مريم، الآية (20).

[2] سورة مريم، الآية (26/23).

التساؤل، لذا فهو فعل عجيب بالنسبة لبشر عاجزين وجاء في قوله تعالى في سورة مريم» فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (27) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (28) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30)».[1]

ثم إن حقيقة ولادة عيسى عليه السلام وموته أو إرتقائه إلى السماء تبقى أحداث عجائبية نظرا للأثر الذي تتركه لدى المتلقي.

وفي قصص أخرى لمعجزات الأنبياء نجد ثراءها بالسرد العجيب لأحداث وشخصيات عجيبة فموسى شق البحر بعصاه وإبراهيم خرج من النار سليما فالنار تحولت عن طبيعتها فهي تحرق وحارة في حين نجدها أصبحت بردا وسلاما على إبراهيم، وغذاء نبي الله موسى والغلام المتمثل في الحوت عاد للحياة واتخذ سبيله في البحر بعد أن كان مجهزا للأكل وإرتقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء في حادثة الإسراء والمعراج.

وأيضا تسخير الإنسان لمخلوقات ليست من طبيعته فمثلا من قصص التسخير، تسخير الريح، القطر والجن.

« وَلِسُلَيْمانَ الرِّيحَ غُدُوُّها شَهْرٌ وَرَواحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنا نُذِقْهُ مِنْ عَذابِ السَّعِيرِ (12) يَعْمَلُونَ لَهُ ما يَشاء مِنْ مَحارِيبَ وَتَماثِيلَ وَجِفانٍ كَالْجَوابِ وَقُدُورٍ راسِياتٍ اعْمَلُوا آلَ داوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ »(13) سبأ الآية (12/13) .[2]

[1] سورة مريم، الآية (30/27).

[2] سورة سبأ، الآية (13/12).

والحضور الفعلي للجن في السرد القصصي هو الذي يفعل منطق العجائبي، فهم وإن لم يدخلوا السرد القصصي من خلال حوار ورد عنهم، أو أخذوا على عاتقهم مهمة تشكيل الأحداث مباشرة، لكن بوصفهم – خصوصا الجن – شخصيات ذات سمات خارقة يعترف بها المتلقي ويتقبلها، وهنا يكون خيال المتلقي" هو المحرك الفاعل في بناء أجواء وفضاءات وتشكيل مسرح الأحداث وتلاحم الشخصيات، وبالتالي يكون المتلقي إزاء" عالم عجائبي خيالي بفضاءاته غير المحدودة بمقاييس الهندسة والعقل المنطق للمكان، أي أنه فضاء مجازي يتخطى الطبيعة إلى اجواء ميثافيزيقية لا يمكن تصورها أو تخيلها بقواعد المرئي والإدراك البصري.

## العجائبي في الحديث النبوي الشريف الإسراء والمعراج:

لقد حفلت كتب السنة المطهرة والسيرة العطرة بقصة الإسراء والمعراج فقد وردت عن أكثر من 20 صحابيا من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغت حد التواتر فقد روى حديث الإسراء والمعراج عن الرسول أصحابه كثر منهم من سكه بطوله ومنهم من اختصاره على ما وقع في المسانيد [...] أحاديث الإسراء أجمع عليه المسلمون وأعرض عنه الزنادقة والملحدون[1].

فمعجزة الإسراء تطلق على الرحلة العجيبة التي أرسل فيها الله تعالى نبيه المصطفى على البراق مع جبريل عليه السلام من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالقدس في جزء من الليل.

فالإسراء كذبت ثبوتا قطعيا بنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية حيث يكون سبحانه وتعالى سُبۡحَٰنَ " :

ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١ "الإسراء الآية.01

[1] وحيد العسفي: العجيب والغريب في كتب تفسير القرآن، الأوائل للنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ط1، 2006،ص539.

أما ثبوته في السنة فقد وردت عن احدى صحيح ومتكاترة يكون الإمام القرطبي ثبت الإسراء في جميع مصنفات الحديد وروى عن الصحابة في كل أقطار الإسلام فهو متواصل بهذا الوجه وذكر النقاش ضمن رواية عشرين صحابيا.[1]

أما المعراج فهو ثابت بالأحاديث الصحيحة الواردة في الإسراء والتي رواها الثقات الصدور، وتلقتها الأمة بالقبول ولو لم يكن إلا اتفاق الشيخين البخاري ومسلم عن تخريجهما في صحيحهما لكفى.

في معجزة المعراج تطلق على رحلة أخرى لكنها أعجب من الأولى فإذا كانت الأولى في دائرة الأرض أي رحلة أرضية فإن الثانية قد اخترقت السماوات السبع وصولا إلى سدرة المنتهى.

لكن المعراج لم يثبت صراحة بالقرآن الكريم وإنما أشير إليه في سورة النجم من خلال قوله تعالى ":ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى 14 عندها جنة المأوى 15 ما يغشى 16 ما زاغ البصر وما طغى 17 لقد رأى من آيات ربه الكبرى."18

ولا يعني عدم ثبوت المعراج بالنص الصريح قلة الإيمان به فالإيمان بالإسراء توطئة للايمان بالمعراج.

ولم تكن رحلة الإسراء والمعراج حدثا عاديا بل كانت معجزة إلاهية عجيبة أيد الله بها نبيه محمد عليه الصلاه والسلام ونصر بها دعوته فهي معجزة عظيمة عجيبة غريبة يعجز عنها البشر.

والذي كان البراق من أعجاييها فهو "دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل فإن اسمه مغرق في عالم السحر وفعله عجيب وخارق للعادة ومزاياه على محمد كثيرة فهذه الدابة قائمة على ثنائية حداها الواقع والخيال"[2]. "فقد كانت البراق دابة يركبها الأنبياء لكنها هذه البراق التي ركبها النبي عليه الصلاة والسلام فريدة من نوعها فقط كانت تدعى بالبوراق العجيب وقد وصفها وحيد العسفي في كتابه) العجيب والغريب في كتب تفسير القرآن (

[1] معجزتا الاسراء و المعراج( نظرات تحليلية): https//www.alkhaleeg;ae
17يوليو2009 دخول 8جوان2021 19:45.

[2] وحيد العسفي: العجيب والغريب في كتب تفسير القرآن، ص543.

"فلفظ البراق ذو وقع عجيب وحقل معنوي زاخر بالصور، فيه ترى تآلف الضوء واللمعان والحسن والضياء والبشر والطلاقة وفيه تشعر بالسرعة الخارقة للعادة"[1] أي أن سرعتها سرعة غير طبيعية وغير مألوفة حيث أنها استطاعت اختراق السماوات في وقت وجيز وهذا في ليلة واحدة.

كما ذكر أنه كان من سرعته ما يثير العجب حتى أنه يضع حافرة في كل خطوة عند منتهى البصر وكان دائما مستوى السير فلا يعلو ولا يهبط حتى إذا قابلته عقبة مرتفعة كسرته رجلاه الأماميتان وطالت الخلفيتان[2] " وقد كان جبريل عليه السلام مرافقا لرسول الله عليه الصلاة والسلام في هذه الرحلة فهو يطير بجناحيه وهذا ما يؤكد سرعة الرحلة حيث أنها وقعت في ليلة واحدة ولهذه المعجزة الكبرى) [3]الإسراء والمعراج( حكايات عجيبة، فهي قصة تبدأ في بعض روايات البخاري، وبعد روايات غيره، بشق الصدر، ومن ذلك ما يرويه أحمد بسنده عن أنس بن مالك قال كان أبي بن كعب يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال" :فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ بحكمة وإيمانا فأفرغهما في صدري ثم أطبقه (...)وفي حديث آخر أن النبي صلى الله عليه وسلم حدثه عن ليلة أسرى به قال بينما أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعا إذ أتاني آت فقد قال وسمعته يقول فشق ما بين هذه إلى هذه فقلت للجارود وهو إلى جنبي ما يعني به قال من ثغرة نحره إلى شعره وسمعته يقول من قصة إلى شعرته فاستخرج قلبي ثم خشية ثم أعيد ثم أتيت بدابة..."[4]

[1] وحيد العسفي: العجيب والغريب في كتب تفسير القرآن، المرجع السابق، ص544.

[2] من قصص القران الكريم، البراق العجيب، وقصة ا لاسراء، والمعراج، (11-30)، http//akhbarak-net

[3] الاسراء والمعراج: الامام الدكتور عبد الحليم محمود، دار المعارف،ط11،القاهرة،2004،ص70.

[4] نقلا عن :روائد عزات محمد الضابوس: قضايا العقيدة، في قصة الاسراء والمعراج، واثرها على الفرد والمجتمع،درجةماجيستار في العقيدة والادب ، الجامعة الاسلامية غزة، 2015، ص161.

وملك الموت عزرائيل الذي يسكن السماء الرابعة صفات غريبة وغير مألوفة فكل ورد وصفه بملك عظيم بلغت قدماه تخوم الأرض السابعة ورأسه تحت العرش[1] وهذا ما يندرج ضمن المدهش والعجائبي والمتخيل.

وقد اشتملت رحلة الإسراء والمعراج على العديد من المعجزات والأحداث العجيبة يمكننا تلخيصها في ما يلي: [2]

- الإعداد لهذه الرحلة المباركة.
- الرسول صلى الله عليه وسلم يمتطي البراق.
- الرسول صلى الله عليه وسلم في المسجد الأقصى حيث دخل فصلى فيه ركعتين وخرج فجاءه جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاختار اللبن فقال له جبريل هديت للفطرة ولو أخذت الخمر غوت أمتك.
- العروج إلى السماء أخذ جبريل بيد الرسول صلى الله عليه وسلم وعرج به إلى السماء فلما جاء السماء الدنيا قال خازينها افتح قال هل معك أحد؟قال نعم .معي محمد صلى الله عليه وسلم ففتح فعلا النبي السماء الدنيا.
- الرسول يجتاز السماوات :اجتيازه صلى الله عليه وسلم باك السماوات والتقاءه بكل من يحي، عيسى، يوسف، إدريس، هارون، موسى، إبراهيم عليهم السلام.
- وصول النبي صلى الله عليه وسلم إلى سدرة المنتهى :فإذا ثمرها مثل قلال هجروادا ورقها آذان الفيلة فما من أحد يستطيع أن يصفها من حسنها.
- الرسول صلى الله عليه وسلم يسمع صريف الأقلام :أي أقلام القدر وعشي السدرة وما يعيشها من فراش من ذهب وراء جبريل وله ستمائة جناح...
- النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة :فيها جنابذ اللؤلؤ وترابها المسك.(...)
- رؤية الكوثر :رأى نهرا في الجنة حافتاه خيام اللؤلؤ...

---

1

[2] اروائد عزات محمد الضابوس: مرجع سابق، ص179.

- رؤية البار بأمه في الجنة.
- رؤية قصر عمر في الجنة قصرا أبيض بفنائه جارية.
- رؤية صلى الله عليه وسلم لدرجتين في الجنة :يزيد بن عمر وبن نفيل.
- رؤية صلى الله عليه وسلم لجعفر بن أبي طالب يطير في الجنة :رءاه ملكا يطير بجناحين.
- رأيته صلى الله عليه وسلم لمالك خازن النار
- رأيته للمغتابين في النار.
- رؤيته عاقر ناقة صالح :رآه رجل أحمر أزرق جعدا شعثا.
- رؤيته الدجال :وهو أكثر هجام إحدى عينيه قائمة كأنها كوكب.
- رؤيته للواقعون في أعراض الناس وهم في النار :لهم أظافر من نحاس يخشمون بها وجوههم وصدورهم.
- رؤيته لخطباء السوء :تقرض شفاههم بمقاريض من نار.
- رؤيته لعمر بن عامر الخزامي :وهو يجر أمعاءه في النار.
- افتراض الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في السماوات العلا.
- رجوع النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس ومعه الأنبياء صلاته بهم.
- مروره بقافلة قريش :فقرة جميل بيت المقدس وركب البركة ثم عاد إلى مكة.

ومن خلال رصد أهم الأحداث الواردة في قصة الإسراء والمعراج نستنتج أن معظم أحداثها عجائبية غريبة بالإضافة إلى الكائنات المذكورة التي تجمع بين المألوف والغير عادي في وصف كائن خارق وعجيب وتفسيرها يتجاوز المستوى الطبيعي الغير عادي.

وهذا ما يوضح لنا أن رحلة الإسراء والمعراج تعتبر أعجب رحلة في التاريخ ارتبطت بالنبي صلى الله عليه وسلم وردت في الحديث وأكدتها أحاديث نبوية شريفة وخاصة أننا في الواقع أمام حدث مهيب رأينا فيه الكائنات

تلوى والأخرى ولا نكاد تنتقط الأنفاس إلا ونرى معجزة جديدة فلم يكن الإنبهار في معجزة هائلة فقط إنما كان في تكثيف عدد هائل من المعجزات في ليلة واحدة اشتملت بدورها على أحداث عجائبية غير مألوفة.

أما حديث الجساسة فهو حديث عظيم ومشهور أخرجه الإمام مسلم ورواته فاطمة بنت قيس رضي الله عنها من فم الرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث الناس عن الدجال كما سمعه من تميم الذي كان نصرانيا ثم جاء فأسلم وحدث النبي صلى الله عليه وسلم بحديث يوافق ما كان يحدث النبي أصحابه عن الدجال وصفته وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر وهو يضحك ثم قال أتدرون لم جمعتكم؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ولكن جمعتكم لأن تميم الداري كان رجل نصرانيا فجاء فبايع وأسلم وحدثني حديثا موافقة الذي كنت أحدثكم عن المسيح الدجال حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجل من لخم وجدام فلعب بهم الموج شهرا في البحر، ثم ارفئوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس فجلس في أقرب السفينة فدخل الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر، لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقالوا ويلك ما أنت؟فقالت أنا الجساسة فقالوا وما الجساسة قالت أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدبر فإنه إلى خبركم بالأشواق قال لما سمت لنا رجلا فرقنا منها أن تكون شيطانة قال فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدبر فإذا فيه أعظم إنسان عيناه قط خلقا وأشده وثاقا مجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد(...) [1]

فهذا الحديث يتوفر على مجموعة من العجائب منها وصف الجساسة وما لها من صفات غريبة وغير طبيعية.

[1] https://www.islamweb.net

ت دخول:5جوان 2021 16:00. نشر هذا المقال يوم 2006/10/18

## العجائبي في الحكاية الشعبية

حافلة هي الساحة الأدبية بذلك النوع من الكتابات السردية التي تجمع بين المتناقضات، بين ما هو واقع ملموس وبين ما هو خيال يطفوا في عالم الأوهام والتخيلات خاصة الكتابات السردية التي تندرج ضمن الموروث القصصي الشعبي الذي يعد بمثابة أرضية خصبة برز خلالها السرد الغامض، السحري، العجيب، والمدهش، هذا السرد الذي ينبع من عمق الثقافة الشعبية هذه الأخيرة التي تمتد عبر عصور عديدة وأزمنة مديدة حيث لا يمكن نسبها إلى مكان معين أو زمن معين أو حتى حقل معين لأنها تتخذ مادتها من الواقع النفسي، والإجتماعي، الذي تعيشه الأفراد، والذي يعاد تداوله ويعاد إنتاجه عن طريق راوي شعبي، كل حسب رؤيته الخاصة وحسب بعده العقائدي، والديني، لذا فإن القصص الشعبية تعد غنية بالخيال، فالموروث القصصي الشعبي كان ينقل شفاهيا قبل التدوين، لذا فإن هذه القصص يدخل عليها خيال الراوي أو القاص الشعبي، الذي يلجأ إلى إضفاء نوع من الغرابة والسحر على القصة التي يرويها من جانب لتحقيق غرض الإثارة والمتعة فالنفس تميل ويشدها كل غريب مدهش يسحر اللب ويخطف الجوارح بالإضافة إلى جانب آخر يتعلق أساسا بضياع العديد من التفاصيل والحقائق المرتبطة بالقصص الشعبية المتوارثة فيلجأ الراوي الشعبي إلى ملأ الفراغات وما هو مبهم ومجهول بأسلوبه وهذا الأمر جعل من القص الشعبي ساحة الخيال اللامحدود، الذي لا يحده شرط وتتداخل فيه حياة الشعوب الملأ بالتجارب الإنسانية والمعتقدات التي تعد قاعدة لمثل هذا النوع من القصص التي تعبر عن ما هو واقع، وعن ما هو غير واقعي، وعن ما هو طبيعي، وما هو ميتافيزيقي، فوق طبيعي يخرق قانون الواقع، ويخرج عن المألوف ويتعارض مع كل ما هو منطقي، فلا تحكمه قوانين العقل، والمنطق، من هنا يمكن القول بأن » :معظم النصوص السردية العربية تمتاز بأنها نصوص مفتوحة ثرية، تدعو قارئها إلى الإسهام في إنتاجها والإضافة إلى دلالاتها، إنها نصوص

حمالة أوجه تمتلئ بالثغارات تأخذ فعلا تأويليا لما لا نهاية له من أفعال القراءة ».[1] ينبني على توظيف بنيات مختلفة، من هنا يرتبط القصص الشعبي في الكثير من أنواعه بالأدب العجائبي ».

إن هذا الربط بين القصص الشعبي والأدب العجائبي اعتمد على ما يحمله القص الشعبي من بنيات يعجز القارئ على تفسير أحداثها، بسبب ما يلفها وما يحيط بها من غموض، » فهي تكتظ بالخوارق في عوالم جديدة لا مكانة فيها للعقل ولا سلطان فيها للمنطق، إنها سلطان كله للخيال المجنح يحلق في أقصى حدود، لكن فضاء دونما حدود».[2]« هذا ما يجعلنا نقول بأن السرد أو القص الشعبي يكسر كل ما هو طبيعي بنقيضه، فهو ينطلق من اللامعقول والمعقول معا مازجا بينهما لخلط الأحداث وتحقيق الدهشة، والإثارة والتردد في كل من الحكاية الخرافية، أو الحكاية السحرية والسير الشعبية، ولعل ما يميز القصص الشعبي هو فوضى المصطلحات وتداخل العديد من المسميات تحت هذا المصطلح، حيث نجد العديد منها تقابل مفهوما واحدا وبعضها يعني أنواعا أخرى ولكن كلها تنصب في القصص الشعبي ولعل أهم هذه المصطلحات، الحكاية الخرافية، والخرافة، وحكاية الخوارق، وحكاية الجان، وحكاية العفاريت، والحكاية الفولكلورية، والحكاية العجيبة، والحكاية السحرية، وحكايات الحيوان، وخرافات الحيوان، والحكاية الشعبية، والسيرة الشعبية، والحكاية المرحة، وحكاية الشطار والخرافة الشعبية، وحكاية البطولة وغيرها «من هنا يمكننا القول أن القص الشعبي يشمل السردية الشعبية جميعها بلا استثناء ».[3]

## العجائبي في الأسطورة:

اهتم الإنسان منذ بدايته بحسب ما وصل إلينا من سجلات التاريخ القديم بتفسير أمرين هامين هما وجود الكون وعلاقة الإنسان بالطبيعة وما ورائه،ا وهذان الأمران هما اللذان ساهما بشكل كبير في ظهور الأسطورة التي

[1] بشرى مرواني وخولة زواوي: عجائبية السرد في كتاب مائة لية وليلة، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص أدب عربي قديم، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2019/2018، ص31.

[2] جديد خيرة: العجائبي في الرواية المغاربية العاصرة، ص67.

[3] جديد خيرة: العجائبي في الرواية المغاربية المعاصرة رواية الميلودي شغموم أنموذجا، مرجع سابق، ص64.

تقسم إلى ":الأساطير المتعلقة بنسب الآلهة، والأساطير المتعلقة بنشأة الكون[1] "فتلك التي ارتبطت بنسب الآلهة، كان الإنسان يبحث من خلالها عن تفسير لوجوده وعلاقته بما حوله، وإيجاد أسبابه وجوده ووجود غيره، أما الأخرى فهي التي راح الإنسان يبحث من خلالها عن القضايا الكبرى، ذات الصلة بالكون كتعاقب الليل والنهار، وحركات النجوم...

فكلمة أسطورة تنتمي إلى حقل دلالي قريب من كلمات القصص، الخرافة...

الأسطورة إذا قصة مغطاة الخوارق والعجائب" إذ كان قديما يلجأ إليها بحثا عن أسئلة لم يركن إلى إجابة لها تشفي تحيره وتحتمي بها من قوى الطبيعة التي أذهلت فكره"[2] "أن الأسطورة تبدأ بسؤال وتنتهي بجواب، فهي تحكي قصة كائنات وتحمل بين طياتها بذور العجائبي من خلال ما هو ميتافيزيقي غيبي والكائنات الخارقة فوق البشرية التي تتصف بالآلهة وأنصاف الآلهة، مثل أساطير بدء الخلق" أسطورة آدم"أساطير خلق الكون ...وغيرها من الأساطير التي تؤشر على شيء غير موجود لكن العجائبي "يمتص هذا الشيء عن طريق تضخيمه أو التحجيم منه"[3] حتى يحقق التردد فترتبط الأسطورة بذلك مع كل ما هو عجائبي حيث تحقق الأسطورة العديد من الماسوخات والمتجلية في علاقة الكائن البشري/ الأسطوري بالماورائي /الغيب وقد أدرج داركوسوفان الأسطورة ضمن الجنس الأدبي الميتافيزيقي الذي يندرج مع العجائبي.[4]

وللأسطورة تجليات في بنية العقل الإنساني عامة ومنه العقل العربي وقد ظلت فاعلة ومتفاعلة مع الموروث السردي العربي ومع المتخيل في كتب السيرة والتاريخ وكتب العجائب والكونيات.[5]

---

[1] نضال الصالح: النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق2001، ص20.

[2] سناء شعلان: فضاءات التخييل مقاربات في التشكيل والرؤي والدلالة في إبداع القصصي، الوراق للنشر، عمان، 2012، ط1، ص123.

[3] شعيب حليفي: شعرية الرواية الفانتاستيكية، ص77.

[4] المرجع نفسه،ص77.

[5] ضياء الكعبي السرد العربي القديم (الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل، ص43.

ربما أن مصطلح العجائبي يعتبر مصطلحا شاملا في العجيب والغريب يندرجان ضمن إطاره بحيث أن لهادين المصطلحين مكونات عديدة في الأسطورة خاصة العربية" تشمل الإنسان والحيوان والنبات والجماد وتكاد ترتكز في الجنوب العربي) بلاد اليمن (حيث أسطورة الجرهمي والحكايات التي وضعها العرب حول المدينة الاسطورية) ارم ذات العماد)"[1].

ومن بين الأساطير التي تحدثت عنها الكتب القديمة تلك التي تعلقت بالغول فهو كائن خرافي ظل العرب يعتقدون بوجوده ويدل على ذلك ما أورده المسعودي من أن الفلاسفة أنفسهم ظلوا يعتقدون بوجود الغول" وقد حكى البعض أن الغول حيوان شاد من جنس الحيوان مشوه لم تحكمه طبيعة وأنه لما خرج منفردا في نفسه وهيئته توحش في مسكنه فطلب القفار وهو يناسب الإنسان و الحيوان البهيمي في الشكل إن من الجن من هو على صورة نصف الإنسان وإن كان يظهر لها في أسفارها وحين خلواته" [2].

فمعظم الأساطير التي تحدثت عن الجن تحمل بين طياتها كما هائلا من العجيب وهذا لكون أحداثها وشخصياتها عجائبية، منها ما تحدثت عن زواج عمر بن يربوع بن حنطة بالسعلات التي بقيت معه زمنا وولدت منه فقد تعرض عبد الملك مرتاض بهذه الأسطورة بالتحليل في كتابه الميثولوجيا عند العرب معتبرا إياها من الأساطير المغرقة في الخرافية إما على مستوى الشخصية المعرف بها أو على مستوى الحدث في ذاته وهو زواج امرأة قوية قادرة على الطيران والتحليق بأعرابي خلف قاصرا ذهنيا إلى حد بالقياس إليها كان يجوب الفيافي ويضرب مغامرا في القفار.[3]

[1] المرجع نفسه، ص43.

[2] المسعودي: أبو حسن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: محي الدين عبد الحميد، مطبقة السعادة، مصر، ط4، 1964، ج2، ص156-161.

[3] مرتاض عبد الملك الميثولوجيا عند العرب (دراسة لمجموعة من الأساطير والمعتقدات القديمة )المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص37.

فقد طرحت هذه الأسطورة أسئلة كثيرة حاول عبد الملك مرتاض حاول الإجابة عنها في كتابه مؤكدا أن الرواة تعمد تقديم هذه الأسطورة لتكون أبهر أدعى إلى التساؤل ولتكون ادعى إلى الحيرة والاعتقاد جميعا.

وبهذا يمكن القول أن الحديث عن الأسطورة يقتضي الحديث عن العجائبي والخارق فالأسطورة بأحداثها وشخصياتها وفضائها، بل وحى نعمتها، تعد معرفة في التغريب والتعجيب.

## العجائبي في الخرافة:

– لقد شغف العالم في العصور الوسطى بالحكاية وبالموضوع، بالخارق والمعجز، والمستحيل، والعجائبي، الذي يخالط الواقع، وإرتبط بما يعرف بالحكايات والحواديث والمقامات، والليالي والمسامرات، والسير، التي طغى عليها السرد العجيب، وحكايات الجن والسحر، والعفاريت، فغالبا ما » ترتبط الحكايات الخرافية بالسمر والليالي والتسلية حيث تنطق من الوهمي والعجائبي، والأحداث الخارقة، فهي ترسم عالما أجمل من عالمنا أكثر سحرا وبهاءا تتحرك فيه الأشياء بعيدا عن قوانين الطبيعة ولا ترضخ للعقل ومنطق السببية، عالم يسكنه الجن والمردة والغيلان والساحرات، والحيوانات الغريبة الناطقة، والأشباح والعفاريت، والنباتات والحجر اللذان يأخذان صفة البشر وأراض عجيبة وغريبة عن عالمنا».[1]

ترتكز الحكايات الخرافية الشعبية على عنصر الإدهاش وتمتلئ بالمبالغات والتهويلات، التي تعمل على غبقاء الغموض والسحر والتشويق على سير الأحداث، والتي تجري وتدور في أماكن لا تقل عجائبية عن الحكاية.

ويشير مصطلح الخرافة في الثقافة العربية « إلى الكذب أو الخيال والبعد عن الواقع أو الهذيان [2] »كما يحيل التخريف « على كل ما هو بعيد عن المعقول ومن نسيج الخيال » .

[1] جديد خيرة: العجائبي في الرواية المغاربية المعاصرة، ص69.

[2] عبد الله إبراهيم: النثر العربي القديم بحث في البنية السردية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث إدارة الثقافة والفنون، قسم الدراسات والبحوث، الدوحة قطر،ط2002،1، ص54.

تعد الخرافة حقلا خصبا لإنتاج الخيال والهديان والوهم حيث أصبحت مثالا لكل ما هو خيالي ووهمي، مما ينسب إلى رواة لا وجود لهم، ومن هنا صح التأكيد على أن نسيج الخرافة، ما هو إلا إسناد مالا حقيقة له إلى مالا وجود له، وترتب على هذا أن أصبح أمر اختلاق سند ومتن مُتحلين، خُصَيصة مميزة للخرافة، الأمر الذي جعلها في تاريخ الثقافة العربية، تندرج ضمن مَرويات الأسمار، فامتزجت فيها المأثورات الإسرائيلية وأخبار الملوك، فضلا عما تَرسب في الذاكرة الجماعية من أوهام ووقائع قديمة«، وتُعد الخرافة نوعًا من الأسمار اللطيفة.[1]

وترتبط حكايات الخرافة بالعجيب وأخبار الجن، فنقول عن كل غريب وعجيب وغير معقول هذا خرافة أو حديث خُرافة، وقد ارتبط حديث الخرافة بشخص اختطفه نفر من الجن، ولدخول عالم الحكاية الخرافية العجيبة، نستحظر هنا نص لحديث خرافة وهو نص عجيب يحيلنا إلى تجلي العاجئبي في السرد الخرافي » ذكر إسماعيل بن آبان الورّاق قال :حدثنا زياد بن عبد الله البكائي، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه القاسم بن عبد الرحمن قال :سألت أبي عن حديث خرافة، وعن كثرة ذكر الناس له، فقال :إن له حديثا عَجبا، ثم قال :بلغني أن عائشة قالت للنبي صلى الله عليه وسلم :يا نبي الله حدثني بحديث خرافة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :رحم الله خرافة، إنه كان رجلا صالحا، وأنه أخبرني أنه خرج ذات ليلة في بعض حاجاته، فبينما هو يسير إذ لقيه ثلاثة نفر من الجن فاسروه، أو قال فَسَبُوه، فقال واحد منهم نعفو عنه، وقال آخر نقتله، وقال آخر نستعبده، فبينما هم يتشاورون في أمره إذ ورد عليهم رجل، فقال السلام عليكم، قال ما أنتم؟ قالوا :نفر من الجن أسرنا هذا، فنحن نتشاور في أمره، فقال :إن حدثتكم بحديث عجبٍ أُتشركونني فيه؟ قالوا :نعم».[2] قال :إني كنت رجلا من الله بخير، وكانت لله علي نعمة فزالت وركبني دين، فخرجت هاربا » فبينما أنا أسير إذ أصابني عطش شديد، فصرت إلى بئر، فنزلت لأشرب فصاح بي صائح من البئر :مَهْ، فخرجت ولم اشرب، فغلبني العطش فعُدتُ، فصاح مَهَ،

[1] عبد الله إبراهيم: ا لنثر العربي القديم، بحث في البنية السردية، مرجع سابق، ص(56/55).

[2] عبد الله إبراهيم: مرجع سابق، ص57.

فخرجت ولم أشرب، ثم عدت الثالثة فشربت ولم ألتفت إلى الصوت، فقال قائل من البئر :اللهم إن كان رجلا فحوله إمرأة وإن كانت إمرأة فحولها رجلاً، فإذا أنا إمرأة، فأتيت مدينة قد سماها، نسي زياد اسمها، فتزوجني رجل فولدت منه ولدين «ثم إن نفسي تاقت إلى الرجوع إلى منزلي وبلدي، فمررت بالبئر التي شربت منها فنزلت لأشرب، فصاح في المرة الأولى، فلم التفت إلى الصوت وشربت، فقال» :اللهم إن كان رجلا حوله إمرأة، وإن كانت إمرأة فحولها رجلا، فعدت رجلا كما كنت، فأتيت المدينة التي أنا منها فتزوجت إمرأة فولدت لي ولدين، فلي إبنان من ظهري وإبنان من بطني»[1] «فقالوا سبحان الله إن هذا لعجب !أنت شريكنا فيه، فبينما هم يتشاورون فيه، إذ ورد عليهم ثور يطير، فلما جاوزهم، إذا رجل بيده خشبة يحضر في إثره، وقف عليهم فقال :ما شأنكم؟ فردوا عليه مثل مردهم على الأول، فقال: إن حدثتكم بأعجب من هذا أتشركونني فيه؟ قالوا :نعم.

قال :كان لي عم وكان موسرًا، وكانت له إبنة جميلة، وكنا سبعة إخوة، فخطبها رجل، وكان له عجل يربيه، فأفلت العجل ونحن عنده، فقال :أيكم رده فابنتي له، فأخذت خشبتي هذه، وأتزرت ثم حضرت في أثره وأنا غلام، وقد شبت، فلا أنا ألحقه ولا هو ينْكل، فقالوا :سبحان الله إن هذا لعجب !أنت شريكنا ».[2] «فبينما هم كذلك إذ ورد عليهم رجل على فرس له أنثى، وغلام له على فرس رائع، فسلم كما سلم صاحباه، وسأل كسؤلهما، فردوا عليه كمردهم على صاحبه، فقال إن حدثتكم بحديث أعجب من هذا أتشركونني فيه؟ قالوا: نعم، فهات حديثك، قال» :كانت لي أم خبيثة، ثم قال للفرس الأنثى التي تحته كذلك هو؟ فقالت برأسها: نعم، كنا نتهمها بهذا العبد، وأشار إلى الفرس، الذي تحت غلامه، ثم قال للفرس أكذلك؟ فقال برأسه :نعم فوجهت غلامي هذا الراكب على الفرس ذات يوم في بعض حاجاتي فحَبسته عندها، فأغفى فرأى في منامه، كأنها صاحت صيحة، فإذا هي بجرذ قد خرج، أَمْخَرَ فَمَخَرَ ثم قالت أكررْ فَكَرَرْ، ثم قالت أزرع فزرع، ثم قالت :

[1] عبد الله إبراهيم: النثر العربي القديم، مرجع سبق ذكره، ص58.

[2] عبد الله إبراهيم: النثر العربي القديم، بحث في البنية السردية، مرجع سابق، ص(56/55).

أحصد فحصد، ثم قالت :دُس فداسَ ثم دعت برحى فطحنت بها قدح سُويق، فأنتبه الغلام فزعًا مرَوعًا، فقالت له :إئت بهذا مولاك فاسقه إياه، فأتى غلامي فحدثني بما كان منها، وقص علي القصة فاحْتَلتُ لهما جميعا حتى سقيتهما القدح، فإذا هي فرس أنثى وإذا هو فرس ذكر، أكذلك؟ فقالا برأسيهما :نعم، فقالوا سبحان الله إن هذا أعجب شيء سمعناه !أنت شريكنا فيه، فاجمعوا رأيهم فأعتقوا خرافة، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بهذا الخبر».[1]

إختلفت الرويات وتعددت حول ما حصل لخرافة فقد طالها ما طالها من تغير وتحريف إرتبط بالرواية الشفاهية لها فمنهم من روى أن الجن إختطفت خرافة والبعض يرى بأنها سبته وأخرى تقول بأنها إستهوته لكن جميع الرويات حول حديث خرافة أجمعت على أنه نوع من الأعاجيب وضرب من الأباطيل وقد ذهب الثعالبي إلى نسب كل كلام لا أصل له من كلام العرب للخرافة » فقيل للأباطيل والترهات خرافات، نعتا للحكايات الغريبة التي يتدخل الجن في إحداثها والتي لا أصل لها.[2]

وبالعودة إلى النص الذي أوردناه والمتعلق بحديث خرافة فإننا نجد متن الحديث يتضمن البذور الأساسية للحكاية الخرافية العجيبة وقد تمثل في » علاقات الشخصيات بالجن، وإغفال تأثير الزمن على الشخصيات، والمسخ والسحر وتحول المخلوقات إلى غير أجناسها».[3]

من هنا كانت الحكاية الخرافية أرض خصبة بكل أنواع العجائبي فقد شكل السرد العجائبي وجه يقابل الخرافة لما تحتويه من أحاديث وسمر وأخبار عن قصص غريبة لأشخاص وكائنات خارقة ولأحداث عجيبة وأماكن غريبة، وإذا ما حاولنا البحث عن تجليات العجائبي في الحكاية الخرافية لا بد لنا من التطرق إل النص الألف ليلي

[1] عبد الله إبراهيم: النثر العربي القديم، بحث في البنية السردية، مرجع سابق، ص59.

[2] عبد الله إبراهيم: النثر العربي القديم، بحث في البنية السردية، مرجع سابق، ص63.

[3] المرجع نفسه، ص64.

الذي يعد من أغنى النصوص السردية الحكائية تنوعا من حيث تعدد مجموعاته القصصية الزاخرة بكل أنواع العجيب، بالإضافة إلى كونه نص حَمال لأوجه وقابل لقراءات متعددة ولتصانيف نوعية كذلك.

-عند التحدث عن الليالي العربية لابد لنا من الوقوف عند أروع ما أبدعه الإنسان وجادت به القريحة العربية من تحفة فنية، فلا يخطر ببالنا غير إسم واحد وهو حكايات ألف ليلة وليلة، هذه الأخيرة التي مزجت بين المتناقضات لتصنع لنا لوحة إبداعية ظلت تَحضى بالدراسة والإهتمام من قبل النقاد والدارسين لهذا النوع من السرد والقص العجيب، عند سماع إسم ألف ليلة وليلة تهاجم مخيلتنا العديد من الصور المدهشة والألاعيب الفنية الجمالية التي صنعت من المستحيل ممكنا ومن الروحي واقعا ملموسا، فبنيانها نابع من الخيال وفي نفس الوقت تستمد قوتها من الواقع والحاضر الملموس، واقع أبهر السامع وجعله يعتقد بوجود هذا العالم المجهول والغريب.

«وقد اختلف النقاد في تصنيف ألف ليلة وليلة بين من صنفها ضمن ما يعرف بالحكاية الخرافية أمثال فردريش فون ديرلاين F.von.Derlayen وبين من أدرجها ضمن حكاية الجان مثل عبد الحميد يونس، في حين صنفها البعض على أنها حكاية عجيبة "إنطلاقا من تصنيف تزفيتين تودوروفTzvetan Todorov ، ويذهب آخرون إلى إعتبارها ضمن الحكاية الخارقة وفقا لتصنيف عبد الملك مرتاض».[1]

إن الإختلاف في تصنيف ألف ليلة وليلة إنما هو نتاج لكونها نص مفتوح يحوي العديد من الأجناس والأشكال السردية المتعددة، وقد علل صبري حافظ طبيعة النص المفتوح لألف ليلة وليلة » :أنه يعود إلى ثراء النص وتعدد مغامراته القصصية وتنوع وحداته السردية التي بلغ درجة مكنته من إستيعاب أشكال وأجناس سردية متعددة ومتناقضة دون أن يفقد وحدته أو يخسر تماسكه».[2]

[1] ضياء الكعبي: تحولات السرد العربي القديم، دراسة في الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل، مرجع سابق، ص49.

[2] ال ضياء الكعبي: تحولات السرد العربي القديم، ص493

فنجد فيه » من الخيال والعجائبي قدر ما فيه من الحب العذري والقيم النبيلة والعواطف السامية، وفيه من قصص المغامرات الشعبية وحكايات الجن والعفاريت قدر ما فيه من القصص الدينية والمغامرات الروحية، وفيه من ضروب الشر والحسد والمكيدة قدر ما فيه من تجليات الخير والنقاء والفضيلة، وفيه الملاحم الطويلة التي تمتد عبر ليال عدة، قدر ما فيه من القصص والنوادر والحكايات القصيرة التي لا يستغرق بعضها إلا شطرا من الليل»[1].

هيمن الطابع العجائبي على خطاب ألف ليلة وليلة في تشكلاته وفي موضوعاته فنجد العجيب والغريب يتدخلان حتى مع الحكايات التي تتكون فيها شخصيات ذات مرجعية تاريخية مثل هارون الرشيد والوزير يحي البرمكي وموسى بن نصير...» [2].

قدرة شهرزاد على الحكي الذي يجمع بين ما هو واقعي وما هو مثالي جعلها تتقن وبمهارة مزج الغامض بالمستحيل، وأن تمنح قصصها العجائبية طابعا مقبولا أقنعت من خلاله" شهريار "وأوهمته أن المروي من العجائب والغرائب مجاورا فعلا للواقع، فكان حكيها متعة له تزداد بزدياد الخيال والخوارق أثناء الحكي، وقد بين تودوروف أهمية سرد شهرزاد حين ساوى بين القص والعيش » فأن تقص مساو لأن تعيش، ويصبح السرد المعادل الكلي للحياة».[3] وكأن القص هو نقطة الفصل بين الموت والحياة، فالتوقف عن السرد العجيب إنما هو نهاية للحياة والموت وعلى هذا الأساس يقول روي. ب .متحدة Roy.p.Motthedh معدلا ما إصطلح عليه تودوروف بجملة مفتاحية هي" المزيد من القصص العجيبة أو الموت ."«لقد ساهم الحكي العجيب الغريب في تصحيح مجري حياة" شهريار "وإنقاد العذارى من الموت، لأن هذا السرد المتدفق المدهش بعجائبيته هو الذي جعل شهريار أسيرا للقص.

[1] المرجع نفسه، ص50/49.

[2] المرجع نفسه، ص50.

[3] المرجع نفسه، ص50.

وإذا ما تقفينا أثر العجائبي وتجلياته في حكايات ألف ليلة وليلة فإننا سنجد أنفسنا أمام مستويات عدة للعجيب وفضاءات مختلفة يتجلى فيها عناصر العجائبي من أماكن عجيبة وكائنات عجيبة وأحداث ومشاعر غريبة تسيطر على أبطال الحكايات ونذكر على سبيل المثال لا الحصر قصة السندباد البحري ولعلها من بين أشهر حكايات ألف ليلة وليلة، التي ترسم لنا عوالم عجائبية " تتميز بالتنوع والثراء وجمعها بين الواقع والمتخيل، ذلك أن الراوي الشعبي تفنن في ذلك للسيطرة على لب المتلقي، فراح يقدم لنا عالما غرائبيا مملوءا بعوالم ورائية، تسحر ألباب القراء والسامعين، الحكايات تقدم لنا أمكنة تدور فيها الأحداث وتتحرك فيها الشخصيات وهي تفعل بطريقة لا واقعية حاملة بذلك لعناصر الدهشة والغرابة والإنبهار وكسر المألوف، والأمكنة سواء كانت مفتوحة أو مغلقة تقطنها كائنات في غاية الغرابة تتكاثر بطريقة خرافية، الأمر الذي جعل منها أمكنة مميتة يفقد فيها الإنسان الإحساس بالأمان وأحيانا بالوجود[1].

ويمكننا أن نستدل على بعض الأماكن العجائبية في قصص السندباد البحري، وكيف تتحول هذه الأماكن في لحظة من مكان جميل إلى مكان خطر، وقاتل، مثير للخوف، ففي حكاية السفرة الأولى للسندباد البحري ذكر السندباد وصولهم إلى جزيرة بعد سفرهم من جزيرة إلى جزيرة ومن بحر إلى بحر، وجاء في حكايته وقد إنطلقنا في سير البحر إلى أن وصلنا إلى جزيرة كأنها من رياض الجنة، فأرسى بنا صاحب المركب على تلك الجزيرة ورمى مراسيه ومد السقالة، فنزل جميع من كان في المركب في تلك الجزيرة وقد عملوا لهم كوانين، وأوقدوا فيها النار وإختلفت أشغالهم...» إلى هنا في هذا الوصف للرحلة كانت الجزيرة مكان وردي فيظهره الراوي بشكل جميل قبل أن يتحول فجأة دون سابق إنذار في تغير مفاجئ للأحداث من الطمأنينة إلى الخوف والإضطراب، ومن الأمان إلى الخطر والرعب ، كما جاء في قول ياسين النصير في وصفه للجزر التي يزورها السندباد « الجزائر في

[1] عبد الله المجيد بدراوي: المكان العجائبي في ألف ليلة وليلة حكايات السندباد البحري أنموذجا، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد13، 2013، 278، كتاب ألف ليلة وليلة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط5، 2009، ص41.

حكايات السندباد تظهر بشكل جميل، ثم يحدث التحول، أو هكذا يتوهم البطل إلى مكان للرعب والخوف ومواجهة المخاطر والمصاعب ثم ينجو البطل بأعجوبة»[1].

«...وقد أجمعت الركاب على أكل وشرب، ولهو ولعب، فبينما نحن على تلك الحالة وإذا بصاحب المركب واقف على جانبه وصاح بأعلى صوته: يا ركاب السلامة أسرعوا واطلعوا إلى المركب، وبادروا إلى الطلوع، واتركوا أسبابكم واهربوا بأرواحكم، وفوزوا بسلامة أنفسكم من الهلاك، فإن هذه الجزيرة التي أنتم عليها ما هي جزيرة وإنما هي سمكة كبيرة رسبت في وسط البحر، فبنى عليها الرمل، فصارت مثل الجزيرة...» [2] في هذا المشهد يتجلى لنا السرد العجيب، فكيف يمكن للسمكة أن تصبح جزيرة؟ وكم من وقت مر عليها نائمة لكي تنمو عليها الأشجار وتصبح جزيرة؟ فالعقل يصاب بالحيرة في تقدير حقيقة الجزيرة السمكة، فلا يستطيع تحديد ما إذا كانت السمكة نائمة منذ قرون، ثم إن إستيقاظ السمكة بصفة مفاجئة زاد من عجائبية الحدث والمكان الذي يحتضن هذا الحدث، فإن أقررنا بأن السمكة نامت لعدة قرون خلت وأن الرمل قد رسبت فوقها وتشكلت طبقات كفيلة بنمو الأشجار والنباتات، فإنه من الصعب على المتلقي أن يجد إجابة تزيح عن عقله الحيرة والدهشة، فكيف لنار أن تخترق طبقة من الترسبات قد تشكلت منذ آلاف السنين؟ وتصل إلى جلد السمكة؟ كل هذا الإضطراب الذي يطغي على عقل القارئ ويشوشه معرضا إياه للدهشة والصدمة[3].

وتستمر الأحداث العجيبة مع السندباد في كل رحلاته، وفي الرحلة الثانية يصف السندباد بعض الأماكن والكائنات التي تندرج ضمن العجيب، لما بالغ السندباد في وصفها بشكل أخرجها من الطبيعي إلى الفوق طبيعي وأدخلها ضمن العجيب من بينها وصفه لبيضة الطائر حيث يقول: « وإذا به قبة كبيرة بيضاء شاهقة في العلو،

[1] عبد الله المجيد بدراوي: المكان العجائبي في ألف ليلة وليلة حكايات السندباد البحري أنموذجا، مرجع سابق، ص281.

[2] عبد المجيد بدراوي: المكان العجائبي في ألف ليلة وليلة، حكايات السندباد البحري أنموذجا، مرجع سابق، ص281.

[3] أنظر، عبد المجيد بدراوي: المكان العجائبي في ألف ليلة وليلة، حكايات السندباد البحري أنموذجا، مرجع سابق، ص282.

كبيرة الدائر، فدنوت منها، ودرت حولها...فعلمت مكان وقوفي ودرت حول القبة أقيس داترها، فإذا هو خمسون خطوة وافية»[1] هذا الوصف المبالغ فيه جدا لبيضة طائر يصيب المتلقي بالدهشة والحيرة من حقيقة الوصف فإذا كان حجم البيضة بهذا الشكل كيف يكون الطائر ويستمر الوصف العجيب المبالغ لما يحدث في قوله...» :وإذا بالشمس قد خفيت والجو قد أظلم واحتجبت الشمس عني، فظننت أنه جاء على الشمس غمامة، وكان ذلك في زمن الصيف، فتعجبت ورفعت رأسي وتأملت في ذلك، فرأيت طيرا عظيم الخلقة، كبير الجثة، عريض الأجنحة، طائر في الجو وهو الذي غطى عين الشمس وحجبها عن الجزيرة، فازددت من ذلك...»[2] يتحقق العجائبي هنا من خلال وصف طائر الرخ فلا يوجد حقيقة طائر بهذا الحجم الكبير ثم أنه مهما بلغ حجم الطائر حقيقة لا يمكن بما كان أن يغطي الشمس ويحجبها بجناحيه، إنما هذا الوصف المبالغ فيه ضرب من ضروب العجائبي ليحقق السارد غاية الإثارة والدهشة وكذا بعث مشاعر الخوف والرعب من هذا الكائن العجيب الضخم، ثم إن السند باد لا يكف عند هذا الحد بل يستمر في وصف ما جري معه بطريقة عجيبة فبعد أن أعطى طائر الرخ وصفا عجائبيا دعم الصورة العجيبة لطائر من خلال قيامه بربط نفسه في رجلي طائر الرخ وبعدها طيران لطائر بالسندباد في السماء في حدث عجيب يُفضي بالمتلقي إلى البقاء في حالة الدهشة والتعجب من هذا الطائر الذي يحمل إنسان ويطير به في عنان السماء...» .وربطت نفسي في رجلي ذلك الطائر وشددته شدا وثيقا، وقلت في نفسي :لعل هذا يوصلني إلى بلاد العمار...فلما طلع الفجر وبان الصبح قام الطائر من على بيضته، وصاح صيحة عظيمة، واقتلع بي إلى الجو وهو يعلو ويرتفع، حتى ظننت أنه وصل إلى عنان السماء...»[3]

ومن وصف الطائر العجيب إلى وصف مكان آخر يهدد السندباد وهو واد الحيات من الأماكن العجيبة التي ساق القدر السندباد إليها حيث جاء وصفه في النص » ثم أني مشيت في ذلك المكان فوجدت نفسي في

[1] ألف ليلة وليلة، ص48.

[2] ألف ليلة وليلة، ص48.

[3] ألف ليلة وليلة، مرجع سابق، ص48.

مكان عال وتحته واد كبير، واسع عميق، ويجانبه جبل عظيم شاهق في العلو، لا يقدر أحد أن يرى أعلاه من فرط علوه، وليس لأحد قدرة على الطلوع فوقه » «...فرأيت أرضه من حجر الماس الذي يثقبون به المعادن والجواهر (...) وكل ذلك الوادي حيات وأفاعي، كل واحدة مثل النخلة، ومن عظم خلقتها لو جاءها فيل لابتعلته...» [1] وهكذا يستمر السندباد في وصفه المبالغ للكائنات التي يصادفها لأن المتأمل لوصفه يجد فارقا كبيرا بين وصفه وبين الواقع وهنا في هذا المقطع نجد السندباد يبالغ أشد المبالغة في وصف الأفاعي بحيث جعل كل واحدة مثل النخلة بل وجعلها تبتلع الفيل وهذا مالا يتصوره العقل لأن الفيل من أضخم الحيوانات على الأرض فلا تتصور أن تبتلعه أفعى مهما بلغت من ضخامة لكن السندباد جعل من هذا المستحيل ممكنا ومن هذا الغير واقعي واقع في وصف مغامرته في وادي الحيات.

لم يقتصر الوصف المبالغ العجيب للكائنات الحيوانية التي وصفها السندباد في رحلته الأولى والثانية، بل إستمر هذا الوصف متجاوزا الحيوانات العجيبة إلى مخلوق آخر عجيب وضخم هو شخصية عجائبية في حكايات السندباد، إنسان عجيب ضخم ثم وصفه في نص الرحلة الثالثة وجاء فيه :بعد وصف المكان العجيب المحاط بهالة من الغرابة والتوجس وهو المتمثل في القصر » فإذا هو قصر مشيد الأركان، عالي الأسوار، له باب بضرفتين مفتوح وهو من خشب الأبنوس (...) وفي دائره أبواب كثيرة عالية، وفي صدره مصطبة عالية كبيرة، وفيها أواني طبيخ معلقة على الكوانين، وحواليها عظام كثيرة، ولم نر فيها أحد، فتعجبنا من ذلك غاية العجب» [2] وصف السندباد لهذا المكان الموحش يثير في النفس التوجس والخوف والهله من هذا المكان الخالي والذي يحاول فيه الراوي التحضير لحدث يخلط الجو ويحرك مشاعر الخطر والذي يهيأه لحدث عجيب أو لإحتضان شخصية عجيبة، وهذا ما حدث فعلا فإن هذا المكان العجيب المخيف يخفي داخله شخصية عجيبة مخيفة مرعبة وصفها السندباد في

[1] ألف ليلة وليلة، ص(49/48).

[2] ألف ليلة وليلة، مرجع سابق، ص53.

تكمله القصة في قوله » :وإذا الأرض قد ارتجت من تحتنا، وسمعنا دويا من الجو وقد نزل علينا من أعلى القصر شخص عظيم الخلقة في صفة إنسان» .[1] "شخص عظيم الخلقة في صفة إنسان، وهو أسود اللون، طويل القامة كأنه نخلة عظيمة، وله عينان كأنهما شعلتان من نار، وله أنياب مثل أنياب الخنازير، وله فم عظيم الخلقة مثل فم البئر، وله مشافر مثل مشافر الجمل مرخية على صدره، وله أذنان مثل الحرامين مرخيتان على أكتافه وأظافر يديه مثل السبع" .[2] إن المتلقي وهو يستمع لهذا الوصف لابد أن يقف في حالة ذهول وصدمة من هذا المخلوق الذي يجمع بين صفات الحيوان وبين صفة الإنسان فهو كائن ممسوخ لا هو إنسان ولا هو حيوان بل هو عملاق ضخم كل عضو فيه يعطيه صفة لحيوان مختلفة، ولم يتوقف الوصف المبالغ لهذا المخلوق العجيب بل إستمر السندباد أخذ القارئ إلى عالم العمالقة أكلي لحوم البشر وهو يصف كيف إلتهم العملاق رئيس المركب هذا الحدث العجيب الغريب استمر في رحلة أخرى لسندباد مع شخصية عجيبة اخرى، ليستمر السرد العجيب في رحلات السندباد البحري.

وهكذا يستمر السندباد البحري في وصف الأحداث العجيبة والأماكن العجيبة التي يطؤها في كل مرة ومغامراته الخطيرة والغريبة والكائنات والمخلوقات التي يصادفها في رحلاته ففي كل مرة يسافر فيها السندباد في رحلة جديدة ومغامرة جديدة يتعرض فيها لمواقف وأحداث عجيبة يواجه فيها الموت ويمزج فيها بين حقيقة الموت والحياة وتحول السعادة إلى حزن والطمأنينة إلى خوف وفزع، إن رحلة السندباد البحري ما هي إلا فضاء للسرد العجائبي حيث يتجسد لنا هذا العجائبي من خلال أحداث القصة ومن خلال الشخصيات العجيبة والكائنات الخارقة والضخمة التي لا يمكن أن تكون إلا في مكان عجيب، فالسندباد لا ينتهي من مغامرة إلا ويدخل في أخرى ولا ينجو من خطر إلا ويتعرض لآخر أكبر منه، ينقلنا معه إلى عوالم عجيبة وأقوام غريبة، فنجده تارة

[1] المرجع نفسه، ص53.

[2] المرجع نفسه، ص53.

يصف لنا أقوام تأكل لحوم البشر مثل ما حدث له في الرحلة الرابعة حيث صادف قوم ومَلكهم يتغذون بلحوم البشر وهذا يعكس لنا ما يروج على وجود أقوام قديمة كانت تأكل لحوم البشر وهو يشد المتلقي لهذا العالم العجيب الذي لا يتخيله عقل إنسان، وهذا التداخل للعديد من الكائنات المختلفة في الصفات وفي الطبيعة، منح حكايات السندباد بعدا عجائبيا.

السرد العجائبي لا يقتصر على حكايات السندباد البحري فقط إنما يتجلى في كتاب ألف ليلة وليلة كاملا، بتعدد حكاياته وثراءه بكل أنواع العجيب.

وننوه إلى أن اعتمادنا في إثبات تجلي العجائبي في الحكايات الخرافية على نموذج واحد، والذي تمثل في ألف ليلة وليلة، من خلال رحلة السندباد البحري لا ينفي ثراء السرد العربي القديم بالحكايات الشعبية التي تحمل في ثناياها بدور العجائبي.

**العجائبي في السيرة الشعبية:**

تعد السيرة الشعبية من بين أكثر الأشكال التعبيرية في الأدب الشعبي انفتاحا على بقية أشكال التعبير الأخرى، سواءا النثرية أو الشعرية، فهي تمثل عالما فسيحا وحيا، وذلك لما تملكه من خصوصيات، ومزايا فنية وشكلية ومضمونية، سهلت لها استقطاب العديد من الأشكال الفنية والأدبية في حركة تناغم وتفاعل.

فالسيرة الشعبية فن قصصي له أهدافه الفنية والاجتماعية والسياسية، صور لنا مجموعة من الخوارق.

أي أنها شكل سردي ممزوج بالخارق والعجيب، ففضاؤها ساحر مليء بالعجيب، فهي تحفل بكم هائل من الخوارق تمتزج بالتاريخ، فتغير الخيال وتحقق المتعة.

«السيرة الشعبية لم تستمد أحداثها وشخصياتها من التاريخ فقط بل استعانت بالأحداث الغريبة والكائنات العجيبة والأدوات السحرية، وعرضت كل ذلك بكثير من الخيال»[1].

فهي تثري رؤيتنا لأحداث التاريخ والمواقف العظيمة التي تنبه المستمع والقارئ إلى قصص الأبطال والفرسان الذين يتحلون بالشجاعة ويتحدون الصعاب والأزمات، كل هذه العناصر تبرز أهمية السيرة الشعبية التي تعد سيرة "سيف بن ذي يزن" نموذجا لها.

فقد احتوت سيرة بن ذي يزن على صفات عجائبية خارقة للعادة وغير مألوفة، وكذا قدر هائل من الكائنات العجيبة والغريبة، فقد أطلق عليها سعيد يقطين (ذخيرة العجائب العربية)، كونها مبنية على العجيب والغريب من اولها إلى آخرها.

«فالبنية العجائبية في سيرة بن ذي يزن تعرض لعالم فوق طبيعي، داخل عالم طبيعي، والشخوص أو العوامل، بتعبير غريماس يتعرضون لتحول، وفي أحيان أخرى إلى المسخ، من هنا ينهض نص "سيف بن ذي يزن" على خرق الواقع غلى عالم تجتمع فيه مخلوقات عجيبة مختلفة " الجن والإنس والغيلان مفارقات رهيبة" المألوف والخارق الذي يولد حيرة وتردد لدى المتلقي»[2].

فالحكايات في السيرة الشعبية تمتزج بين الحقيقة والخيال، وتوظيف المسخ وتحويل، وكل ما يثير الاندهاش والإعجاب لروعة الشيء أو لما يبثه من خوف وهلع.

---

[1] سيف بن ذي يزن، الخطاب العجائب في السيرة الشعبية االعربية، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، العام الثاني، عدد5، فبراير 2015.

ميلود عبيد منقور، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر، archive.a/sharekh.og/article.

[2] مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، مرجع سابق.

« فسيف بطل السيرة الشعبية يقوم بعدد من الأعمال البطولية الخارقة التي تمثل مراسم عبور له من حياة عادية أو هامشية إلى حياة مركزية نسمها حالة أسطورية، يأتيه العون من البشر والجن والحيوان، وتحيطه العناية الإلهية، كل شيء في السيرة لشعبية ممزوج بالخارق والعجيب والغريب، فالفضاء عجيب وغريب، والبطل أو الأبطال في صراع دائم وشديد مع الغيلان والعمالقة والأشياء، كل شيء يتحرك ويتكلم، فالسيف ينتقم لصاحبه ويقطع رأس الظالم والطيور تتحدث وتساعد البطل فتدله على الدواء، والغزالة ترضع الصبي فتمده بالحياة، والجن تطوي به مسافات شاسعة في برهة زمنية قصيرة».

فسيرة سيف بن ذي يزن تخللتها عقبات كثيرة، لم يكن سيف لينجو منها، لولا وجود الخوارق والأفعال والكائنات والفضاءات العجيبة.

والآن سنتطرق إلى ذكر مجموعة من الحكايات المأخوذة من سيرة سيف بن ذي يزن التي تحتوي على أحداث عجائبية، الحكاية الأولى "هدم الكعبة".

ينام الملك سيف بن ذي يزن بنية هدم الكعبة ونقل أحجارها الكريمة إلى بلده وفي الصباح يجد نفسه متورما وقد صار قدر الفيل.

فالتحويل أو المسخ هما وجهان من أوجه العجائب يثيران الخوف والدهشة ويصيبان للإنسان بالزيادة المفرطة عبر تحولات فيزيولوجية كأن يتحول إلى حيوان أو إلى غول (...).

"الحكاية الثالثة الغزالة والطفل الغريب"

نحن بسبيل الحديث عن الطفل الصغير سيف بن ذي يزن الذي رمته أمه في مدينة الموت والخراب إلا أن الطفل بدل من أن يقع فريسة الضواري، يقع تحت رحمة حيوان مزدهرة الأمومة تحنو عليه وتنقده من الموت والحال أننا أمام غزالة هاربة من وجه صياد أسر وليدها (...)، والصياد من بعيد يلحظ حركة الطفل ويسمع صراخه الخافت

يقترب على حذر، وقد دب إلى نفسه الخوف على الطفل، إلا أنه فوجئ بالغزالة ترضع الطفل، ويصمت لصوت الطفل، فهو يشرب اللبن بشراهة (تتحول الغزالة من حيوان إلى الإنسان الرحيم)، وهذا التحول: إن على مستوى الشخصيات (العوامل)، وإن مع مستوى الفضاء يسعفنا في إقرار الخارق والمعجز.[1]

**" الحكاية الرابعة وادي الغيلان"**

يكفي العنوان للبوح عن طبيعة الفضاء فهو موسوم بالبعث العجائبي والغرائبي لكونه يختلف عن الفضاءات الأخرى إنطلاقا من طبيعة التركيبة والشكل اللذين يعطيانه بعدا عجيبا ومخالف للمألوف، يتسم هذا بالإنفلاق والهلاك والهول والرعب، فهو فضاء لم تكن العين قد شهدته من قبل فضاء عجائبي لأنه مخالف للواقع، ومحرم الوقوع فيه، فهو مهلك.

وجد سيف نفسه وحيدا في صحراء موحشة تطوقه كما يطوق الموت الحياة، فعرف أنه وقع في واد الغيلان وأنه لا مهرب له من الموت بين أنيابهم.

فالفضاء قاس ومخطور لا يرحم المتورط في مناكبه، ويبدو ملعونا لأنه يدخل في باب المسخ واللعنات»[2].

ومما سبق نستنتج أن العجائبي ينهض في السيرة الشعبية عبر جملة من الاستعمالات، فهو لا يخلو من مفردات التعجب وصيغ الدهشة والتردد والحيرة والخوف.

[1] مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، مرجع سابق.

[2] المرجع نفسه.

وسيرة سيف بن ذي يزن تتضمن حكايات عجيبة فقد احتوت على قدر هائل من شخصيات عجيبة غريبة وصفات خارقة للعادة، خارجة عن نطاق المألوف، وهذا ما دفع بسعيد يقطين إلى اعتبارها ذخيرة أو خزان للعجائب.

## العجائبي في القص الصوفي:

تعد النماذج الحكائية الصوفية بحر لا ينضب من الحوادث الخارقة، والمشاهد العجائبية التي تعكس المحتوى الفكري للتصوف التي ينشد تحرير الذات البشرية من أسر المادة والشهوات والإنطلاق بها نحو عوالم الغيب والطهارة والسمو، فالتصوف فلسفة كاملة وعقيدة غايتها فتح القلب على علوم غيبية، وواقع آخر يمثل لنا اللاواقع واللامعقول.[1]

يؤسس النص الكراماتي رؤية معينة للعالم، حيث خرق العادات، والسنن، وتجسيد الأماني، من خلال فعل الخرق العجائبي، وتؤيد أدبيات المتصوفة هذا الخرق، عندما تحاول أن تؤطر فعل الكرامات، فالكرامة كما يعرفها اليافعي: "حدث خارق للعادة يجريه الله على يد الأولياء وغير الأولياء من عباده الصالحين من حيث لا يدرون ولا يعلمون غير مقرون بدعوة النبوة، وهذا الخرق جائز عقلا وواقها نقلا، ونجد كتب الصوفية تتحدث عن سلوكاتهم وطباعهم التي تصدر عنها الخوارق والعجائب باعتبارها جزءا من طبيعتهم، فهي بالنسبة إليهم كرامات مقابلة للمعجزات التي يختص بها الأنبياء.

الحديث عن العلاقة بين العجائبي ونصوص التراث الإسلامي تكمن في أن كلاهما يقع على حافة الحقيقة بين الممكن والمستحيل، أو بين الحقيقي وغير الحقيقي، ففي العجائبي ثمة حيرة أمام الحدث الخارق، بين تفسيره بما

[1] جديد خيرة: العجائبي في الرواية المغاربية المعاصرة روايات الياودي شغموم أنموذجا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي نظام ل.م.د تخصص الرواية المغاربية والنقد الجديد، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة جيلالي لياي، سيدي بلعباس، 2018/2017، ص48.

يلائم نظم الحقيقة الواقعية أو تفسيره بما يخالفها، وفي نصوص التراث الإسلامي يبقى الحدث الخارق واقعا بين الممكن على إعتبار أنه لا يعجز القدرة الإلهية، وبين (المستحيل) الذي يجعله خيالا فحسب، لعدم وجود برهان يلزم وقوعه على الحقيقة، ويبدو ذلك واضحا بين احتواء النصوص على الجن والملائكة وإختراق السماوات والمشي على الماء والطيران في الهواء.

لكن قبل البحث عن تجليات العجائبي في القص الصوفي لابد لنا أن نوضح بعض المصطلحات الصوفية التي تساعدنا على فهم وتتبع العجائبي إنطلاقا منها ولعل أهم مصطلحين مفتاحيين في أدب الصوفيين مصطلح المناقب والكرامات.

«حقل المناقب حقل خصب، يحدد بجملة من الأصناف والصفات، فأخبار الأولياء تطبع في مضامينها، ومقاطعها، وغاياتها الكلية، بذات الولي، فهي تكشف عن درجة قوية بالشكل الذي يخرج به المتلقي، والسامع إلى طبيعة نص آخر، وسمة متميزة يحمل بين طياته، دلالة الدهشة، والإستغراب والوقوف على نموذج إيماني فريد»[1] كذا ويتصف أدب المناقب بإزدواجية المواقف، وتحطيمه للمطلقات، والحدود بين الأشياء، مهما كانت طبيعتها ونوعها، فالمنقبة حين تجمع بين الواقعي، والخيالي، البشري، الإلهي، تلغي التصنيف الذي يقول بوجودين متمايزين لا ثالث لهما، "الواقعي والخيالي وبهذا فإنها تؤكد على وجود مساحة بينهما تجمع العالمين، وهي الكرامة، التي بدورها تندرج ضمن المناقب، بوصفها حكاية تتامس مع الخارق العجيب[2].

وللكرامة العديد من المفاهيم التي تتداخل وتتلتقي كلها في ذلك الفعل الخارق والسلوك المميز الذي يعتقد بأن الله خص به صفوة من خلقه هم الأولياء، ونذكر على سبيل المثال نماذج على تلك الأفعال الخارقة، ما يكون

[1] محمد دحماني: حكايات كرامات الأولياء في منطقة الشلف، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص الأدب الشعبي، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة بن يوشف بن جدة، الجزائر، 2006/2005، ص4.

[2] المرجع نفسه، ص5.

من فعل خارج عن عادة القوم ويفوق طاقتهم الفكرية والعضوية مثل قطع مسافة زمنية طويلة في أقل من لمح البصر بدون وسيلة أو مركب، أو الطيران في الجو، أو التحكم في حركة وسكون طير أو حيوان إلى ذلك من الأفعال التي تفوق قدرة البشر.[1] من خلال هذا يمكن القول أن الكرامة تشد إلى المعجزة برباط وثيق لما لها من تشابه وتلاق وكونهما خارقين للعادة، غير أن المعجزة تخص الأنبياء والكرامة تخص الأولياء.[2] وهذا ينطبق على ما جاء به الجرجاني حيث عرف الكرامة بقوله:« الكرامة هي ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة ».[3]

يحظى كل صوفي بشيء من الكرامات لكن بشكل مختلف يتذبذب من صوفي إلى آخر حسب درجة التصوف وترصد كتب المتصوفة هذه الكرامات على شكل قصص عجيبة وغريبة، تدور في فلك الجلاء البصري، والتحريك النفسي، واستحضار الأشياء والتخاطر، والشفاء باللمس، وإحياء الموتى، وتجفيف البحر، وإنزال المطر والصوم الطويل، وإلى غير ذلك من الكرامات.

ولا شك في أن هذه الخوارق العجيبة تسرد قصص الكرامات التي ما زال الكثيرون يرددونها ويؤمنون بمصداقيتها إيمانا عميقا، ونحن هنا لسنا معنين بمناقشة صحة الكرامات أو إنكارها وإنما نحن معنيون ببيان الكرامة من حيث كونها نصا سرديا، من نصوص العجائبي في الثقافة العربية الإسلامية، تعرض للتحويل في إنتقاله من الدائرة الشفاهية إلى الدوائر الكتابية في حلقة متصلة، وتعرض أيضا لتفاعل نصي، كما هو حال مرويات المعراج،

[1] المرجع نفسه، ص8.

[2] نفس المرجع.

[3] محمد دحماني: مرجع سابق، ص10.

جعله منفتحا على أنساق ثقافية وعقائدية، وتاريخية وإجتماعية مما أدى إلى تنوع صور العجيب والخارق في هذه الوحدات السردية الكراماتية.[1]

يتماس القصص الصوفي مع العجائبي حيث يصبح الخيال قدرة إستبطان، قوامها الوعي والذكاء، والإدراك الحسي يمتلكها الصوفيون وبواسطتها يخوضون رحلتهم بحثا عن الله، وعن وجودهم فالخيال هو وسيلة العروج إلى السماء، والإسراء المعنوي إلى الله والوصول المعرفي إلى حقائق الكون، الخيال صانع المعجزات وخالق كل جديد.[2] ويبين إبن عربي طبيعة إسراءات الأولياء ومعارجهم على أنها: «رؤيا نراها في حال النوم أو الفناء فإن كانت نوما فهو الرؤيا والمبشرات، وإن كانت فناء فهو المكاشفات» وفي هذه المعارج يشاهد الأولياء "معاني متجسدة في صور محسوسة للخيال يعطون العلم بما تتضمنه تلك الصور من المعاني، ولهم الإسراء في الأرض وفي الهواء...فمعارج الأولياء معارج أرواح ورؤية قلوب وصور برزخيات ومعان متجسدات".[3]

ولعل أول المتصوفين الذين جعلوا لأنفسهم معارج كمعراج النبي صلى الله عليه وسلم يزيد البسطامي، ومما قاله عن معراجه: «رأيت في المنام كأني عرجت إلى السموات، فلما أتيت إلى السماء الدنيا فإذا أنا بطير أخضر فنشر جناحا من أجنحته، فحملني عليه وطار بي حتى انتهى بي إلى صفوف الملائكة وهم قيام محترقة أقدامهم في النجوم يسبحون بكرة وعشية فسلمت عليهم فردوا علي السلام، فوضعني الطير بينهم (...) وكأني عرجت إلى سماء ثانية فإذا جاء فوج من الملائكة ينظرون إلي كما ينظر أهل المدينة إلى أمير يدخلها، ثم جاءني رأس الملائكة

[1] ضياء الكعبي، مرجع سابق، ص58.

[2] جديد خيرة، مرجع سابق، ص53.

[3] لؤي علي خليل عجائبية النشر الحكائي أدب المعراج والمناقب، ص24.

إسمه لاويد وقال: يا أبا يزيد إن ربك يقرئك السلام، ويقول أحببتني فأحببتك فانتهى بي إلى روضة خضرة فيها نهر يجري حولها ملائكة طيارة، يطيرون كل يوم إلى الأرض مئة ألف مرة ينظرون إلى أولياء الله»[1].

من خلال هذا الشرح لطبيعة المعراج يبدو أن المعراج على تماس مباشر مع مفهوم العجائبي، لأن هذه الطبيعة تلزم المتلقي بضرورة تصديق ما يأتي في نصوص المعارج على أنه واقع على الحقيقة، يعده خصيصة من خصائص الأولياء وليس وهما أو أدبا تخيليا محضا، مع الأخذ بالعلم أن ما في داخل النصوص يبدو مخالفا لمجرى المألوف ولقوانين الطبيعة المعتادة[2].

لذا يمكن الحكم بأن من خلال هذا التعارض بين القول بواقعية الأحداث وبين طبيعة الأحداث التي لا تنقاد إلى الواقع نفسه تنشأ أولى مميزات عالم العجائبي وأهمها وهو التردد «يعد التردد من أهم عناصر تحقق العجائبي، إذ لا يروم العجائبي – إلا زمن تردد –» وإذا ما نظرنا إلى نصوص المعراج فإننا نجد أن التردد لا يكاد يغيب عنها، إن إنتماء هذه النصوص إلى نوع الكرامات يكسبها ترددها، إذ الموقف العام أمام نصوص الكرامات، يقول بإمكانية قبولها على الحقيقة على أساس أنها هبات من الله إلى من يشاء من عباده، ويقول بإمكانية رفضها أيضا على إعتبار أنها قد تكون غير حقيقية، لأسباب عديدة، أهمها عدم الإعتراف بأي خصوصية لمدعي الكرامة تدخله في زمرة الأولياء».

ومن هنا فإن أصل التردد في النصوص الصوفية المنتمية إلى نوع الكرامات إنما يعود في الأساس إلى شعور المتلقي بالشك والريبة حيال ما يراه ويسمعه من كرامات المتصوفة هل يميل إلى التصديق بإعتبار أن هاته الكرامات إنما هي هبة من الله إلى عباده الصالحين يهبها لمن يشاء من أوليائه على هذه الأرض والله على كل شيء قدير، فمن باب الحق التصديق بما هو من الله وتعبير عن قدرته التي لا حد لها، ومن جهة ثانية يجد نفسه موضع شك

[1] جديد خيرة: مرجع سابق، ص51.

[2] لؤي علي خليل، مرجع سابق، ص29.

من حقيقة الولي وهل حقا هو من أولياء الله الصالحين الذين حباهم الله من فضله بالكرامات، إذ لا يمكن إثبات صحة ما يدعيه صاحب الكرامة، فلا يوجد أي مميز وخصوصية تؤكد على صلاح مدعي الكرامة ودخوله ضمن أولياء الله هذه الحالة الشعورية من الريب والقلق والشك الذي يمر بها المتلقي والتي تجعله في حالة تردد دائم بين التصديق والإنكار، وهذا ما يدخل نصوص الكرامات ضمن العجائبي الذي يعد التردد من أهم مميزاته.

كما يرى سعيد الوكيل أن لنصوص المعراج خصوصية وخصب يجعلانها قادرة على إثارة الجديد داخل مظاهر العجائبي مثل إنقسام الذات، الذي تتضاعف فيه الشخصية الواحدة إلى عدة شخصيات، هي عينها من دون تغيير»[1].

حيث يبدو الشخص نفسه مضاعفا في أكثر من مكان وفي زمان واحد وهذه الصفة تظهر لنا من خلال نص من نصوص المعراج يصف فيها سالك رحلت معراجه إلى السماء «يقول السالك إنه بعد أن وصل إلى السماء وسلم على والده آدم، فالتفت فإذا أنا بين يديه وعن يمينه من نسم بنيه، عيني، فقلت له: هذا أنا، فضحك، فقلت له: فأنا بين يديك وعن يمينك! قال: نعم، هكذا رأيت نفسي بين يدي الحق حين بسط يده، فرأيتني وبني في اليد، ورأيتني بين يديه»[2] من خلال هذا النص يظهر لنا سعيد الوكيل كيف أن الذات في المعارج تنقسم وتتضاعف إلى عدة شخصيات والأصل واحد فهذه الميزة والخاصية تمنح النص الكراماتي بعدا عجائبيا برغم من أن تودوروف لم يتحدث عن إنقسام الذات في تصنيفه إنما تحدث عن تحول الشخصيات، فقد يتحول الشخص إلى مجموعة شخصيات مختلفة، فمثلا قد يتحول الشخص نفسه إلى الأم والأب والزوجة فيكون هو نفسه بشخصيات عدة مختلفة، وكذا مظاهر التحول في نص المعراج تتحد فنجد أشكالا أخرى من ضروب هذه

[1] أنظر لؤي علي خليل: ص24.

[2] أنظر لؤي علي خليل: ص74.

التحولات «كأن يتحول الإنسان إلى كائن آخر، وهذا ما جرى مع (الحكيم) الذي رَوحَنَ ذاته، فالتحق بالأطيار وسوَّى جناحيه وطار، واخترق معظم تلك الرياح محلقا في جوّها، ينزل بنزولها ويسمو بسموّها».

وتتعدد طرق تحول الشخص في نصوص المعراج فلا تقتصر على ما ذكرت إنما تتوسع لتشمل طرق أخرى لا يسعنا ذكرها جميعا، هذا ويتعدى الإختلاف وتحول الشخصية ليشمل الزمان والفضاء حيث يلاحظ تحولها ومفارقتها لطبيعتها المعتادة في الواقع المألوف، لأن الفضاء والزمان في عالم المعراج إكتسب ملامح جديدة خاصة، فنجد أن النزول لم يعد يدل على ما هو عليه في الواقع، فمثلا «النزول على سبيل المثال يقتضي إنتقال الجسد من مكان عال إلى مكان منخفض، إذ قد يحصل النزول من غير إنتقال للجسم» كما في نصوص المعراج، يقول السالك: «فتهيأت للنزول وورود الرسول، فتجارت الأملاك إلي، ودارت الأفلاك علي والكل مقبلون، وعلى حضرتي مقبلون، وما رأيت ملكا نزل، ولا ملكا عن الوقوف بين يدي انتقل كما أن مدة الوحدات الزمنية في عالم المعراج تختلف عن تلك في عالمنا المألوف، وقد تحدث عن هذا سالك فقال: «وقطعت كل نمط من هذا الدور بإقامتي في خمسة عشرة يوما ونصف يوم وست ساعات، كل يوم منها مقدار ستة أيام ونصف من أيام الدنيا».

من خلال هذا النص الذي يرويه ابن عربي عن سالك عرج إلى السماء فإنه من الواضح إختلاف الزمن ومفارقته لما هو مألوف في زمننا الطبيعي، «ومن عجائبية الزمن في نصوص الكرامة الصوفية عدم خضوعها لقوانين السيرورة الزمنية الطبيعية، مما يسمح له بكسر أفق التوقعات، سواءا إلتزم التتابع المنطقي للزمن، أو التدخل بين الأزمنة، ومن بين الطاقات العجائبية الكامنة في النصوص الكرامية، طاقة طيّ الزمان على نحو يجعل حدثين يجريان في مكانين مختلفين، ولكن في زمن واحد»[1] ويمكن الإستدلال على هذا الزمن العجائبي من خلال عرض نموذج عنه من أحد النصوص الصوفية « سمعت برجل يسمّى موسى الطيار يطير في الهواء ويمشي على الماء، وكان رجل

[1] وفيق سليطين وبتول عدّي يوسف: عجائبية الزمان والمكان في نصوص الكرامة الصوفية، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد (41)ن العدد (2)، ت نشر (2019/3/17)، ص220.

يأتيني عند صدع الفجر فيسألني عن مسائل لا يفهمها الناس، فوقع ليلة في نفسي أنه موسى الطيار الذي سمعت به، وطال عليّ الليل في إنتظاره، فلما طلع الفجر نقر الباب رجل، فإذا هو الذي يسألني، فقلت له: أنت موسى الطيار؟ فقال: نعم، نعم سألني وانصرف ثم جاءني مع رجل آخر، فقال لي: صلينا الصبح ببغداد وقدمنا مكة فوجدناهم في صلاة الصبح، فأعدنا معهم وجلسنا حتى صلينا الظهر، وأتينا القدس فوجدناهم في الظهر، فقال لي صاحبي هذا: نعيد معهم، فقلت: لا، فقال لي: ولِمَ أعدنا الصبح بمكة؟...» من خلال هذا النص يتضح لنا الزمن العجائبي الذي يطوي لنا الزمن إذا جعل من وقوع حدثين في زمن واحد وفي مكانين مختلفين، مثل صلاة الفجر في بغداد وفي مكة وانتقال موسى الطيار ورفيقه من بلد إلى بلد ليصليا في مكان صلاة الظهر في مكة ثم ينتقللان إلى القدس ليصليا الظهر مجددا.

من جهة أخرى تظهر لنا تجليات العجائبي في نصوص المعراج من خلال ظهور أراض غريبة لا تشبه ولا تنتهي إلى ما هو مألوف في عالمنا، فقد تضمنت النصوص الصوفية نصوص المعراج التي تظهر فيها أراض غريبة تنتمي إلى عوالم لاترقى إلى شروط عالمنا المألوف، كتلك التي زارها السالك في الجبل الواقع عند خط الإستواء».

ومما ذكر عنها ما يلي: « في ذلك الجبل صهريجاً مُعَلَّقًا، عليه قُبَّةٌ عظيمَةٌ محكمة البناء، تسقط من تلك القبة حجارةٌ رخوةٌ، بصنعةٍ هندسية روحانية في ذلك الصهريج، وفيه سرب ينتهي إلى صهريج آخر معلق في الهواء، فَتَرسُبُ تلك الأحجار فيه فيتقل، وعندهم نهر يسمى النهر العُزيب، يجري في أوقات مُدبرة في سرب، حتى ينتهي إلى ذلك الصهريج، فإذا امتلأ طفت الحجارة على وجه الماء، وذلك الصهريج مصنوع من الكبريت فيعود ذلك الماء حميمًا فتُصبحُ تلك الحجارة، فتكون فيها الحكمة، وهي تسمى الكمياء، وما نزل من روحانيتها صار تفلاً وماء، فلا تزال هكذا أبدًا[1].

[1] لؤي علي خليل، مرجع سابق، ص77.

هذا النص بكل ما فيه من وصف لأشياء يفترض أنها موجودة في جبل يقع عند خط الإستواء، يحيلنا إلى ارض عجيبة لا تنتمي إلى عالمنا الواقعي، إنما هي أرض غير مألوفة، لابد لكي متلقي يستمع إلى هذا الوصف أن يشعر بالدهشة والإستغراب حول حقيقة وجود هذه الأرض فعليًا، وأصل هذا الإستغراب هو الإضطراب الموجود بين ما هو واقعي ومعلوم وما جاء في الوصف لهذه الأرض من وجود الصهريج المعلق في الهواء، وتلك القبة العظيمة فوقه، وكذا سقوط حجارة رخوة من القبة، ووجود صهريج آخر معلق هو أيضا في الهواء والعديد من الأوصاف التي تدخل هذا النص الذي بين أيدينا ضمن العجائبي لكونه يخالف الواقع المألوف فهو يمزج بين الواقعي والخيالي وهذا النوع من النصوص يخلق نوعا من التوتر في النص يجعله مصدر إستغراب ودهشة وهذا ما ذهب إليه علي زيعور « إن نصوص الكرامة سواءا المناقب أو المعارج تجمع بين الثنائيات بحيث يلتحم الواقعي بالخيالي، والإتجاه العلمي بالإتجاه الوهمي، والمثالية بالمادية، مما يخلق نوع من التوتر في النص، يجعله مصدر استغراب ودهشة لأنه يوحي بخرق بعض القوانين الطبيعية والسلوك الإجتماعي المتعارف عليه، ويوحي بالتناقض وما هو بالتناقض»[1].

لا يقتصر العجائبي في هذه الكرامات على فعل الكرامة فقط إنما يتعدى ذلك ليشمل البطل الصوفي الولي، ويشمل كذلك الزمان والمكان السرديين، حيث يصبح خرق العوائد لهؤلاء الأولياء عاد[2].

إن ما يجعلنا نقول بعجائبية النص الصوفي هو غناه بأفعال خارقة تنم عن قدرات خارقة وكذا أماكن عجيبة تخالف ما هو موجود في الواقع، وما يزيد النصوص الصوفية عجائبيا هو إحتواءها على مخلوقات من نور مثل الملائكة ولضمنها للأرواح والجن والأفعال الخارقة مثل الطيران والإرتقاء إلى السماء ومخاطبة الملائكة ومعرفة أمور غيبية، ومن بين النماذج التي جاء فيها ذكر الجن وتعامل الولي الصوفي معهم ما رواه النبهاني عن عبد القادر

[1] لؤي علي خليل، مرجع سابق، ص177/176.

[2] ضياء الكعي، مرجع سابق، ص59.

الجيلاني (561هـ) حيث روى حادثة وقعت عنه والتي تعد من الكرامات ومما رواه ما يلي: « إن رجلا جاء عبد القادر الجيلاني وقال: إختطف الجان ابنتي فقال له: إذهب إلى محل كذا وخط دائرة وقل عند خطها: باسم الله على نية عبد القادر، ففعل الرجل كما أمره، فمر عليه الجن زمرا زمرا إلى أن جاءه ملكهم، فوقف بإزاء الدائرة وقال له: ما حاجتك؟ قال: فذكرت له البنت فأحضر من إختطفها ودفعها إلي، وضرب عنق الجني فقلت له: ما رأيت كامتثالك لأمر الشيخ، فقال نعم إنه لينظر من داره إلى المردة منا، وهم بأقصى الأرض فيفون من هيئته»[1].

إن النص الذي بين أيدينا يظهر لنا تعامل الإنسان مع مخلوقات غير مرئية مثل الجن والمردة وهو يتميزون بطبيعة غير بشرية كما أنهم لا يمتثلون لأوامر الإنسان في حين يظهر هذا النص الولي عبد القادر يتحكم في الجن من منزله وهذا ما يجعل الفعل من ضمن الخوارق.

والمتطلع على كتب التراث الصوفي التي تقدم نماذج الأفعال الخارقة التي تظهر على يد الصوفيين على أنها كرامات وخوارق لابد له أن يلاحظ ثراءها وزخمها بقصص تخلط الممكن بالمستحيل، والشعودة بالخرافات والغيبيات ولعل أهم المؤلفات التي تناولت كرامات الصوفيين كتاب "كرامات الأولياء" للنبهاني وبهجة النفوس "لابن عطاء الله السكندري واللمع للسرَّاج»[2].

من خلال ما تم الإستدلال به من كرامات لمتصوفة وبالاعتماد على بعض نصوص الصوفين من معارج ومناقب لاحظنا ثراءها بالأفعال الخارقة التي تتعدى قدرة البشر وكذا بعض الشخصيات التي تتميز بدورها بالخوارق وإحتواء النصوص على الجن والملائكة والأرواح والعديد من الخوارق التي لم لها في النماذج التي إعتمدنا عليها لإثبات إحتواء نصوص الصوفيين على العجائبي، من خلال كل هذا يمكننا القول أن القص الصوفي ليس إلا أرض

[1] ضياء الكعي، مرجع سابق، ص59.

[2] عبد القادر عواد، العجائبي في الرواية العربية المعاصرة، آليات السرد والتشكيل، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه في النقد المعاصر، ص83.

خصبة لا تبور ملئى بالسرد العجائبي، والأحداث العجائبية، برغم من أنه لابد لنا أن ننوه إلى أمر هام هو إختلاف هدف النصوص الصوفية عن هدف العجائبي في النصوص السردية التي تكون بغرض التسلية وغالبا ما تكون من تخيلات القاص لكن القص الصوفي برغم من إحتوائه على العجائبي إلا أنه يتعارض مع غرض التسلية بل يتعداه إلى كونه تعبير عن جوهر المنظومة المعرفية للحضارة الإسلامية والتي تنمي إليها النصوص والتي ما كانت إلى لتؤكد وجود إله خالق للكون ومدبر له، قادر على خرق القوانين التي خلقها متى شاء لذا فإن العجائبي في النصوص الكراماتية الصوفية يختلف عن العجائبي في النصوص الأدبية الأخرى، لكن هذا لا ينفي ثراءها وزخرها بالعجائبي.

## العجائبي في أدب الرحلة:

بجمع أدب الرحلة في ثناياه عناصر التشويق، والإثارة وذلك من خلال الجنوح إلى الغرابة في الحكي، والذي يستمد غرابته من ميل الرحالة الذي يروي ما يصادفه في طريق رحلته من وقائع وأحداث، ويصف المناطق التي يحط عليها، ومختلف الأجناس البشرية، والحيوانية، التي يصادفها، ويغلب الحكي عن مخلوقات غريبة، وعجيبة ومناطق عجيبة، وذلك من أجل جذب إنتباه المستمع إلى الحكاية، وخلق جو من الدهشة والتشويق والإثارة التي تحقق المتعة والتسلية لذا يعد أدب الرحلة أرض خصبة ولادة لكل أنواع العجيب، المدهش والساحر الخلاب، حيث يجنح الرحالة إلى خلق أجواء عجائبية وحالة من الدهشة على حكايات رحلاتهم يمزجون فيها بين الواقع والخيال وبين المألوف والغير المألوف، وتغلب عليها توظيف مخلوقات عجيبة مثل الأشباح، والعفاريت والجن والعمالقة وغيرهم من المخلوقات التي تساهم في زيادة عجائبية رحلاتهم، كما يميل إلى وصف عجيب لأماكن وأراضي مرو عليها، بحيث يجعل من أماكن عادية عجيبة خارقة من خلال إعتماد الرحالة على خيالهم وميلهم إلى تحقيق شهوة حكائية ميالة إلى الخوارق، فنجد أدب الرحلات مليئ بكل الخوارق والأعاجيب، التي تحقق المتعة للرحالة وكذا تحقق التسلية للمتلقي الذي تدفعه روح الإطلاع والإستكشاف إلى الميل إلى هذا النوع من الحكي

العجائبي الغامض المثير، المفتوح على العديد من التأويلات والتخيلات التي تعطيه حق المشاركة في هذا العالم العجائبي الخارق.

وقد حاول العديد من الباحثين دراسة العجائبي ومدي تحققه في السرد العربي القديم والذي يشمل أدب الرحلة الذي بدوره أخد نصيبه من البحث والدراسة، ، ومن أهم ما جاء في ندوة عربية عقدت في الرباط في الثامن عشر من شهر أكتوبر2003 ، حيث كان محورها الأساسي المدهش والغريب وسؤال التحديث والإصلاح في الرحلة العربية، والتي سجل فيها الباحث الأكاديمي محمد لطفي اليوسفي، مداخلته بعنوان حركة المسافر وطاقة الخيال دراسة في المدهش والعجيب والغريب.[1]

هده المداخلة التي أكد من خلالها الباحث على أن كتب الرحالة تحتوي على الكثير من الواقع والأحداث التي تسمح بتوسيع دائرة الحلم، وتخطي العقل إلى ماوراءه، وبذلك تصبح الرحلة نتيجة ماتحتوي عليه من إغراب وتعجيب بمثابة سفر باتجاه الأقاصي والنهايات».[2]

كما نص أيضا على « أن نصوص الرحالة العرب عبارة عن فضاءات تنكشف فيها مقدرة الخيال على توسيع دائرة الممكن المحتمل، وفيها تنكشف أيضا كيفيات غزو الخيال والتوهم منطقة اللامعقول، حتى أنه لا يمكن أن ينظر في الكلام باعتباره مصدقا به أو غير قابل للتصديق لأنه يكرس بما يبتنيه من فريد وعجيب ومهيب مبدأ رفع عدم التصديق الذي ينهض عليه السرد عادة ».[3]

[1] علاوي الخامسة، العجائبية في أدب الرحلات، رحلة ابن فضلان نموذجا، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللغات والأدب، جامعة منتوري، قسنطينة،2005، (مقدمة البحث).

[2] علاوي الخامسة: العجائبية في أدب الرحلات رحلة ابن فضلان نموذجا، المرجع السابق.

[3] المرجع نفسه.

هذه المداخلة جاءت لتؤكد ما أكدته الدراسات قبلها والتي آمن باحثيها بأن أدب الرحلة لا يخلو من عنصر العجيب والغريب، وقد انطلقوا من طبيعة الرحلة وخاصة الرحلات التي شملت الأصقاع البعيدة، فقد تضمنت كتب التاريخ والجغرافيا والرحلات أخبار وحكايات غريبة تعود في معظمها إلى مخيلة المؤرخ أو الجغرافيا أو الذاكرة الشعبية، وتعتبر رحلة ابن بطوطة من أشهر الرحلات العربية التي يمكن عدها موسوعة جغرافية عن العالم الإسلامي، كونها تلم بكل أنواع العلم والمعرفة، كما تحوي الكثير من الشخصيات العجيبة منها، وقد خصها بالذكر في كتابه «تحفة الأنضار في غرائب الأنصار وعجائب الأسفار».

والذي تحدث فيه عن رحلته ونقل ما يصادفه من أماكن ترحاله، كما نقل أراءه وانطباعاته حول ما صادفه وشاهده وكل ما سمعه من أخبار وعجائب تثير الدهشة والحسرة.[1]

وجاء في كتابه، وصفه، وحديثه عن الأمور العجيبة التي صادفته في رحلته، منها حديثه عن قوم يرقصون على النار، حيث قال واصفا «قد مررت بموضع يقال له أفقانبور وقد نزلنا بها على نهر يعرف بنهر السرور (...) وطلب مني كبيرهم أن آتيه بالحطب ليوقده عند رقصهم، (...) فبعد صلاة العشاء بدؤوا بإضرام النيران حتى أصبحت حمراء ودخلوا يرقصون فيها ثم دخل رئيسهم يتمرغ فيها والعجيب أنه لم يحدث له شيء يقول إبن بطزطة :وجاء إلي بقميص والنار لم تؤثر به البتة فطال عجبي منه».[2]

هذا النص الذي بين أيدينا نموذج من رحلة ابن بطوطة يروي فيه مصادفتهم لأناس يرقصون على النار دون أن تحرقهم أو حتى تؤثر على لباسهم وهذا حدث غير عادي وغير مألوف فطبيعة النار الحارقة وطبيعة الجسد البشري وكذا قطعة القماش المصنوع منه القميص تفرض منطقيا أن يحترق، فليس منطقي أن لا يحدث لهم أي

[1] عيساوي سيد أحمد: ابن بطوطة والعجائبية في الرحلات، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في اللغة والأدب العربي، قسم اللغة العربية والأدب العربي، كلية الأدب واللغات، جامعة أبو بكر بلقايد، 2018/2017، ص33.

[2] المرجع نفسه.

خدش أم حرق فهذا وإن حدث فهو عجيب لا يصدقه العقل وعجائبيته عبر عنها ابن بطوطة بقوله، فطار عجبي منه، ومن الأقوام العجيبة ما صادفه عند قدومه إلى السودان حيث وجد جماعة يأكلون لحوم البشر وعبر عن هذا في هذا النص« قَدمْت جماعة من السودان الذين يأكلون بني أدم ومعهم أميرهم، وعاداتهم أن يجعلوا في أدانهم أقراطا كبار، ... وذكرني عنهم أنهم يقولون أن أطيب ما في لحوم لآدميات الكف، والثدي ».[1]

إن حديث ابن بطوطة عن أكلي لحوم البشر يعيد إلى فكر الأساطير القديمة التي تقول بوجود أقوام تأكل البشر ما يعد من الأعاجيب التي تثير المتلقي.

وتضمن حديث ابن بطوطة مخلوقات مثل الجن والعفاريت والسحرة وذلك في رحلته إلى الجزائر، حيث يقول « أن أهل الجزائر كانوا كفارا وكان يظهر لهم في كل شهر عفريت من الجن يأتي ناحية البحر ...وكانت عاداتهم إذا رأوه أخذوا جارية فزينوها وادخلوها إلى بيت الأصنام ».[2]

إن حضور الجن والعفاريت في رحلة ابن بطوطة يضفي عليها صفة العجائبية التي تأخذها من عجائبيته الشخصية بالإضافة إلى حضور الجن نجد إبن بطوطة يصف حيوانات رآها في رحلاته و قد اعتمد على المبالغة في وصفه مثل وصفه للخيل التي بالنيل « ولما وصلنا الخليج رأيت على ضفته ست عشرة دابة ضخمة الخلقة، فعجبت منها وظننتها فيلة لكثرتها هنالك، ثم إني رأيتها دخلت في النهر فقلت لأبي بكر :ما هذه الدواب؟ فقال لي:هي خيل البحر ».[3] ومصدر العجيب في هذا الوصف أن ابن بطوطة ظن أن الخيل فيل وهذا يوحي للمتلقي بمدى ضخامة هذا الحيوان ويفتح له مجال التخيل لشكل هذا الحيوان الذي يتشابه مع القيل في ضخامته برغم أنه

[1] عيساوي سيد أحمد: المرجع نفسه.

[2] المرجع نفسه، ص33.

[3] مرجع سبق ذكره، ص38.

من نوع آخر، حيث لم يرى ابن بطوطة خيلا مثل هذه، لكبرها وتشابهها مع الخيل المعروفة، فلها أعراف وأذناب رؤوس الخيل وأرجلها كأرجل الفيل.[1]

كان ابن بطوطة مفتونا بالحكي عن الغريب والعجيب والمدهش، وهذا ما يتجلى في كتابه ويمزج ابن بطوطة أصناف السرود فنجده يوضف الأساطير في كتابه، وللأسطورة عجائبية تزيد من عجائبية ما يرويه عن رحلته ومايصادفه من شعوب وكائنات ومن بين الأساطير التي ذكرها ابن بطوطة، ما وصف به ثمرة " النارجيل "أو جوز الهند ":وهذا الشجر من أغرب الأشجار وأعجبها أمرا، وشجره شبه شجر النخل لا فرق بينهما إلا أن هذه تثمر جوزا وتلك تثمر تمرا وجوزها يشبه رأس ابن أدم...، [2] وأصل هذه الأسطورة أنه كان هناك حكيما من حكماء الهند كان متصلا بملك وكان بينهما عداوة، فقال للملك :إن رأس الوزير إذا قطع ودفن تخرج منه نخلة تثمر لها نفع لأهل الهند، وبعد قطعة أخده الحكيم وغرس نواة تمر في دماغه وعالجها حتى صارت شجرة وأثمرت هذا الجوز»[3] هذا المزج بين ما هو واقعي وما هو أسطوري ما هو خرافي يضفي على مروياته ورحلته بعدا عجائبيا لما تثيره في نفس المتلقي من دهشة وقلق وتردد حول التصديق بحقيقة الأحداث والشخصيات أو عدم التصديق، فتزاوج الحقيقي بالخيالي والواقعي والغير واقعي يجعل العقل في حيرة من تقبل ما يروى له ومن هنا كانت عجائبيته رحلة ابن بطوطة.

لم تقتصر توظيف القصص والأساطير في أدبيات الرحلة على ما جاء به إبن بطوطة حيث زخرت الكتب القديمة بتوظيف الأساطير .مثل ما تعلق يالغول وهو كائن خرافي ظل العرب يعتقدون بوجوده، وذكر هذا المسعودي حين قال بأن الفلاسفة أنهم ظلوا يعتقدون بوجود الغول، وقد روى بعضهم « أن الغول حيوان شاذ من

[1] المرجع نفسه، ص39.

[2] المرجع السابق، ص43.

[3] المرجع نفسه.

جنس الحيوان مشوه لم تحكمه طبيعة، وأنه لما خرج منفردا في نفسه وهيئته توحش في مسكنه، فطلب القفار وهو يناسب الإنسان والحيوان البهيمي في الشكل ».[1]

هذا الإعتقاد بوجود الغول، رافق الرحالة العرب في أسفارهم ومنهم من ذكر رؤيته للغول ومبارزته له ومن بينهم الصحابة فقد «ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه شاهد ذلك في بعض أسفاره إلى الشام، وأن الغول كانت تتغول له وأنه ضربها بسيفه وذلك قبل ظهور الإسلام كما زعم تأبط شرا أنه لقي الغول في مكان بالحجاز يدعي رحا بطان، وجرى بينه وبينها محاربة، وأنه قتلها وحمل رأسها إلى الحي، وعرضها عليهم حتى يعرفوا شدة جأشه وقوة جنانه».[2]

وشغلت الأساطير حيزا كبيرا في مرويات الرحالة وأسفارهم مما يعكس إنفتاح نص الرحلة على العجائبي فالرحالة يخلقون مزيجا بين العديد من المعتقدات والدهنيات نظرا لطبيعاتهم، فهم يتنقلون بشكل دائم وإطلاعهم على ثقافات عديدة يمنحهم القدرة على الخلق الحكائي فيخلقون عالم عجائبي لأحداث حدثت معهم ويشمل هذا حتى وسائل نقل الرحالة فقد يصف وسيلة نقل يجعلها غير طبيعية تخرق المألوف والمعتاد وتشير إلى أن الرحلة ليست سوى متخيلة، وهذا يجعل من تلك الوسائل وسائل عجيبة ومثل هذا ذكر في كتب الرحلات ويمكن الإستدلال على هذا النوع من الوسائل من خلال عرض نموذج النص الرحلي نقلا عن ما تم تقديمه من طرف بشرى مرواني وخولة زواوي في مذكرتها عجائبية السرد في كتاب مئة ليلة وليلة، جاء في نص الحكايات العجيبة والأخبار الغريبة :لقد حملت النعامة من أرض النعام إلى أرض الغربان، فجلست على ظهر تلك النعامة وأمسكت عنقها بيدي فطارت بي بين السماء والأرض وأنا مغلقة العيون، فلما أسفر الصبح قالت لي النعامة افتحي عينيك،

[1] علاوي الخامسة، مرجع سابق، ص98.

[2] المرجع نفسه.

وانزلي فهذه بلد العجوز، طارت النعامة لتطوي في ليلة واحدة المسافات التي كان من المفترض أن تقطعها في سنتين».[1]

ومن كتب الرحلات كتاب الغرناطي، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، الذي تحدث فيه عن الرحلات العجيبة والغريبة ومن ذلك ما جاء في حديثه عن إحدى الجزر «وفي ذلك البحر جزر يسكنها المسلمون وفيها جزيرة كبيرة يقال لها جالطة مملوءة بأغنام سمان مالها صاحب، تقصدها السفن، يأخذون منها مالا نهاية ويذبحونها ويملئون السفن من لحومها ولا تفنى لكثرتها».

كما جاء في كتابه حديث عن جزيرة أخرى عجيبة لما وجد فيها حيث قال «دخلت جزيرة سرنديب، وهي جزيرة عظيمة في وسطها جبل الراهون الذي يزل عليه أدم عليه السلام وحول ذلك الجبل أشجار كثيرة كبار وبين تلك الأشجار حيات كبار كجذوع النخل الحية تبتلع الأدمي والبقر والغنم وتلف حول شجرة من تلك الأشجار العظام فتكسر في جوفها عظام ذلك الحيوان الذي ابتلعته حتى تهضمه فلا يمكن لأحد من الناس أن يصل إلى ذلك الجيل».[2]

هذا الوصف للجزيرتين يمنحهما بعدا عجيبا يبرز مدى ميل الغرناطي إلى الفضاء المتحرك، فقد جعل من البحر واحد من الفضاءات العجائبية الطبيعية من خلال احتوائه على جزر عجيبة، تسكنها مخلوقات عجيبة إما تجعل من الجزيرة مكان رخاء وما هو ما يعرف بالمكان الوردي مثل الجزيرة الأولى في حين مخلوقات مفزعة تجعل من الفضاء الثاني فضاء قفر باعث للوحشية ومصدر فناء وهذه الفضاءات العجائبية، جزء من الصورة العجيبة التي تحيط بنص الرحلات، والتي تكتمل بتنوع عناصر العجيب من شخصيات وأحداث وأماكن.

[1] بشرى مرواني وخولة زواوي: عجائبية السرد في كتاب مئة ليلة وليلة، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، تخصص أدب عربي قديم، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، كلية الأدب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، 2019/2018، ص38.

[2] بشرى مرواني وخولة زواوي: عجائبية السرد في كتاب مئة ليلة وليلة، المرجع السابق، ص38.

وكحوصلة لم تما الاعتماد عليه من أقوال الدراسين لموضوع العجيب في أداب الرحلات وكذا ما تم عرضه من نماذج لبعض الرحالة العرب مثل ابن بطوطة و ابن فضلان، فإننا نجد أن لابد من القول بعجائبية أداب الرحلة، نظرا لما احتوته كتب الرحلات من أحداث ووقائع سمحت بتوسيع دائرة الحلم وتخطى العقل إلى ما وراءه، فإرتياد الرحالة العرب للأفاق واختراقهم للأصقاع البعيدة بحثا عن المغاير والمجهول ومزجهم الخيال بالحقيقة، كل هذا يؤدي إلى صعوبة الفصل بين الواقعي والمتخيل في الحكي، كما أن للمعتقدات الشعبية الأثر الكبير والدور الفعال في خلق وتطور السرد العجائبي، في المحكي العربي، إذ أن للمتخيلة العربية دور فعال أغنى كتب الرحلات بكل ما هو غريب، مدهش، وخارق.

## العجائبي في كتب التفسير

اهتم المسلمون الأوائل بتفسير القرآن الكريم، وكان لابد من التوسع في المعلومات المتعلقة بقصص الأنبياء ولا سيما أنبياء بني إسرائيل، غير أن زادهم في هذا المجال كان قليلا، وكان عليهم أن يعتمدوا على من سبقهم من الأمم والأديان، فقام بهذه المهمة أشخاص عرفوا بإطلاعهم على قصص الأمم السابقة،[1] كانوا معظمهم من الكتابيين الذين اسلموا، والذين نقلوا ما في حوزتهم إلى الثقافة الإسلامية، وكان على رأس هؤلاء وهب بن منبه، وكعب الأحبار، وأبي بن كعب، وكانوا يهودا قبل أن يسلموا، وتميم الداري الذي كان نصرانيا.[2] ولجأ بعض المفسرين إلى القص لتفسير النص القرآني، انطلاقا من القصص القرآني نفسه الذي يتميز بكونه ذا طبيعة خاصة جدا، يلتبس فيه الهدف الديني بالشكل الفني، ولعل سمة التكثيف والاختصار التي تميز قصص القرآن دفعت

[1] ركان الصدفي: الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس الهجري، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2011، ص46.

[2] المرجع نفسه، ص47.

القصاص إلى التحرك بحرية في عالم الخيال لملأ الفراغات التي تركها القصص القرآني، بالاعتماد على كتب الأقدمين الدينية ومخيلة القصاص، لينشأ قصص ديني موازي سمي الإسرائيليات.[1]

واندرجت المرويات الإسرائلية في قصص العامة، وكانت تعني بأخبار الخلق، والجنة والطوفان والأنبياء والرسل، ووجدت لها أيضا صدى كبيرا في تواريخ الطبري والقدسي، والسعودي، واستفحل أمرها عند الثعلبي والكسائي الذين حصاها بكتب قائمة بذاتها، سميت بقصص الأنبياء، وتطورت من أخبار قصيرة، منسوب معظمها إلى كعب الأحبار ووهب بن منبه، وعبد الله بن سلام، إلى مرويات مستفيضة حول بدء الخليفة والنزول من الفردوس وما جرى للأنبياء من مآس في أقوامهم.[2]

لجوء المفسرين إلى القص وأخذهم من المرويات الإسرائيلية كان له الأثر الكبير في تحويل القص القرآني إلى العجائبي وبروز أولى تشكيلات العجائبي في الثقافة العربية الإسلامية في كتب التفسير . إن الحديث عن العجائبي في كتب تفسير القرآن يحي لنا على ثنائية قائمة على تقابل بين العجيب والغريب من جهة، وتفسير القرآن من جهة أخرى، فإن شاع أن العجيب والغريب ينتميان إلى الرواية الموضوعة والأساطير والخرافات وتماشى كلها من مظاهر الإبداع البشري، فقد شاع أن التفسير صدى النص المقدس، الذي قوامه التنزيل والوحي، هذه الثنائية ساهمت بقسط وافر من تجزئة التفكير العربي الإسلامي، وبروز تصورين مختلفين للكون[3]، تصور حافظ من خلاله بعض المفسرين على رؤية محدودة بإطارهم المعرفي الذي لا يخرجون عنه، مثل الزمخشري في الكشاف، الذي كان يتوجه بخطابه التفسيري إلى صفوة الصفوة، فكان تفسيره بذلك انتقائيا معياريا محدودا برؤية العالم عند المعتزلة أي

[1] ن الصدقي: الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس الهجري، مرجع سابق، ص46.

[2] عبد الله إبراهيم: النثر العربي القديم بحث في البنية السردية، الناسية المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، إدارة الثقافة والفنون، قسم الدراسات والبحوث، الدوحة، قطر، ط1، 2002م، (ص22/21).

[3] وحيد السعفي: العجيب والغريب في كتب تفسير القرآن تفسير ابن كثير أنموذجا، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، سورية ط1 2006م، ص44.

الرؤية العقلانية، وتوجه آخر تمثل في المفسرين الذين ذهلوا من المرويات الإسرائيلية ) الإسرائيليات (التي تمثل (الثقافة الضدد)، أي ثقافة الكتاب المحرفة، ثم أن التفسير كان الإطار الذي اكتسبت فيه القصص شرعية ما كان لها أن تكتسبها لولا ما ورد في القرآن من إشارات إلى إحداث ماضية وأمور ذات صلة بالغيب، فإذا القصص تروى وتؤكد، وتسند إلى أصحابها بأساليب مختلفة، وترد إلى الرسول والصحابة والتابعين، وإذا هي الوجه الذي يتبدى من وراء القناع، فيوغل في الغريب، ويتجدر في العجيب، فتصبح الإشارة القرآنية الخاطفة، العجيبة في حد ذاتها، عالما كاملا لم خيال لا محدود له، يستمد عناصره من الموروث الثقافي العربي والأعجمي، الإسلامي، والمسيحي، واليهودي والمحلي، والكوني.[1]

تضمن القرآن كثيرا من العجيب والغريب، على مستوى اللفظ والمعنى والمكان والزمان والحدث وهيكل القصة المبتورة وأبعادها الجمالية، فتناول التفسير كل ذلك، فأول، وزاد وطور، وقلب الأمور ظاهرا وباطنا، حتى استقامت له المعاني، فنتج عن ذلك أدب كثير فيه من عالم الدين نصيب، ومن عالم الميث نصيب، ومن عالم الخيال الشعبي نصيب، ومن عالم الثقافات الأخرى والأديان المتنوعة نصيب أيضا.[2] وبهذا يكون نص التفسير قد استمد مادته وعجائبيته من مناهل عديدة فلم يقتصر على مصدر واحدا فقط بل تعدى ذلك إلى العديد منها فكان ماكان من تحويل لقصص القرآن، وقد أشار ضياء الكعبي إلى ذلك عندما ارجع التحويل النصي الذي قام به المفسرون ومن بينهم الطبري إلى العديد من المرويات حيث قال « وقد كان التحويل النصي الذي قام به الطبري وغيره من المفسرين مصدرا من مصادر القص العجائبي الذي وظفها القصاص والوعاظ والمؤرخون،

[1] ضياء عبد الله خميس الكعبي: تحولات السيد العربي القديم، دراسة في الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل، أطروحة مكملة للحصول على درجة الدكتوراه في اللغة والأدب العربي، كلية الدراسات العليا، جامعة الأردن

[2] وحيد السعفي: مرجع سابق، ص45.

واحسب أن هذا التحويل لم يقتصر في استقاء مادته على الإسرائيليات فقط، وإنما جمع إلى جانب هذه المرويات جانبا كبيرا من تصورات الذاكرة الشعبية ورؤاها للدين والتاريخ».[1]

وأحسب أن هذا التحويل النصي الذي قام به بعض مفسري القرآن يدلنا على أن القصة القرآنية كانت نصا مفتوحا قابلا للتلقي والتأويل في اتجاهات تفسيرية ونصية متنوعة، فقد لتحول القصة الدينية الواحدة إلى روايات نصية متعددة. قول ضياء الكعبي، وقد تنبه محمد اليعلاوي على أن قصة (عصى موسى) كانت منطلقا لسلسلة من الخرافات في شأن مناقبها العجيبة ومآربها الكثيرة، مني أدى إلى أن تتفاعل نصيا مع تفسيرات المفسرين، وكتب الأدب العامة ككتاب (البيان والتبيين ) للجاحظ .[2] وقد يتوسع بعض المفسرين ومنهم الطبري على سبيل المثال، انطلاقا من آية قرآنية واحدة لخلق معطيات عجائبية فالآية القرآنية التي تصف " إرم ذات العماد " لم يذكر أي تفصيل عنها سوى أنها (الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ) .[3] لكن هذا الوصف فتح أمام المفسرين العديد من الآفاق التأويلية، وقد ملأها المفسرون بالكثير من العجائب، والغرائب، تعددت التفسيرات، فنجد تفسير رد الضمير على القبيلة فلم يخلق مثلهم .[4] وتفسيرا آخر جعل منها مدينة عجيبة مثل تفسير الطبري، عندما وصفها بأنها مدينة عجيبة ذات قصور عظيمة مبنية بالأحجار الكريمة.[5] أما ابن كثير فوصفها بالكثير من العجائب و الغرائب حيث وصفها بأنها مبنية بلبن الذهب والفضة، قصورها ودورها وبساتينها، وأن حصباءها لآلي وجواهر وترابها بنادق مسك، وأنهارها ساحرة، وثمارها ساقطة، ودورها لا أنين بها، وسورها وأبوابها تصفر، ليس بها داع ولا مجيب وأنها تنتقل فتارة تكون بأرض الشام، وتارة باليمن، وتارة بالعراق وتارة بغير ذلك من

[1] ضياء الكعبي: مرجع سابق، ص24.

[2] ضياء الكعبي: ص24.

[3] المرجع نفسه.

[4] جديد خيرة: العجائبي في الرواية المغاربية المعاصرة روايات الميلودي شفموم نموذجا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي ص 28.

[5] ضياء الكعبي: ص24.

البلاد) .[1] ونلاحظ المحظور العجائب في هذه التفسيرات فالأوصاف التي وصف بها، إرم ذات العماد، لم تذكر في النص القرآني إنما اختلقها المفسرون انطلاقا من مرجعيات دينية وفكرية أخرى مثل الإسرائيليات وأيضا انطلاقا من تصورات الذاكرة الشعبية والتاريخية، ونجد أن ابن كثير ينسبها إلى الخرافات الإسرائيلية، حيث يرى أن كل هذه الأوصاف من الخرافات التي حشاها الإسرائيليون في تفسيرات القرآن،[2] كما يفرد أيضا ابن كثير ما ذكره الثعالبي وغيره عن الرجل الأعرابي « عبد الله بن قلابة أنه في زمن معاوية ذهب في طلب أباعر له شردت، فبينما هو بتيه في ابتغائها، إذا طلع على مدينة عظيمة لها سور وأبواب، فدخلها فوجد فيها قريبا مما ذكرناه من صفات المدينة الذهبية التي تقدم ذكرها، وأنه رجع فأخبر الناس، فذهبوا معه إلى المكان الذي قال فلم يروا شيئا».[3]

من هنا يتضح أن الكثير من المرويات التي تخضع لبنيات العجائبي بأحداث فوق طبيعية أو أماكن عجيبة ترجع لتفسيرات القرآن الكريم إنما هي من الإسرائيليات التي تعج بالخرافات والأساطير والمعتقدات الدينية البعيدة عن حقيقة النص القرآني المنزل، والحديث عن العجائبي وتجلياته في كتب التفاسير يحيلنا إلى أشهر المفسرين الذين نهلوا من المرويات الإسرائيلية وجعلوا منها مرجعا لهم في تفسيراتهم، والتي أصبحت النواة الأولى التي كان لها الأثر الكبير في دخول العجائبي إلى تفسير القرآن ولعل الطبري والمسعودي والثعلبي وابن كثير من أشهر المفسرين الذين غلب على تفسيراتهم الطابع العجائبي، وسنحاول من خلال ما سنعرضه إكتشاف العالم العجيب، الذي بات عليه التفسير، وذلك بعرض بعض النماذج من تفسير الثعلبي وإبن كثير فيما سنبقى تفسير الطبري للفصل التطبيقي لأنه المدونة التي سنعمل على إبراز العجائبي فيها.

[1] جديد خيرة: مرجع سابق، ص28.

[2] جديد خيرة: المرجع نفسه.

[3]

## العجائبي في تفسير الثعلبي

### عجائبية خلق الأرض:

يعد وجود الخليقة البشرية المشكلة الكبرى التي تواردت عليها الرؤى، وتواترت الإجتهادات...، بدءا من الرؤية الإسرائيلية، وقد كانت ذات حظ عظيم من حيث انتشارها، وتفردها على الساحة الفكرية، حتى وجدنا أكثر المفسرين للقرآن يرددون ما ذكرت الإسرائيليات ترديدا حرفيا...، دون أدنى محاولة تعرض مضمونها على العقل، وتغربل ما حفلت به من خرافات وأساطير.[1]

وجاء في مجالس العرائس للثعلبي أسطورة خلق الأرض، وقد خصص لها سبعة أبواب، لكل باب اسم، بداية في بدء خلق الأرض وكيفيتها، وفي حدود الأرض ومسافتها وأطباقها وسكانها وفي ذكر الأيام التي خلق الله تعالى فيها الأرض وفي ذكر أسمائها وألقابها، في ذكر ما زين الله به الأرض وفي عاقبتها ومالها وآخر حالها، وفي وجود الأرض المذكورة في القرآن، كلها حسب الترتيب من الباب الأول إلى الباب السابع.[2]

وذكر الثعلبي في باب) بدء خلق الأرض وكيفيتها » (روت الرواية بألفاظ مختلفة ومعان متفقة أن الله تعالى لما آراد أن يخلق السموات والأرض، خلق جوهرة خضراء أضعاف طباق السموات والأرض ثم نظر إليها نظر هيبة فصارت، ماء ثم نظر إلى الماء فغلى وارتفع منه زبد ودخان وبخار وأرعد من خشية الله، من ذلك اليوم يرعد إلى يوم القيامة وخلق الله من ذلك الدخان السماء فذلك قوله تعالى » ثم استوى إلى السماء وهي دخان «عملية خلق الكون، وخلق السموات والأرض لم تذكر في النص القرآني كاملة وبشكل منظم متسلسل بل ذكرت بشكل متفرق وفي آيات كثيرة إذ لم تذكر إلا قليلا، لتبقى الصورة غير مكتملة العوالم ومشوشة، هذه الصورة رغم عدم

[1] عبد الصبور شاهين: أبي آدم قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة، دار أخبار اليوم الثقافة جمهورية مصر العربية، دط، دس، ص7.

[2] ابن اسحق أحمد بن محمد ابن إبراهيم الثعلبي: قصص الأنبياء المسمى بالعرائس، ص2، مكتبة النور لتحميل الكتب، https://www.noor-book.com

احتوائها على تفاصيل هذا الخلق إلا أنها أصبحت النواة الأساسية التي إعتمد عليها المفسرين في روايتهم لخلق السماء والأرض وخلق الكائنات، ولجأ الرواة إلى ملئ الفراغ والنقص المحيط بكيفية خلق الكون واعتمد على أخبار وحكايات مأخوذة من ديانات أخرى وكتب أخرى غير القرآن، مثل التواة والمعلوم ما طرأ للكتب السماوية الأخرى من تحريف وتغيير وإضافات تندرج ضمن الأساطير ولم يتم ذكرها في الكتاب الأصلي) القرآن الكريم(، وإعتماد المفسرين والرواة على ما وصل إليهم من هذه الحكايات أدخل حكايات الخلق في عالم العجائبيته وهذا ما هو ملاحظ على حكايات الثعلبي وروايته لعملية خلق الكون، حيث نجده يروى حكاية الخلق بطريقة متسلسلة، يغلب عليها الطابع الأسطوري، ويغلب السرد العجائبي على قصصي الخلق وقصص الأنبياء التي أوردها الثعلبي في كتابه عرائس المجالس.

## العجائبي في كتاب التفسير لإبن كثير

يحتوي كتاب التفسير لإبن كثير على العديد من صور العجائبي، تتجلى من خلال الأخبار والمرويات التي تدرج ضمن الإسرائيليات، حيث نسبها إلى كعب الأحبار ووهب بن منبه، وسنحاول عرض بعض النماذج التي يتجلى فيها العجائبي في تفسير ابن كثير.

جاء في تفسير الآية » فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ «سبأ الآية.14

عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :كان سليمان نبي الله، عليه السلام، إذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول لها :ما اسمك؟ فتقول :كذا، فَيقُولُ لها :لأي شيء، أنت؟ فإن كانت لغرس غرِسَتْ، وإن كانت لدواء كُتبتْ .فبينما هو يصلي ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه، فقال لها :ما اسمك؟ قالت : الخروب .قال :لأي شيء أنت؟ قالت :لخراب هذا البيت، فقال سليمان :اللهم، عم ًعلى الجن موتتي حتى يعلم

الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب .فنحتها عصا، فتوكأ عليها حولا ميتا، والجن تعمل، فأكلتها الأرضة، فتبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولا في العذاب المهين».[1] يتجلى العجائبي في السرد من خلال وصف حوار سليمان مع الشجرة وكيف نبأته بموته وتجلى العجائبي من خلال المدة التي قضاها سليمان متكأ على العصى وهو ميتا، هذا الحدث العجائبي يثير الدهشة عند المتلقي بالنظر إلى طول المدة التي قضاها سليمان واقفا في حين أنه ميت ويتجلى أيضا من خلال حدث عجائبي آخر في تفسيره لأية الكريمة في قوله تعالى: « إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (7) فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (8)».[2] أي :فلما أتاها رأى منظرا هائلا عظيما، حيث انتهى إليها، والنار تضطرم في شجرة خضراء، لا تزداد النار إلا توقدا، ولا تزداد الشجرة إلا خضرة ونضرة، ثم رفع رأسه فإذا نورها متصل بعنان السماء «...هذا الوصف العجائبي يتمثل في تغير طبيعة النار التي ألفها المتلقي وهي أن النار تحرق وتتلف الشجرة وهذا المألوف عنها لكن الوصف الذي صحب الحدث جعل النار تفقد وظيفتها، حين وصف الشجرة بأنها تزداد خضرة ونضرة برغم أن النار تزداد توقدا وهذا هو الحدث العجائبي.

ونكتفي بالنموذجين السابقين ليس لقلتها في الكتاب إنما لكون عرضنا النماذج من أجل إثبات وجود العجائبي في التفسير، لكن فضلنا عدم الإطالة لكثرتها أولا ولطول الكتاب وأيضا لأن موضوع بحثنا ليس تفسير ابن كثير إنما كتاب الطبري جامع البيان عن تأويل القرآن لذا اكتفينا بنموذجين فقط.

[1] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1460هـ/2000م، ص1535.

[2] سورة النمل: الآية (8/7).

## الفصل الثالث: تجليات العجائبي في جامع البيان عن تأويل آي القرآن

- التعريف بالطبري
- ولادته
- تعليمه
- وفاته
- آراء العلماء فيه
- التعريف بالكتاب جامع البيان عن تأويل آي القرآن منهج الطبري في التفسير
- قيمة الكتاب من حيث تناوله للعجيب
- التطبيقي:
- تجليات العجائبي في كتاب جامع البيان عن تأويل آي القرآن

## أبو جعفر الطبري:

### ولادته:

ولد أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري في آمل طبرستان أواخر سنة 224 هـ أو أوائل سنة 225 هـ، حفظ القرآن منذ سن مبكرة واعتنى به والده عناية شديدة، فَجَدَّ في إكمال تعليمه وسمح له في أسفاره وأعانه عليها، كان طوال حياته يمده الشيء بعد الشيء، فيقتات به.[1]

### تعليمه:

رحلة في طلب العلم وهو ابن اثنتى عشر سنة (12 سنة) سنة 236 هـ (ست وثلاثين ومائتين)، وطرف في في الأقاليم[2]، وكانت بغداد عاصمة الدنيا العربية الإسلامية ومعظم العلم والعلماء، يتجه إليها وكان منهم أبو جعفر الطبري حيث شد الرحال إليها ينهل العلم من مناهلها العذبة، تلقى العلم على يد شيوخها أمثال محمد عبد الملك بن أبي الشوارب، وإسحاق بن أبي إسرائيل، وأحمد بن منيع البغوي، ومحمد بن حميد الرازي، ويعقوب بن إبراهيم الدورقي، وعمر بن علي الفلاس، وسفيان بن وكيع ....وغيرهم من علماء الحديث والفقه والتفسير، والعربية والنحو.

وصل الطبري رحلته في طلب العلم حيث أن حضر إلى البصرة فسمع من شيوخها نذكر منهم" محمد بن موسى الحرشي، ومحمد بالأعلى الصنعاني، بشير بن معاذ، ومحمد بن بشار بندار، ومحمد بن المثنى العنزي، وغيرهم[3]، ومن البصرة إلى الكوفة، التي كتب فيها عن أبي كريب محمد بن العلاء الهمداني، وهناد بن السري، وإسماعيل بن موسى السدي، وبعد رحلته في البصرة والكوفة شد الرحال عائدا إلى بغداد حيث لزم المقام بها،

---

[1] أبو جعفر الطبري: جامع البيان عن تأويل آي قرآن ، تحقيق بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، المجلد الأول، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ/ 1994م، بيروت، لبنان، ص9.

[2] محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، الجزء الأول مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، (د س) ، (د ط)، ص147.

[3] أبو جعفر الطبري: جامع البيان عن تأويل آي قرآن، ص10.

وتفقه على مذهب الإمام الشافعي، مكث ببغداد طويلا حتى وافته المنية بها، غير أنه قام ببعض الرحلات في طلب العلم، منها رحلته إلى مصر والشام بين (253هـ -256هـ)، وعودته القصيرة إلى مسقط رأسه طبرستان سنة 290هـ[1].

## وفاته:

متى في ما ذكره أبو بكر الخطيب يوم السبت لأربع بقين من شوال سنة عشر وثلاثمائة (310هـ) ودفن يوم الأحد بالغداة في دار برحبه يعقوب، وقيل دفن ليلا.

خوفا من العامة لأنه يهتم بالتشيع، وفي قول آخر ينسب الى الخطيب، فإنه لم يؤذن به احد، فاجتمع على جنازته من لا يحصى عددهم إلا الله، وصلى على قبره عدة شهور ليلا ونهارا، ورثاه خلق كثير من أهل الدين والأدب.[2]

## مكانته العلمية:

كان ابن جرير أحد الأئمة الأعلام، يُحكم بقوله ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره [3]، فكان حافظا لكتاب الله بصيرا بالقرآن، عارف بالمعاني، فقيها في أحكام القرآن، عالما بالسنن وطرقها، وصحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفا بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المخالفين في الأحكام، ومسائل الحلال والحرام، عارفا بأيام الناس وأخبارهم[4]، وبرع ابن جرير الطبري في علوم كثيرة، منها، علم القراءات والتفسير والحديث والفقه والتاريخ وقد صنف في علوم كثيرة وأبدعت تأليف

[1] المرج بو جعفر الطبري: جامع البيان عن تأويل آي قرآن، مرجع سابق، ص10.

[2] ياقوت الحموي الرومي: معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق حسان عباس، ج1، ط1، 1993، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص2441.

[3] محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، مرجع سابق، ص147.

[4] المرجع نفسه ص148.

وأجاد فيما صنف فمن مصنفاته :كتاب التفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن، وكتاب التاريخ المعروف بتاريخ الأمم والملوك وهو من أمهات المراجع وكتاب القراءات والعدد والتنزيل وكتاب اختلاف العلماء وتاريخ الرجال من الصحابة والتابعين وكتاب أحكام شرائع الإسلام، ألفه على ما أداه اجتهاده وكتاب التنصير في أصول الدين...[1] اعتبر الطبري أبا للتفسير كما اعتبر أبا للتاريخ الإسلامي وذلك بالنظر إلى ما في كتاب تفسير جامع البيان وكتاب تاريخ الأمم والملوك من الناحية العلمية العالية.

## أقوال العلماء في الطبري:

ونرى من المفيد أن نقتطف هنا أراء العلماء والنقاد من من عصره وجاء بعده لما لذلك من أهمية في توثيقه وبيان فضله ومنزلته وعلو مرتبته اتساع دائرة علمه.

- ✓ قيل أحد أئمة العلماء يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظا لكتاب الله عز وجل وعارفا بالقرآن بصيرا بالمعاني وفقيها في أحكام القرآن، عالما بالسنن وطرقها وصحيحها ومقيمها وناسخها ومنسوخها، عارفا بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المخالفين في الأحكام ومسائل الحلال والحرام، عارفا بأيام الناس وأخبارهم وله الكتاب المشهور في تاريخ الأمم والملوك، وكتاب في تفسير القران لم يصنف أحد مثله، وكتاب سماه " تهذيب الإثارة " لم أى سواء في معناه، لم يتممه وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة واختياره من أقاويل الفقهاء وتفرد بمسائل حفظت عنه.
- ✓ قال الخطيب: وسمعت على بن عبيد الله اللغوي السمسمي يحكى أن محمد بن جرير مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة، قال :وقال أبو حامد الإسفراييني الفقيه :لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل على كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيرا أو كلاما هذا معناه.

[1] المرجع نفسه.

- ✓ وحدث عن القاضي أبي عمر عبيد الله بن أحمد السمسار وأبي القاسم بن عقيل الوراق أن أبا جعفر الطبري قال لأصحابه " :أتنشطون لتفسير القرآن؟ قالوا" :كم يكون قدره؟ قال :ثلاثون ألف ورقة، ثم قال :هذا ما دفن الأعمار قبل تمامه، فاختصره في نحو ثلاث آلاف ورقة، ثم قال تنشطون لتاريخ العالم من ادم إلى وقتنا هذا؟ قالوا :كم قدره؟ فذكر نحوا مما ذكره في التفسير، فأجابوه بمثل ذلك، فقال :إن لله ماتت الهمم، فاختصره في نحو مما اختصر التفسير.
- ✓ وحدث فيه أسنده إلى أبي بكر بن بالويه قال، قال لي انك كتبت التفسير عن محمد بن جرير، قلت : كتبت التفسير عنه إملاء، قال :كله؟ قلت :نعم، قال :أي سنة؟ قلت من سنة ثلاث وثمانين إلى سنة تسعين، قال :فاستعارهم من أبي بكر و رده بعد سنين[1]، ثم قال: نظرت فيه من أوله إلى آخره، وما أعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير، ولقد ظلمته الحنابلة، قال :وكانت الحنابلة تمنع (منه) لا تترك أحدا يسمع عليه.
- ✓ كما حدث عبد الله بن أحمد بن جعفر الفرغاني بكتابه المعروف " كتاب الصلة "وهو كتاب وصل به تاريخ ابن جرير :أن قوم من تلاميذ ابن جرير حصلوا أيام حياته منذ بلغ الحلم إلى أن توفي وهو ابن ست وثمانين، ثم قسموا عليها أوراق مصنفاته .فصار منها على كل يوم أربع عشرة ورقة، وهذا شيء لا يتهيأ لمخلوق إلا بحسن عناية الخالق، وفرغ من تصنيف كتاب التاريخ ومن عرضه عليه في يوم الأربعاء لثلاث بقين".[2]

من شهر ربيع الآخر سنة و ثلاث وثلاثمائة، وقطعه على آخر سنة اثنين وثلاثمائة.

[1] ياقوت الحموي الرومي، معجم الأدباء، إرشاد الأدبي لمعرفة الأديب، ج1، ط1، 1993، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص2442.

[2] ياقوت الحموي، ص2443.

وقد وجدت على جزء من " كتاب التفسير "لابن جرير بخط الفرغاني ما ذكر فيه قطعه من تصنيف ابن جرير فنقلته على صورته لذلك وهو :قد أجزت لك يا علي بن عمران وإبراهيم بن محمد ما سمعته من أبي جعفر الطبري رحمه الله من كتاب التفسير المسمى بـ جامع البيان عن تأويل أي القران، وكتاب تاريخ الرسل والأنبياء والملوك والخلفاء، والقاطعين من الكتاب ولم أسمعه وإنما أخذت إجازة، وكتاب تاريخ الرجال المسمى بديل المذيل، وكتاب القراءات وتنزيل القرآن، وكتاب لطيف القول وخفيفة بشرائع الإسلام، وما سمعته من كتاب التهديد من مسند العشر من مسند ابن عباس إلى حديث المعراج وكتاب أدب القضاة والمحاضر والسجلات، وكتاب اختلاف علماء الأمصار فاليرويا ذلك عني، كتب عبد الله بن أحمد الفرغاني بخطوط في شعبان سنة ست وثلاثين وثلاثمائة.

وأما أبو علي الحسن بن علي الأهوازي المقرئ في " كتاب الإقناع " في إحدى عشرة قراءة قال :كان أبو جعفر الطبري عالما بالفقه والحديث والتفاسير والنحو واللغة والعروض، له في جميع ذلك تصانيف فك بها عن سائر المصنفين، وله في القراءات كتاب جليل كبير رأيته في ثماني عشرة مجلدة إلا (انه) كان بخطوط كبار ذكر فيه جميع القراءات عن المشهور ولم يكن منتصبا للأقراء ولا قرأ عليه أحد إلا احد من الناس كالصغار شيخ كان ببغداد من الجانب الشرقية يروي عنه رواية عبد الحميد بن بكار عن ابن عامر.[1]

وإما القراءة عليه باختياره فاني ما رأيت أحدا اقرأ به غير أبي الحسين الجبي وكان ضنينا به، ولقد سألته زمان حتى أخذ علي به وقال :ترددت إلى أبي جعفر نحوا من سنة أسأله ذلك زمان حتى اجرمت عليه وسألته، وكنت كتسمعت منه صدرا من كتبه فأخذه على جهته وقال :لا تنسى بها إلي وأنا حي، فما قرأت بها أحدا حتى مات رحمه الله في شوال سنة عشر وثلاثمائة، وقال أبو الحسين الجبي .ما قرأ به الاثنين وأنت ثالثهم، ولا قرأ عليه أحدا إلا إن مات سنة ثمانين وثلاثمائة[2].

[1] ياقوت الحموي،ص2444.

[2] ياقوت الحموي، ص2445،2444.

وقرأت بخط أبي سعد بإسناده رفعه إلى أبي العباس البكري من ولد أبي بكر الصديق قال :جمعت الرحلة بين محمد ابن جرير الطبري ومحمد بن إسحاق بن خزيمة ومحمد بن نصر المروزي ومحمد بن هارون و الروياني بمصر وافتقروا ولم يبقى عندهم ما يموٴهم وأضر بهم الحال، فاجتمعوا ليلة في منزل كانوا إليه واتفقوا على أن يستهموا فمن خرجت عليه القرعة إلى الناس لأصحابه الطعام، تخرج القرعة على محمد بن إسحاق بن خزيمة فقال لأصحابه :أمهلوني حتى أتوضأ وأصلي صلاة الخيرة، فندفع بالصلاة فإذا هم بالشموع وحضي من قبل والي مصر يدق عليهم، فأجابوه وفتحو له الباب فقال :أيكم محمد بن نصر؟ فقيل هذا، وأشاروا إليه، فأخرج صرة فيها خمسون دينارا فدفعها إليه، وقال :أيكما محمد بن جرير؟ فأشاروا إليه فدفع إليه خمسين دينارا ودفعها إليه، وقال : أيكم محمد بن هارون ؟ فقيل هذا، فدفع إليه مثلها، ثم قال :وأيكم محمد بن إسحاق بن خزيمة؟ فقيل هو ذا يصلي، فلما فرغ من صلاته دفع إليه صرة فيها خمسون دينارا ثم قال[1]: " إن الأمير كان قائلا فرأى في النوم خيالا أو طيفا يقول له :إن المحامد طووا كشحهم، فبعث بهذه الصرر، وهو يقسم عليكم إذا نفذت أن تبعثوا إليه ليزيدكم ".

وقال أبو بكر ابن كامل :جئت إلى أبي جعفر قبل المغرب ومعي ابني أبو رفاعة وهو شديد العلة، فوجدت تحت مصلاه " كتاب فردوس الحكمة "لعلي بن ربن الطبري سماعا له :فمددت بيدي لأنظره، فأخذه ودفعه إلى الجارية وقال لي :هذا) ابنك (فقال قلت :نعم، قال :ما اسمه؟ قلت :عبد الغني، قال :أغناه الله، وبأي شيء كنيته؟ قلت :بأبي رفاعة، قال :رفعه الله، أف لك غيره؟ قلت :نعم أصغر منه، قال :ما اسمه؟ قلت :عبد الوهاب أبو علي، قال :أعلاه الله، لقد اخترت الكنى والأسماء، ثم قال لي :كم لهذه السنة؟ قلت :تسع سنين، قال : لم تسمعه مني شيئا؟ قلت :كرهت صغره وقلة أدبه، فقال لي :حفظت القران ولي سبعه سنين، وصليت بالناس وأنا ابن ثماني سنين، وكتبت الحديث وأنا ابن تسع سنين، ورأى لأبي في النوم أنني بين يدي رسول الله صلى الله عليه

[1] ياقوت الحموي، ص2445.

وسلم، وكان معي مخلاة مملوءة بالحجارة وأنا ارمي بين يديه، وكان له المعبر :أنت كبر نصح في دينه وذب عن شريعته، فحرص أبي على معونتي على طلب العلم وأنا حينئذ صبي صغير.

قال ابن كامل :فأول ما كتب الحديث ببلده، ثم بالري وما جاورها وأكثر من الشيوخ حتى يحصل كثيرا من العلم، وأكثر من محمد بن حميد الرازي ومن المثنى بن إبراهيم الابلي وغيرهما.

قال أبو جعفر :كنا نكتب عند محمد بن حميد الرازي فيخرج إلينا في الليل مرات ويسألنا عما كتبناه ويقرأ علينا، قال :وكنا نمضي إلى أحمد بن حماد الدولابي، وكان في قرية من قرى الري بينهما وبين الري قطعه، ثم نعوده كالمجانين حتى نصير إلى ابن حميد فنلحق مجلسه، وكتب عن أحمد بن حماد " كتاب المبتدأ والمغاري "عن سلمة بن المفضى عن محمد بن إسحاق عليه من تاريخه".[1]

قال المؤلف :وقد كان أبو بكر الخطيب هذه الحكاية في ترجمة محمد بن حرب إلا أنني نقلتها من كتاب السمعاني، و سأله يوما سائلا عن نسبه فقال :محمد بن جرير، فقال السائل :زدنا في النسب فانشد لرؤية:

قد رفع العجاج ذكرى فادعني

لاسمي إذا الأنساب طالت يكفني

قال القاضي ابن كامل :كان مولده في آخر سنة أربع وعشرون ومائتين أو أول سنة خمس وعشرين ومائتين، قال ابن كامل فقلت له كيف وقع لك الشك في ذلك؟ فقال :لأن أهل بلدنا يؤرخون بالأحداث دون السنين، فأرخ مولودي بحدث كان في البلد، فلما نشأت سألت عن ذلك الحادث فاختلف المخبرين لي فقال بعضهم كان ذلك في آخر سنة أربع، وقال آخرون :بل كان في أول سنة خمس وعشرون ومائتين، وكان مولده بأمل طبرستان وهي قصة طبرستان.[2]

[1] ياقوت الحموي، ص2446.

[2] ياقوت الحموي، ص2445.

وقال أبو جعفر :جئت إلى أبي حاتم السجستاني، وكان عنده حديث الأصمعي عن أبي زائد عن الشعبي في القياس، فسألته عنه فحدثني به، وقال لي أبو حاتم :من أي بلد أنت؟ فقلت :من طبرستان، فقال :ولما سميت طبرستان؟ فقلت لا أدري، فقال لما افتتحت وابتدأ ببنائها كانت أرض ذات شجر، فالتمسوا ما يقطعون به الشجر، فجاءهم بهذا الطبر الذي يقطع به الشجر فسمي الموضع به.[1]

وقد قال الإمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة المتوفى سنة 311 الحسين بن علي التميمي المعروف بحسينك لما عاد من رحلته إلى بغداد و لم يسمع من أبي جعفر الطبري، لو سمعت منه لكان خيرا لك من جميع من سمعت من سواء "وقال في موضع آخر " :ما أعلم على أديم الارض اعلم من محمد بن جرير."

وقال أبو علي الطوماري :كنت أحمل القنديل في شهر رمضان بين يدي أبي بكر بن مجاهد إلى المسجد لصلاة التراويح، فخرج ليلة من ليالي العشر الأواخر من داره و اجتاز على المسجد فلم يدخله وأنا معه وسار حتى انتهى إلى آخر سوق العطش توقف باب مسجد محمد بن جرير، ومحمد يقرأ سورة الرحمن، فاستمع قراءته طويلا ثم انصرف، فقلت له :يا استاذ تركت الناس ينتظرونك وجئت تسمع قراءة هذا؟ فقال :يا أبا علي دع هذا عنك، ما ظننت أن الله تعالى خلق البشر يحسن قراءة هذه القراءة.

وقال ابن مجاهد أيضا :قال أبو العباس يوما :من بقي عندكم من النحويين؟ فقلت :ما بقى أحد، مات الشيوخ، فقال :حتى خلى جانبكم؟ قلت :نعم إلا أن يكون الطبري الفقيه، فقال لي :ابن جرير؟ قلت :نعم، قال :من حداق الكوفيين، قال أبو بكر بن مجاهد "هذا من أبي العباس كثير، لأنه كان شديد النفس شرس الأخلاق وكان قليل الشهادة لأحد بالحذق في علمه."

[1] ياقوت الحموي، ص2446.

قال أبو سعيد بن يونس ":محمد بن جرير من أهل آمل، كتب بمصر، ورجع إلى بغداد وصنف تصانيف حسنة تدل على سعة علمه ".[1]

كتب عن ابن حميد فوق مائة ألف حديث.

قال أبو جعفر :كان يقرأ علينا ابن حميد من التفسير، فإذا بلغ إلى قوله عز وجل ":وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك" قال ":أو يجرحوك "الانفال.30

ثم دخل أبو جعفر إلى مدينة السلام وكان نفسه أن يسمع من أبي عبد الله أحمد بن حنبل فلم يتفق له ذلك بموته قبيل دخوله ألينا، وقد كان عبد الله قد قطع الحديث قبل ذلك بسنين، فأقام أبو جعفر بمدينة السلام وكتب عن شيوخها فأكثر، ثم انحدر إلى البصرة فسمع من كان بقي من شيوخها في وقته :كمحمد بن موسى الحرشي وعماد بن موسى القزاز ومحمد بن عبد الأعلى الصنعاني وبشر بن معاذ وأبي الأشعث ومحمد بن بشار بندار ومحمد بن المثنى وغيرهم فأكثر، وكتب في طريقه عن شيوخ الواسطيين، ثم صار إلى الكوفة فكتب فيها عن أبي كريب وهناد بن السري وإسماعيل بن موسى وغيرهم[2] . وقال هارون بن عبد العزيز :قال أبو جعفر لما دخلت مصر لم يبقى احد من أهل العلم إلا لقيني امتحنني في العلم الذي يتحقق به، فجاءني يوما رجل يسأل عن شيء من العروض، ولم أكن نشطت له قبل ذلك، فقلت له :علي قول ألا أتكلم اليوم في شيء من العروض، فإذا كان في غد فصر إلي، وطلبت من صديق إلي العروض للخليل بن أحمد فجاء به، فنظرت فيه ليلتي فأمسيت غير عروضي وأصبحت عروضيا.[3]

وكان أبو بكر أحمد بن كامل القاضي تلميذه المتوفى سنة 350 هجري:

[1] د، بشار عواد، تفسير الطبري من كتاب جامع البيان عن تأويل القرآن المجلد الأول، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1994، ص12.

[2] ياقوت الحموي، ص2447.

[3] ياقوت الحموي، ص2449.

" أربعة كنت أحب بقائهم :أبو جعفر بن جرير، والبربري، وأبو عبد الله بن أبي خيثمة، والمعمري، فما رأيت افهم منهم ولا أحفظ ".

وقال في موضع آخر ": لم أرى بعد ابي جعفر أجمع للعلم وكتب العلماء ومعرفة اختلاف الفقهاء وتمكنه من العلوم منها."

وقال أبو محمد عبد الله بن أحمد الفرغاني المتوفى سنة 362 وكان مما لا تأخذه في الله لومة لائم مع عظيم من يلحقه من الاذى و الشناعات من جاهل وحاسد وملحد فأما أهل الدين والعلم فغير منكرين علمه وزهده في الدنيا ورفضه لها وقناعته رحمه الله بما كان يرد عليه من حصة من ضيعة خلفها له أبوه بطبرستان يسيرة."

وقال أبو محمد عبد العزيز بن محمد الطبري :كان أبو جعفر من الفضل والعلم والذكاء والحفظ على ما لا يجهله أحد عرفه، لجمعه من علوم الإسلام ما لم نعلمه اجتمع لأحد من هذه الأمة ولا ظهر في كتب من كتب المصنفين وانتشر من كتب المؤلفين ما إنتشر له وكان راجحا في علوم القرآن والقراءات وعلم التاريخ من الرسل والخلفاء والملوك واختلاف الفقهاء ...و قد كان له قدم في علم الجدل يدل على ذلك مناقضاته في كتبه على المعارضين لمعاني من أتى به وكان فيه من الزهد والورع والخشوع والأمانة وتصنيفيه الأعمال و الصدق النية وحقائق الأفعال من دل عليه كتابه في آداب النفوس، وكان يحفظ الشعر للجاهلية والإسلام ما لا يجهله إلا جاهل به..."[1].

وكان خليا عن الدنيا تاركا لها ولأهلها، يرفع نفسه عن إلتماسها، وكان كالقارئ الذي لا يعرف إلا القرآن، والمحدث الذي لا يحدث إلا الحديث، وكالفقيه الذي لا يعرف إلا الفقه، وكالنحوي الذي لا يعرف إلا النحو، وكالمحاسب الذي لا يعرف إلا الحساب، وكان عاملا للعبادات جامعا للعلوم، وإذا جمعت بين كتبه وكتب غيره وجدت لتشبه فضلا على غيرها.

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تح: بشار عواد معروف، عصام فارس الحرستاني، ص13.

وقال الحافظ أبو بكر محمد بن علي الخطيب البغدادي استوطن الطبري بغداد وأقام بها إلى حين وفاته، وكان أحد أئمة العلماء يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله ، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره . وكان حافظا لكتاب الله عارفا بالقراءات بصيرا بالمعاني، فقيها في أحكام القرآن بالسنن وطرقها ،وصحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها ،عارفا بأقوال الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من الخالفين في الأحكام ، ومسائل الحلال والحرام ، عارفا بأيام الناس وبأخبارهم.

وقال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي ":وكان قد جمع من العلوم ما رأس به أهل عصره، وكان حافظا للقران، بصيرا بالمعاني، عالما بالسنن، فقيها في الأحكام، عالما باختلاف العلماء، خبيرا بأيام الناس وأخبارهم "[1].

وقال جمال الدين القفطي ":العالم الكامل الفقيه المقري النحوي اللغوي الحافظ الأخباري، جامع العلوم، ما لم يرَّ في فنونه مثله."

وقال القاضي شمس الدين بن خلكان ":كان إماما في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك، وله مصنفات مليحة في فنون عديدة تدل على سعة علمه وغزارة فضله، وكان من الأئمة المجتهدين، لم يقلد أحد ...وكان ثقة في نقله، وتاريخه أصح التواريخ وأثبتها."

وقال مؤرخ الإسلام الحافظ شمس الدين الذهبي ":الإمام العلم المجتهد، عالم العصر، صاحب التصانيف البديعة ... كان من كبار أئمة الاجتهاد ...كان ثقة، صادقا حافظا، رأسا في التفسير إماما في الفقه والاجتماع والإختلاف، علامة في التاريخ وأيام الناس عارفا بالقراءات وباللغة، وغير ذلك"[2].

**التعريف بكتاب جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري:**

جامع البيان عن تأويل آي القرآن، هو كتاب باللغة العربية، يتناول موضوع تفسير القرآن الكريم، بدأ الأمام ابن جرير الطبري بتأليفه للكتاب عام 270 للهجرة، " أملاه ببغداد ابتداء من سنة 283 هجري وانتهى من إملائه

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تح: بشار عواد معروف، عصام فارس الحرستاني، ص14.

[2] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تح: بشار عواد معروف، عصام فارس الحرستاني ، ص15.

سنة 2090 هجري، فجاء أجل تفسير على الإطلاق"[1] وقد كان الطبري يرغب في كتابة تفسير للقرآن منذ طفولته، فقد كان بمثابة الحلم بالنسبة له، لهذا فقد خصص وقتا وجهدا كبيرا لتحقيقة وقد نجح في ذلك، ليكون أقدم كتاب لتفسير القرآن الكريم.

لهذا يعد كتاب جامع البيان من الكتب الأكثر أهمية في علم التفسير عبر التاريخ، فقد وضعه العديد من العلماء على رأس قائمة أفضل كتب التفسير و أعظمها عند أهل السنة والجماعة .ويعتبر من أهم المراجع في التفسير بالمأثور وهو التفسير بالاعتماد على القرآن نفسه، و بالسنة النبوية والآثار عن الصحابة.

فعنوان الكتاب هو جامع البيان عن تأويل آي القرآن ويعرف أيضا بمجموعة من الأسماء الأخرى من بينها:

- جامع البيان في تأويل القرآن
- جامع البيان في تفسير القرآن
- تفسير الطبري

فهذا الكتاب يعرض فيه الأمام الطبري آية من القرآن الكريم يذكر بعدها شرحها وتفسيرها وذلك بالعودة إلى أقوال الصحابة والتابعين، ثم يرجح بينها.

" طبع الكتاب كاملا بالمطبعة اليمنية بمصر سنة1321 ، ثم بمطبعة بولاق السنة (1330-1323) وغيرهما، وأخرج منه العلامة المحقق الأديب الكبير محمود شاكر ستة عشر مجلد طبعت في دار المعارف بمصر ثم توقف عن إتمامه وأعيد نشره عن هذه الطبعات عشرات المرات بطريقة التصوير" [2]"ذكر فيه من كتب التفاسير المصنفة عن ابن عباس خمسة طرق، وعن سعيد بن جبير طريقتين، وعن مجاهد بن جبر ثلاثة طرق، وعن الحسن البصري ثلاثة طرق، وعن عكرمة ثلاثة طرق، عن الضحاك بن مزاحم طريقتين، وعن عبد الله بن مسعود طريقا، وتفسير عبد

[1] أبو جعفر الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: بشار عواد معروف وعصام الحرستاني، المجلد1، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع 1415-1994، بيروت لبنان، ص15.

[2] محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ص160.

الرحمن بن زيد بن أسلم، وتفسير بن ابن جريج، وتفسير مقاتل بن حيان، وغيرهم وفيه من المسند حسب حاجته إليه، ولم يتعرض لتفسير غير موثوق" .

**منهج الطبري في التفسير:**

يعد تفسير ابن جرير الطبري من أجل التفاسير وأعظمها شأنا، لهذا اعتبر هذا الكتاب أبا لتفسير وشيخا للمفسرين، فهو أمام في القراءات والحديث واللغة، وكذا أمام في معرفة أقوال السلف ومذاهبهم.

فقد جاء تفسيره للقرآن معبرا عن ثقافته الواسعة، فهو ينقل بأسانيده المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته وتابعيهم من أئمة التفسير، ويذكر اختلاف القراءات ويبين وجوه الإعراب، وهو لا يكتفي بالنقل بل يحقق ويمحص ويجلل ويوجه ما يراه قويا.

وعلى ذلك يكون الإمام الطبري قد أصل علم التفسير تأصيلا راسخا موضوعيا يعتمد الأثر واللغة والنظر :في منهجه يجمع بين الخطين الأساسيين في التفسير قبله :خط التفسير بالمأثور القائم على النقل والرواية، وخط التفسير البياني القائم على اللغة والبيان، فهو يوظف الأثر واللغة والنظر، وهو خير من يمثل منهج التفسير الأثري النظري.[1]

وقد قدم ابن جرير تفسيره بمقدمة تكشف عن منهجه في التفسير فبين شرف علم التفسير :فهو أحق ما صرفت إلى علم العناية، وبلغت في معرفته الغاية، لأن الله في العلم به رضا، وللعالم به إلى سبيل الرشاد هدى.[2]

[1] بتعرف بالخالدي: صلاح عبد الفتاح: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين دار القلم، دمشق، ط1، 2002، ص357-358.

[2] الطبري محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تح: صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، ط1، 1995، ج1، ص16.

**وتتجلى طريقة الطبري في التفسير من خلال:**

- اعتماده على تفسير الآيات، حيث يقول) القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا (ثم يفسر الآية ويستشهد على ما قاله بما يرويه بسنده إلى الصحابة والتابعين من التفسير المأثور عنهم في هذه الآية (...)فهو لا يقتصر على مجرد الرواية، بل نجده يتعرض لتوجيه الأقوال.[1]

ومن خلال هذا يتضح لنا أن الطبري لم يقف في تفسيره عند حدود التفسير بالمأثور، وإن كان أماما فيه، بل تجاوزه إلى الاجتهاد بالرأي على نحو يدل على استقلال فكرة وعنق رأيه فكان تفسيره تفسيرا اثريا وعقليا يعتمد الرأي أصلا جوهريا في منهجه، ويجعل من المعنى الظاهر ومن المأثور منطلقا للغوص في دقائق المعنى القرآني وأسراره.[2]

- ومن جهة أخرى نراه ينكر و بشدة على من يفسر بمجرد الرأي، أي تفسير القرآن بمجرد الرأي فحسب حيث قال :أن ما كان من تأويل آي القرآن، الذي لا يدرك علمه إلا بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم.[3]

فهو يشدد على ضرورة الرجوع إلى العلم الراجع إلى الصحابة أو التابعين والمنقول عنهم نقلا صحيحا، ويرى أن ذلك وحده هو علامة التفسير الصحيح فمثلا عند قوله تعالى﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ الآية49[4]، نجده يذكر ما ورد في تفسيرها عن السلف مع توجيهه للأقوال

وتعرضه للقراءات بقدر ما يحتاج إلى تفسير الآية، ثم يعرج بعد ذلك على من يفسر القرآن برأيه، وبدون اعتمادا منه على شيء إلا على مجرد اللغة.

---

[1] محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، مكتبة القاهرة،ج1، ص151.

[2] ينظر الدريني فتحي: دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر، دار قصبة بيروت، ط1، 1988، ج1، ص210-233-277.

[3] محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، ص151.

[4] سورة يوسف، ص49.

- اعتماده على ذكر الروايات بأسانيدها، فنجده عند تفسيره لقوله تعالى﴿قَالُواْ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ ﴾ الكهف الآية94 ، يقول روي عن عكرمة في ذلك –يعني في ضم سين) سدًا (
- وفتحها –ما حدثنا به أحمد بن يوسف قال :حدثنا القاسم قال :حدثنا حجاج، عن هارون، عن أيوب، عن عكرمة قال :ما كان من صنعة بني آدم هو السد يعني بفتح السين.[1]
- إعطاءه قيمة كبيرة لإجماع الأمة في اختيار ما يذهب إليه في التفسير يقول في سورة البقرة ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ﴿٢٣٠﴾ ﴾الأية 230 ويقول ما نصه :فإن قال قائل :فأي النكاحين عنى الله بقوله:﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ﴾ النكاح هو جماع؟ أم النكاح هو عقد تزويج؟ قيل كلاهما، وذلك أن المرأة إذا نكحت زوجا نكاح تزويج ثم لم يطأها في ذلك النكاح ناكحها، ولم يجامعها حتى يطلقها لم تحلل الأول، وكذلك أن وطائها واطئ بغير نكاح لم تحلل الأول لإجماع الأمة جميعا.[2]
- اهتمام الطبري بالقراءات القرآنية، ورفضه للقراءات التي لم ترد عن أئمة القراءات المشهود لهم :يعني بذكر القراءات وينزلها عن المعاني المختلفة وكثيرا ما يرد القراءات التي لا تعتمد على الأئمة الذين يعتبرون عنده وعند علماء القراءات حجة فمثلا عند قوله تعالى :﴿وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً ﴾الأية 82[3] ، يذكر أن عامة قراء الأمصار قرأوا) الريحَ (بالنصب على أنها مفعول ل) سخرنا (المحذوف، و أن عبد

[1] محمد حسين الدهبي: التفسير والمفسرين، مكتبة القاهرة، مصر (د،س)، (د، ط)، ج1،ص152.

[2] محمد حسين الذهبي: ص153.

[3] سورة الأنبياء، الآية 81.

الرحمن الأعرج قرأ) الريحُ (بالرفع على أنها مبتدأ ثم يقول :والقراءة التي لا استجيز القراءة بغيرها في ذلك ما عليه قراء الأمصار لإجماع الحجة على القراء عليه.[1]

- اعتماده في التفسير على الإتيان بأخبار مأخوذة من القصص الإسرائيلي يرويها بإسناده إلى كعب الأحبار ووهب بن منبه، وابن جريج والسدي وغيرهم، ومن الأسانيد التي تستدعي النظر، هذا الإسناد حدثني ابن حميد قال :حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن أبي عتاب- رجل من ثعلب -كان نصرانيا عمرا عن دهره ثم أسلم بعد فقرأ القرآن وفقه في الدين (...)وهكذا يكثر ابن جرير من رواية الإسرائيليات، ولعل هذا راجع إلى ما تأثر به من الروايات التاريخية التي عالجها في بحوثه التاريخية الواسعة.[2]

- انصرافه عن الاهتمام بالأمور التي لا فائدة منها، عكس غيره من المفسرين كما نراه عند تفسير قوله تعالى :﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾الأية20 [3]، يعرض لمحاولات قدماء المفسرين في تحديد عدد الدراهم، هل هي عشرون؟ أو اثنان

- وعشرون؟ (...)إلى آخر ما ذكره في الرويات، ثم يعقب على ذلك بقوله) الصواب من القول أن يقال : إن الله تعالى أخبر أنهم باعوه بدراهم معدودة غير موزونة (...)وليس في العلم بمبلغ وزن ذلك فائدة تقع في دين ولا في الجهل به دخول ظرفية، وما عداه في موضوع عنا تكلف علمه.[4]

- اعتباره أن القول المأثورة والاستعمالات اللغوية مرجعا موثوقا يرجع إليها في تفسيره للعبارات المشكوك فيها فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى في سورة هود:(حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن

[1] محمد حسين الذهبي: ص153.

[2] محمد حسين الذهبين، التفسير والمفسرون، ص154.

[3] سورة يوسف الآية 20.

[4] محمد حسين الذهبين، التفسير والمفسرون، ص155.

كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ )

الأية 40 [1] نراه يعرض لذكر الروايات عن السلف في معنى لفظ التنور فيروي لنا

- قول من قال التنور عبارة عن وجه الأرض وقوله من قال إنه عبارة عن تنوير الصبح وقول من قال إنه عبارة عن أعلى الأرض وأشرفها ثم يقول بعد أن يفرغ من هذا كله وأولى هذه الأقوال عندنا بتأويل قوله التنور هو الذي يختبر فيه لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب وكلام الله لا يوجه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب[2].

رجوعه إلى الشواهد من الشعر القديم بشكل واسع.

فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى من سورة البقرة " فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ "الأية 22[3]

يقول ما نصه قال أبو جعفر والأنداد جمع ند والند والمثل كما قال حسان بن

ثابت:

أتهجوه ولست له بند

فشر كما لخير كما الفداء.

اهتمام الطبري بالمذاهب النحوية من البصريين والكوفيين في النحو والصرف فمثلا عند قوله تعالى في سورة إبراهيم"مَّثَلُ" ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَـٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ " الأية 18[4] ي يقول ما نصه :اختلف أهل العربية في

[1] سورة هود الآية 40

[2] محمد حسين الذهبي، التفسير و المفسرون، ص155.

[3] سورة البقرة الآية 22.

[4] سورة إبراهيم الآية 18.

رافع) مثل (فقال بعض نحويين البصرة :اختلف أهل العربية في رافع) مثل (فقال نحويين البصرة :إنما هو كأنه كان ومما نقص عليكم مثل الذين كفروا وكان بعض نحويي الكوفيين إنما المثل للأعمال ولكن العرب تقدم الأسماء لأنها لم عرف ثم تأتي بالخبر الذي تخبره عنه مع صاحبه.[1]

الاجتهاد في المسائل الفقهية و الاهتمام بها، فالطبري دو مذهب فقهي حيث انه يقوم بمعالجته لأقوال العلماء ومذاهبهم.

يخلص في ذلك كله برأي يختاره لنفسه، ويرجعه بالأدلة العلمية نجده عند تفسيره لقوله تعالى في سورة النحل وَٱلۡخَيۡلَ" وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٨ "الأية 8[2] نجده يعرض

لأقوال العلماء في حكم أكل لحوم الخيل والبغال والحمير، ويذكر قوله كل قائل بسنده ... وأخيرا يختار قول من قال :أن الآية لا تدل على حرمة شيء من ذلك، ووجه اختياره هذا فقال ):ما نصه والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله أهل القول الثاني –وهو أن الآية لا تدل على الحرمة (...) وقد وضع الدلالة على تحريم لحوم الحمير الأهلية بوحيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى البغال بما بينا في كتابنا "كتاب الأطعمة".[3]

كما أن ابن جرير الطبري تعرض لبعض النواحي الكلامية عند كثير من آيات القرآن " كان عالما ممتازا في أمور العقيدة فهو إذا ما طبق أصول العقائد على ما يتفق مع الآية أفاد في تطبيقه وإذا ناقش بعض الآراء الكلامية أجاد في مناقشته وهو في جدله الكلامي وتطبيقه ومناقشته، موافق لأهل السنة في آرائهم، ويظهر ذلك جليا في رده على القدرية في مسألة الاختيار ".[4]

[1] محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، ص156.

[2] سورة النحل الآية 8.

[3] التفسير والمفسرون: ص157.

[4] التفسير والمفسرون: ص158.

## قيمة الكتاب من حيث تناوله للعجيب:

يعد كتاب الطبري من أعظم كتب التفسير عند أهل السنة والجماعة ويعتبر من أهم المراجع في التفسير بالمأثور، وهو التفسير بالاعتماد على القرآن نفسه، وبالسنة النبوية والآثار الصحيحة، فهو يسرد أقوال الصحابة والتابعين والأحاديث النبوية بأسانيدها.

كتاب التفسير للطبري وما به من حاجة لبيان قيمته العلمية، وما فيه من مزايا ينذر أن توجد في تفسير غيره، وهو أعظم تفسير رأيناه استحق به مؤلفه أن يسمى (إمام المفسرين)[1]

وقد نال كتاب جامع البيان للطبري شهرة كبيرة لم ينلها كتاب غيره وحمل هذا الكتاب مشرقا ومغربا وقرأه الكثير من العلماء في ذلك العصر، واعتنو به عناية شديدة ".

" وصفه الخطيب بأنه لم يصنف أحد مثله، وقال محمد الفرغاني :تم من كتب محمد بن جرير كتاب التفسير الذي لو ادعى أن يصنف منه عشرة كتب، كل كتاب منها يحتوي على علم مفرد مستقصى لفعل "[2].

وقد ذاعت شهرة تفسير ابن جرير في الأفاق الإسلامية، وأصبح يضرب به المثل في غزارة المادة، واستقامة المنهج.

"ومما لا شك فيه أن لتفسير الطبري قيمة علمية كبرى، فقد كان المنهل الذي ارتوى منه المفسرين من بعده، كما كان الورد الذي سد الضمأ لدى الباحثين، والدارسين و المتطلعين إلى معرفة تفسير كتاب الله العظيم."

[1] أبو جعفر الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: محمود شاكر، ج1، ص6.

[2] أبو جعفر الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: بشار عواد، فارس الفرستاني، ص16.

وقد قام ابن جرير الطبري بالإتيان بأخبار مأخوذة من القصص الإسرائيلية بحيث أن النصوص الإسرائيلية تحمل بين طياتها العديد من الأوصاف العجيبة والخارقة للمألوف التي لا يوجد لها سند لا في النص القرآني ولا في الحديث النبوي.

فالمرويات الإسرائيلية معظمها تتصف بكثرة الخرافات والأمور العجيبة الخارقة.

**تجليات العجائبي في كتاب جامع البيان تأويل آي القرآن:**

لقد وردت قصص الأنبياء والأمم الغابرة في القرآن الكريم بصورة متنوعة ما بين تفصيل وإجمال، و تعميم و تخصيص، فقد تتكرر القصة في مواضيع مختلفة ولكن في ظروف مختلفة وأحداث أخرى بحيث يمكن جمع ما تفرق منها في كيان قصصي واحد قام به المفسرون والقصاص[1] وعند قيام المفسرون بجمع الآيات القرآنية، في محاولة خلق كيان قصصي كامل اصطدموا بطبيعة النص القرآني الذي يتميز بالاختصار وعدم الإسهاب في ذكر التفاصيل، بل تكون على شكل إشارات خاطفة، تركت لدى المفسرين فجوات فنية، مما جعلهم يحاولون ملأها انطلاقا من المرويات والأخبار التي أخذوها عن القصاص الذين عاصروا الرسول أو كانوا قريبين من الصحابة، هذه المرويات باختلاف أصحابها من الرواة حملت في طياتها بذور ما يعرف اليوم بالعجائبي نظرا لتشكلها من ثقافة دينية مختلفة وأيضا لتشبعها بالثقافة والمعتقدات الفكرية والاجتماعية آنذاك واعتماد مفسرين على ما جمعوه من روايات وأخبار كان له الأثر الكبير في تحويل النص القرآني وإدخال العجيب في التفسير، وسنحاول انطلاقا من النماذج التي بين أيدينا أن نبرز مواطن العجائبي وأبعاده، من خلال بعض القصص التي وردت في تفسير الطبري جامع البيان والتي أسندها إلى أصحابها من الرواة، ويعد كتاب جامع البيان من أول كتب التفسير وأغناها بمادة العجيب نظرا لاعتماد المفسر على المرويات من الإسرائيليات والتي تعد النواة الأولى للعجيب في كتب التفسير، ونجد الطبري في كتابه، يغدق في وصف أحداث وقصص لم تذكر في القرآن، حيث ينطلق من آية واحدة

[1] ركان الصفدى، ص44-45.

ليشكل قصة كاملة، بأحداث متسلسلة وأوصاف ليست موجودة في النص القرآني، وهذا ما سنحاول الانطلاق منه لإثبات وجود العجائبي في كتاب جامع البيان، بالإعتماد على ما ذكره الطبري في كتابه من أخبار ومرويات قسمناها إلى مجموعة من القصص، وأيضا بعض الأوصاف التي تصف ثمار الجنة ،أو عذاب القبر، أو ما يلقاه العبد من جزاء في الجنة، وكل هذا يصوره الطبري في قالب عجيب، وهذا ما سنراه من خلال عرض بعض النماذج المتفرقة لصعوبة الإلمام بها كلها نظرا لضخامة المؤلف وصعوبة العمل عليه كاملا أو ذكر كل الأخبار الواردة فيه، لدى فقد اعتمدنا على بعض النماذج التي وجدناها تحتوي على ما نبحث عنه من مادة العجيب سواء ما تعلق بأوصاف عجيبة، أو ما تعلق بأحداث عجيبة، أو زمن عجيب، أو مخلوقات عجيبة، سواء كانت من الحيوانات، أو الجن، أو الإنسان، أو أماكن تم وصفها بشكل عجيب، وقد جمعناها على شكل قصص من أجل خلق انسجام بينها وبين ما تم تناوله في الفصل النظري، وتمثلت هذه القصص في قصة موسى عليه السلام، وقصة عيسى عليه السلام، وقصة سليمان عليه السلام، وقصة داود، وقصة أيوب، و قصة أدم وحواء، وبعض القصص الأخرى.

**العجائبي في قصة سليمان عليه السلام:**

قصة سليمان عليه السلام نموذج واف للقصة في القرآن ولطريقة الأداء الفني، بالإضافة إلى كونها تتضمن العديد من القصص، مثل قصة سليمان والهدهد، وقصة سليمان والنملة، قصة سليمان وملكة سبأ، وقصة تسخير الريح والجن والقطر، وفتنة سليمان ووفاته، وغيرها من القصص الحافلة بالحركة، وبالمشاعر، والمشاهد.

وردت قصة سليمان في سورتين هما سورة النمل وسورة سبأ وفي " السورتين استعراض لنعم الله على العباد، وآياته في الكون واستخلافه للناس وهم يجحدونه ولا يشكرونه، وفيها نموذجاً للعبد الشاكر الذي يسأل ربه أن يوفقه إلى شكر نعمته عليه، العبد المتدبر لآيات الله الذي لا يغفل عنها، فلا تبطره النعمة ولا تطغيه القوة[1]،

[1] سيد قطب: في ظلال القرآن، ص3364.

وسليمان عليه السلام عبد الله ونبيه حباه الله وفضله عن غيره بالنعم التي أنعمها عليه فقد علم منطق الطير وسخرت له الريح والجن والقطر، رغم أن القرآن قد جاء بذكر نعم سليمان إلا أنه لم يفصل في ذكر طريقة تسخير الرياح أو النعم الأخرى وهذا الغموض الذي يحيط بالطريقة التي سخر بها سليمان الريح جعل الرواة يلجأون إلى ما ذكر حول طريقة تسخير سليمان لريح وقد جاء هذا في جامع البيان حيث نجد الطبري يذكر طريقه تسخير الرياح في عنصر عجيب لم يذكر في آيات القرآن الكريم.

**1- العجائبي في قصة تسخير الريح:**

**قال تعالى**وَلِسُلَيۡمَٰنَ ": ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ١٢ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣ " (سبأ 12/ 13 ) صدق الله العظيم.

وفي قوله تعالى :ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر حدثنا بشر قال لنا يزيد قال ثنا سعيد عن كتابه قوله ولسليمان الريح غدوها شهرا ورواحها شهر قال تغدوا مسيرة شهر وتروح مسيرة شهر قال مسيرة شهرين في يوم.[1]

حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن إسحاق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر قال ذكر لي أن منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتاب كتبه بعض صحابة سليمان أما من الإنس وأما من الجن.[2]

[1] عبد الله التركي: تفسير الطبري جامع البيان في تأويل آي القرآن ج 19، ص227.

[2] المرجع نفسه:227

حدثنا يونس قال :أخبرنا ابن وهب قال :ابن زيد في قوله ":ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر "قال : كان له مركب من خشب، وكان فيه ألف ركن، وفي كل ركن ألف بيت يركب معه فيه الجن والانس، تحت كل ركن ألف شيطان، يرفعون ذلك المركب هم و العصار، فإذا ارتفع أقبلت الريح الرخاء، فسارت به، و ساروا معه يقيل عند قوم بينه وبينهم شهرا، ولا تدري القوم إلا وقد أظلهم معه الجيوش والجنود.[1]

حدثنا ابن بشار قال :ثنا أبو عامر، قال ثنا قرة، عن الحسين في قوله :عضوها شهرا ورواحها شهر قال :وكان يغدو فيقبل إصطخر، ثم يروح منها فيكون رواحها بكابل .[2]

من خلال ما جاء في تأويل الآية فإننا نجد العجيب يتجلى بأنواعه من خلال عجائبية الزمن والمتمثل في فكرة طي الزمن وأيضا عجائبية الحدث من خلال طيران الكرسي وإخبار الريح لسليمان عن كلام المخلوقات وأيضا من خلال الوسيلة العجيبة المحركة للحدث العجيب وهو المركب الخشبي العجائبي :تجلى العجائبي من خلال المركب الخشبي:

إن القارئ للقرآن الكريم ولسورة سبأ لا يجد فيه ما يدل على وجود مركب خشبي بهذا الوصف فالله تعالى في سورة سبأ لم يذكر الطريقة التي سخر بها الريح لنبيه سليمان ولم يذكر الوسيلة التي ينتقل بواسطتها سليمان وجنده إنما اقتصر ذكره في تسخيره للريح ومدة غدوها ورواحها، وهي الشهر، لكن من خلال ما تناولنا الطبري استنادا إلى بعض الرواة فإن وسيلة التنقل سليمان وجنده هو مركب خشبي، والعجيب إنما يمكن في مخالفة هذا الطرح لما هو مذكور في القرآن الكريم، بالإضافة إلى الوصف الذي خص به هذا المركب، الصورة الذهنية التي يكونها القارئ لهذا المركب العجيب الذي قوامه الخشب لكنه وصف على أنه قرية خشبية طائرة، مما يثير في ذهن القارئ نوعا من الدهشة والتساؤل الدائم حول طبيعة هذا المركب وحقيقته العجيبة، التي ترسم لنا قرية طائرة تنتقل من مكان إلى آخر، حيث جعل الطبري هذا المركب الخشبي محركا انفعالات المتلقي، فشعور القارئ بالاندهاش

[1] عبد الله التركي: تفسير الطبري جامع البيان في تأويل آي القرآن ج 19، ص128.

[2] المرجع نفسه:128

من حقيقة وجود هذا المركب الخشبي لا تنتهي إنما يستمر الوصف العجيب في منحه بعدا عجائبيا انطلاقا من حالة المتلقي المترددة بين قبول حقيقة وجوده والتصديق به وبين ما وصف به فالطبري لم يكتفي بالإشارة إلى أن هناك مركب خشبي ينتقل بواسطته سليمان وجنده إنما أضاف له عجائبية أخرى تمثلت في ضخامة هذا المركب الذي كان فيه ألف ركن، في كل ركن ألف بيت، يركب معه فيه الجن والإنس، تحت كل ركن ألف شيطان، يرفعون ذلك المركب هم والعصار، فإذا ارتفع أقبلت الريح الرخاء فسارت به، هذا الوصف يجعل من خيال المتلقي المحرك الفاعل في بناء أجواء وفضاءات وتشكيل مسرح الأحداث وتلاحم الشخصيات وبالتالي نكون إزاء عالم عجائبي خيالي وبفضاءاته غير المحدودة وأحداثه المجازية التي تتخطى قوانين الطبيعة والمنطق، فالمتلقي أمام أجواء ميتافيزيقية لا يمكن تصورها أو تخيلها وفقه قواعد المرئي والإدراك البصري، فالمتلقي أمام هذا الوصف يجدوا نفسه أمام أحداث غير مألوفة، بالنسبة له فالواقع الحقيقي الطبيعي يصطدم أمام واقع خيالية غريب مدهش مثير لكل أنواع المشاعر المضطربة إزاء ما حدث، المعلوم أن طبيعة الريح وطبيعة الجن والشياطين وطبيعة الإنس يختلف من حيث التركيبة والكيان وفكرة الموائمة بين ما يدركه العقل والبصر وبين الغير مرئي لوحدها كفيلة بخلق عالم عجائبي.

إن اجتماع الجن و الإنس في مركب وأحد يحمله الشياطين حدث عجيب بالنظر إلى طبيعة الجنسين المختلفة وأيضا بالنظر إلى العداوة بين الجنسين بالإضافة إلى الغموض الذي تركه النص القرآني الذي لم ينبئنا بكيفية ركوب سليمان الريح فقد إقتصر على إخبارنا بتسخير الريح والمتمثل في قطع سليمان) عليه السلام (مسافة شهر بنصف نهار غدوا ومسيرة شهر بنصف الآخر من النهار رواحا والغموض يقف وراءه كل عجيب، فكيفية ركوب سليمان الريح تثير لدى المتلقي الدهشة وتجعله دائم التساؤل حول حقيقة ركوب الريح، هذا التساؤل يحيلنا إلى عالم العجائبي، من خلال التخيل الذهني الذي يرسم لنا شكل وحجم هذا المركب الخشبي وهذا الرسم بما فيه من تصورات عجيبة يفجر لدى المتلقي إمتاعا و دهشة في آن وأحد، فالقارئ انطلاقا من القوانين الفيزيائية التي

تنص على أنه كلما زاد وزن الشيء زادت جاذبية الأرض له فالعقل لا يتصور خرق لهذا النظام، أي أن العقل لا يستوعب فكرة أن الريح تحمل مركب فيه ألف ركن، في كل ركن ألف بيت، يركب فيه الجن والإنس، دون أن يسقط نتيجة قوة الجاذبية الأرضية التي تعمل على جذب وسحب الأجسام للأسفل، أي إلى السطح الذي تتجه الجاذبية إليه وقانون الجاذبية الكونية ينص على أن قوة الشد تتناسب طرديا مع الكتلة وعكسيا مع المسافة أي كلما زادت الكتلة زاد قوة الشد وكلما قلت المسافة بين الجسمين زاد الشد بين الجسمين وهذه هي القوة التي تسبب سقوط الأجسام نحو الأرض، وإذا نظرنا إلى قانون الجاذبية لنيوتن الذي جاء فيه أن سبب سقوط ثمرة التفاح على الأرض وعدم بقائها معلقة في الهواء أو صعودها إلى الأعلى بدل السقوط نحو الأسفل يعود إلى قوة خفيفة تعمل على سحب الأجسام والكتل إلى الأرض وأطلق عليها قوة الجاذبية وهي التي تؤثر على جميع الأجسام والكتل والغازات الموجودة على الابرام السماوية[1]. هذا القانون الكوني أمام تصور ذهني يتعارض مع هذا الطرح الذي نص عليه التفسير فاحتمال حمل الريح لهذا المركب والسير به في مسافات كبيرة يعد خرقا غير مسبوقا لقوانين الطبيعة التي لم يشهد القارئ على خرقها خصوصا أنها لم تذكر في النص القرآني واحتمال الحدوث بحد ذاته أمر خارق عجيب.

فتخيل المتلقي لسورة مركب خشبي بمساحة قرية كبيرة وهو طائر في السماء تحمله الرياح ذهابا وإيابا، يثري الذهن ويخلق نوعا من المتعة التي تفضي به إلى البحث عن حقيقة هذا النبي الذي خرج قانون الكون وجعلك قوانين الطبيعة تسير عكس المنطق لتلبي رغبته وتعمل على خدمته وهذا إنما يحيلنا إلى حدث عجيب من منطلق خرقه لقانون الطبيعة والكون وباعتباره حدث غير مألوف لا يتقبله الذهن ويجعله في تردد دائم.

من جهة أخرى يمكننا استخلاص نوع آخر من العجيب يتجلى لنا من خلال هذا النص الذي بين أيدينا وهو الزمن العجائبي.

[1] قانون الجدب العام https://mawdoo3.com
2021/08/03، ساعة 16،38.

**عجائبية الزمن:**

لا يقتصر العجائبي في تأويل الطبري للآية القرآنية: " وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ " [1] على الحدث العجيب إنما يشمل بعجائبيته الزمن الذي يتخطى المتخيل

والواقعي لسرعة التنقل بين الأماكن البعيدة فسليمان ينتقل مسافة الشهر في يوم وهذا في المتصور الواقعي حدث عجيب إذا قسنا السرعة العجيبة في التنقل، حيث جاء فيه تأويل الطبري قال :(تغدو مسيرة شهر وتروح مسيرة شهر، قال :مسيرة شهرين في يوم)[2] وجاء في تفسير ابن كثير، لما ذكر تعالى ما أنعم به على داود، عطف بذكره ما أعطى سليمان، من تسخير الريح له تحمل بساطة، وغدوها شهر ورواحها شهر، قال الحسن البصري :كان يغدو على بساطه من دمشق فينزل بإصطخر يتغذى بها، ويذهب رائحا من إصطخر فيبيت بكابل، وبين دمشق وإصطخر شهر كامل للمسرع .وبين إصطخر وكابل شهر كامل للمسرع[3]، إن العلاقة بين المسافة المفترض قطعها وبين المدة الزمنية التي استغرقها سليمان وجنده تشكل عنصر العجيب لدى القارئ من خلال تناقضها مع الواقع المألوف والذي يحيلنا إلى استحالة قطع مسافة شهرين في يوم واحد وهذا القول لم يرد في النص القرآني الأصلي ولم يرد في كتب التفسير الأخرى حيث ذكر سيد قطب في كتابه ظلال القرآن في معنى الآية الكريمة أن الله تعالى سخر الريح لسليمان وجعل غدوها أي توجهها غادية إلى بقعة معينة" ذكر في سورة الأنبياء أنها الأرض المقدسة " يستغرق شهرا ورواحها أي انعكاس اتجاهها في الرواح يستغرق شهرا كذلك، وفق مصلحة تحصل من غدوها وروحها، يدركها سليمان عليه السلام [4] أما في كتاب التحرير والتنوير فقد جاء في تفسير الآية أن معنى تسخيره الريح ":خلق ريحا تلائم سير سفائنه للغزو أو التجارة، فجعل الله لمراسيه في شطوط فلسطين رياحا موسميه تهب

[1] سورة سبأ الآية 12.

[2] الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق عبد الله التركي، الجزء 19، ط1، ص227.

[3] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، سورة سبأ، الآية 12-13 ص1533.

[4] سيد قطب: في ظلال القرآن، تحقيق علي بن نايف الشحود، ص3664.

شهرا مشرقة لتذهب في ذلك الموسم نفسه، وتهب شهرا مغربة لترجع سفنه إلى شواطئ فلسطين كما قال تعالى "و لسليمان الريح تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا "فيها سورة الأنبياء.[1]

إن الاختلاف بين تأويل الآية من حيث معنى تسخير الريح، يحيلنا إلى الأخذ بعجائبه ما جاء به الطبري من أن الريح تقطع بسليمان مسافة الشهرين في يوم واحد، فكرة تتناقض مع الواقع ونحن لسنا هنا بصدد التحقق من صدق المرويات وصحتها إنما طرح فكرة اختلاف التفسيرات يؤول بنا إلى اكتشاف جنس العجيب في مرويات الطبري المسندة إلى الإسرائيليات هذا الاختلاف يشد ذهن القارئ ويدخله في جو من التردد والحيرة نحو هذا الحدث الذي يقضي بوجود خرق آخر لقانون الكون والطبيعة لكن هذه المرة خرق قانون السرعة الذي يساوي المسافة في الزمن، والعقل إذ يتخيل عملية الانتقال من مكان إلى آخر في أقصى سرعة لا يمكن له أن يرسم صورة ذهنية توضح له قطع مسافة شهر بنصف نهار وغدوا ومسيرة شهر بالنصف الآخر من النهار رواحا، هذا التصور يخلق عنصر الدهشة، انطلاقا من التخيل الذهني الذي يخلق فضاء عجائبي يحتوي أحداث عجيبة وفق ذهن المتلقي الذي يتصور عملية الركوب في الجو بواسطة الريح والتي تمثل وسيلة نقل عجيبة ضمن الفضاء العجيب وهي من الوسائل العجيبة التي تملكة الشخصية العجيبة والتي تتمثل في سليمان وفق هذا التصور الذهني الذي يرافق العملية التخيلية للحدث، فالريح هنا باعتباره وسيلة مساعدة تساهم في وقوع الأحداث العجيبة من خلال ركوب الريح عبر مسافة زمنية تساوي نسبة واحدة إلى ستين أي تختصر الشهرين بيوم واحد فقط، وهذا الفضاء التخيلي يكسب عجائبيته وجماليته من خلال رسم الدهن لنمط السرعة الزمنية التي يقطعها الريح بسليمان وجنده، وهذا الرسم يفجر في الذهن إمتاعا ودهشة وترددا في آن واحد، فالذهن ينحصر عند هذا التصور والذي يبقى غير قابل للتجريب مما يكسبه غموضا دائما بسبب عدم قدرة المتلقي على التجريب وبالتالي عجزه عن إيجاد إجابة لتردده، وهذا يشكل أول شرط لتحقق العجائبي وهو التردد في تحديد موقف معين من الحدث، إضافة إلى

[1] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التبرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ج 22، ص157.

توفر الشروط الأخرى للعجائبي حسب تصنيف تودوروف الذي جعل من التردد أول شرط لتحقيقه حيث يشرك المتلقي في العملية التخيلية مع الوجود الفعلي للشخصية العجيبة وهذا ما يتحقق في نص التفسير بالإضافة أيضا إلى خرق المألوف والواقع عن طريق الشخصية أو من خلال الأحداث والفضاءات الزمنية والمكانية التي تجمع بين الوجود الحقيقي وبين كسرها لقواعد المألوف فتكون بذلك محركا للفعل العجائبي.

ويتجلى العجائبي في حدث آخر وهو أن تأويل الطبري لتسخير الريح يرسم للمتلقي صورة ذهنية تدخله في حالة شعورية من الدهشة والإثارة فالقوة المسخرة والمتمثلة في الريح لا تملك الوعي أي أنه ليس لريح العقل الذي يمنحه القدرة على الفهم والتحدث وهذه الصفة يختص بها الإنسان إذن كيف يمكن للريح أن تستوعب ما يريده سليمان وتستجيب له بالطاعة بل تنقل له أخبار الأقوام والمخلوقات وهذه النقطة محرك آخر لفعل العجيب في تأويل الآية السابقة، ونحن هنا لسنا بصدد التشكيك في قدرة الله على خرق قوانينه من أجل نبيه، فهو قادر على كل شيء وإنما المعجزات تحقق المستحيل لكننا في مقام الوقوف على البعد العجائبي الذي يحيل إليه نص التفسير فتفاصيل النص الذي ذكرناه سابقا، تثري البعد العجائبي للمرويات فعندما ينبئنا النص عن وجود المركب الخشبي، فكأنه ينبئنا عن قرية لا عن مركب، في قوله كان فيه ألف ركن، في كل ركن ألف بيت يركب فيه الجن والإنس، تحت كل ركن ألف شيطان، يرفعون ذلك المركب هم والعصار، عملية السرد العجيب للأحداث تحيلنا إلى فضاء عجائبي وتحرك ذهن المتلقي لتخيل الأحداث، وطريقة السرد تبقى عنصر الدهشة والتشويق من أجل جذب المتلقي وإشراكه في عملية التخيل، فيصبح مؤثرا في سياق الأحداث انطلاقا من تصوراته الذهنية وهذا بحد ذاته يفتح باب آخر للعجيب فالقارئ يجد نفسه أمام حدث غير مألوف لجيشٍ طائر في السماء، ليس في البر وليس في البحر إنما في السماء موكب لجيش ضخم مؤلف من أجناس مختلفة تماما، يحملهم مركب من الخشب يتسع للجميع، يحمل ألاف البيوت وألاف الرجال من الإنس والجن وغيرها من الطيور والحيوانات والوحوش في موكب مهيب يطير في السماء، كلما أراد سليمان السفر أمر الريح لترفع المركب بما فيه، فإذا وصل إلى السماء أمر الرخاء فسارت به،

فإن أراد الإسراع أمر العصار وحملته في لمح البصر بسرعة عجيبة، تضعه أينما يشاء، في أي وقت أراد، فتحمله في رحلة أول النهار من بيت المقدس تغدو به فتضعه بإصطخر فيقيم هناك إلى أخر النهار، ثم يروح من أخره فترده إلى بيت المقدس فلا تدري القوم إلا وقد أضلهم معه الجيوش والجنود، وذكر الطبري في كتابه تأويل القرآن أخبار عن جيش سليمان في تأويل الآية السادسة عشر من سورة النمل قال تعالى:{ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ١٦ }[1]

سورة النمل الآية 16 جاء في تأويل الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن أبي معشر عن محمد بن كعب وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير قال بلغنا أن سليمان كان عسكره مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للإنس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير، وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة صريحة و سبعمائة سرية فأمر الريح العاصفة فرفعته وأمر الرخاء فسيارته، فأوحي الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض، إني قد زدت، أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء إلا جاءت الريح فأخبرتك به[2]. هذا النص الذي بين أيدينا يحمل من العجيب الكثير فهو كما قلنا سابقا عندما تحدثنا عن مدى تنوع جيش سليمان الذي يجمع بين أجناس مختلفة فطبيعة الإنس تختلف عن طبيعة الجن، فالقارئ وفق التصور المعتاد لديه صورة عن حقيقة التركيبة البشرية من أصل خلقه وطبيعته من حيث العقل ولديه فكرة عن طبيعة الجن المختلفة تماما عن تركيبة الإنس فلا يمكن إدراكه بالبصر برغم من الإيمان بوجوده من جهة أخرى لا تنتهي العجائبية التي تطغى على وصف تشكيل جيش سليمان فبالإضافة إلى الإنس والجن، هناك جنود من الوحوش، وهذا يثير لوحده الفزع والرهبة من هذا الجيش الذي جمع مخلوقات لا يمكن لها أن تجتمع معا في مركب

[1] سورة النمل الآية 16.

[2] الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق عبد الله التركي، ج 18، ص25.

وأحد، فطبيعة الوحوش الهجومية الدموية تقتضي باستحالة اجتماعها مع الإنسان والطير والذي يشكل عنصر آخر من جند سليمان.

إن اجتماع جميع هذه المخلوقات بالرغم من اختلاف تركيبتها وطبيعتها يرسم في ذهن المتلقي فضاء عجائبيا فحقيقة وجود هذه المخلوقات معا تبعث بالدهشة إذ يجد المتلقي نفسه أمام حدث خارق غير مألوف يتناقض مع ما هو موجود ومعلوم في الواقع وهذا الحدث الغير طبيعي من منظور القارئ لا يتوقف فقط عند اجتماع الإنس والجن والوحوش والطير في مركب واحد فالقدرة على جمع كل هذه المخلوقات برغم من الاختلاف التام بينهم تحيل إلى شخصية عجائبية خارقة ساحرة تمتلك قوة فوق طبيعية تمنحها القدرة على التحكم في هذه المخلوقات وجعلها تسير وفق نظام محكم وهذه الشخصية أحد عناصر العجيب في ذهن المتلقي ومن بين الأحداث العجيبة التي أنبأنا بها هذا النص أنه بينما سليمان وجنده بين السماء والأرض أوحى الله إليه أنه لن يتكلم أحد من الخلائق بشيء إلا جاءت الريح فأخبرته به، أمام هذا الحدث لا يسع المتلقي سوى الدهشة خرق أخر للطبيعة والمنطق، فطبيعة الريح تختلف عن طبيعة البشر ونعمة الكلام نعمة خصها الله بالإنسان إذن كيف تخبر الريح سليمان بما تتحدث به الخلائق هذا اللغز أو التساؤل يفتح مجال التخيل للكيفية التي تتم بها العملية، حدود التصور للعملية غير محصورة فالمتلقي أمام حدث غريب غير مألوف حدث مربك لكل ما سبق له، لم يسبق في كتب التفسير ولا في النص القرآني أن تم ذكر تحدث الريح فالحدث هنا لم يسبق حدوثه من قبل إذ لا يمكن تصور رياح تتحدث، هذا الحدث يخلق فوضى في المدركات العقلية المنطقية التي تقضي بعدم امتلاك الريح للغة التي تسمح لها بالكلام ونقل الأخبار فكيف حدث إذا؟ مجرد البحث عن الإجابة لهذا الحدث، يعد شكل من أشكال التعجيب، فهو يتعارض مع منطق العقل ويتعارض مع خاصية الرياح التي ليس لها لغة إذن فإننا أمام خرق أخر وأمام حدث عجائبي أخر، إن نحن افترضنا أن الريح تنقل صدى صوت المخلوقات فيصل الكلام إلى سليمان في مجلسه فإننا أمام حدث عجيب أيضا، فالقول أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء إلا جاءت الريح

فأخبرت به سليمان يضعنا أمام حقيقة أن النص لم يحدد مكان الخلائق أي أنه لم يخصص مسافة محددة يمكن للريح أن ينقل صدى الصوت إلى سليمان فمعنى أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء، يدل على التعميم لكل الخلائق في كل الأماكن والبقاع وان تكلمت العديد من المخلوقات بتنوعها في هذا العالم الشاسع فان الريح تنقل أصواتهم وكلامهم إلى مسامع سليمان في عرشه وهذا حدث لا يقل عجائبية عن سابقه، إذن القارئ هنا أمام حدث خارق أخر فإن قال بتحدث الريح فهو لا محالة أمام حدث عجائبي وان اقر بعدم التحدث الرياح وإنما وسيلة نقلها لكلام المخلوقات هي إرجاع الصدى فهذا حدث عجيب أيضا بالقياس بشاسعة المساحة التي تعيش فيها المخلوقات وأيضا بالعدد الكبير واللامحدود للمخلوقات التي تتحدث معا في نفس الوقت، من هنا يمكن القول أن هذا النص يحتوي على العديد من الأحداث العجيبة التي تخالف قوانين الكون سواء ما تعلق بوسيلة ركوب الرياح والتي وصفها النص على أنها مركب خشبي يتعدى كونه مركب فقط بل يعطي صورة أخرى لمدينة، بيوتها التي تبلغ الألف وبما يحمل من مخلوقات مختلفة، هذا المركب الذي خرق قانون الكون وقانون الجاذبية وأيضا قانون الزمن من خلال السرعة التي أحاط بها عملية انتقال سليمان من مكان إلى أخر وأيضا نقل الريح لكلام المخلوقات وهذه الأحداث العجيبة تخلق فضاء عجائبيا في ذهن القارئ فضاءا غير محدود أو مقيد بفكرة واحدة إنما هو فضاء لا يقيده قانون الطبيعة، الفضاء المفتوح أمام مخيلة المتلقي، يمنحه حرية التصور وهنا يكمن جمال العجيب، التحرر من قيود المنطق يكسب الذهن المساحة اكبر للتخيل والإبداع ويخلق في القارئ مشاعر أكثر من الدهشة والرغبة في ملامسة هذا الفضاء الخارق والتحليق بالنفس في عوالم العجيب من خلال تحقيق عامل المتعة والإثارة واللذان يشدان القارئ إلى هذا النص العجائبي، فالنص العجائبي محفز لخلق فضاء يلامس رغبه الإنسان الدائمة في البحث عن كل ما هو خارق وغير مألوف، ويعتبر هذا من أولى وظائف العجائبي وهو تحقيق المتعة والإثارة وخلق فضاء حيوي غير محدود يمنح المتلقي فرصه المشاركة في خلق عالمه، انطلاقا من كل الاثارات التي يحفزها النص العجائبي إذ لا يمكن أن يكون النص عجائبيا إذا لم يخرق في نظام العقل ولم يحدث هزات فكريه،

تحرك فكر المتلقي وتشده نحو الجديد وتجبره على الخوض في غمار هذا النص، فالوظيفة الأدبية تقضي بملازمه العجائبي في كل نص أيا كان نوعه وهي تنقسم إلى عده أوجه بداية بالمتلقي والذي يشكل عنصر هام في خلق الفضاء العجائبي، انطلاقا من تأثير النص عليه حيث يخلق العجائبي أثرا خاصا في القارئ سواء كان خوفا أو فزعا وسعادة أو حبا للاستطلاع، فالجمع بين الحقيقي وبين اللاحقيقي وبين ما هو مألوف وبين اللامألوف والاستناد على التردد في تقبل الأحداث، كل هذه العوامل تستفز طبيعة المتلقي الميالة للاكتشاف وهذا يدفعه إلى قراءة النص لعده مرات بحث عن وجه الحقيقة وفي كل قراءه قد تختلف التأويلات وباختلافها تتوسع دائرة البحث وتزيد الرغبة في الاطلاع وهذا العطش الدائم للحقيقة هو الذي يمتن العلاقة بين النص العجائبي وبين المتلقي الذي يشده الغموض نحو المعرفة والتي تتشكل لديه من خلال تنشيط الخيال هذا الأخير يحيلنا إلى وظيفة أخرى للعجائبي وهي الوظيفة الجمالية أو الطاقة التي تتفجر في دهن القارئ، وتجعله في حاله من الدهشة، يهتز من المفاجأة التي يحدثها النص داخله، ويخلق الإثارة ويحرك فضوله الفني الذي يجعله منقادا إلى النص دون ما إرادة، وهو يعيش حاله من الدهشة الفنية الجمالية ابتداء من تصوره للمركب الخشبي العظيم الذي يحمل كل هذا العدد الكبير من البيوت والجنود وارتفاعه في السماء ووصوله إلى أماكن مختلفة تفصيلهم مسافة شهرين، ويقطعها هو في يوم وأحد، هذا الفضاء العجائبي يخلق لدى المتلقي الدهشة وتبقيه مشدودا إلى تفاصيل الأحداث التي تسرد بشكل عجيب، يثير المتلقي وهنا تبرز قدره العجائبي على خدمه السرد والاحتفاظ بالتوتر في دهن المتلقي، والنص الذي بين أيدينا يحتفظ بالتسلسل في السرد العجيب الذي يشد المتلقي إليه وذلك من خلال عرض التفاصيل بشكل مدهش يحرك فضول وتردد القارئ حول التصديق من عدمه، فالخلفية الدينية للقارئ تجعله أمام ضرورة التصديق بان كل ما ذكر من أحداث عجيبة هو واقع انطلاقا من أن سليمان هو نبي الله والله قد انعم عليه من فضله وله من المعجزات التي تحقق له أي شيء فالله خالق الكون وهو الذي يتحكم بالريح والمخلوقات وبقوانين الطبيعة وإن يقل للشيء كن فيكون بإذنه، فلا أحد ينكر إمكانية وجود فعلي لما ذكر في النصين من أحداث

عجيبة لكن كون النصين من وضع البشر وهما لا يستاندان على ما جاء في النص القرآني إنما يستندان إلى ما يعرف بالمرويات الإسرائيلية والمعلوم أنها محرفة وبالتالي هناك فرضيه الشك وعدم التصديق وهذا يمنح النص خاصية خلق التردد عند المتلقي فيجد نفسه أمام الحقيقي استنادا إلى الأمام المطلق بقدرة الله وبين الغير حقيقي استنادا إلى كون النص تبدو عليه ضلال الإسرائيليات المسندة إلى ثقافة دينية محرفة.

**الوظيفة الدينية:**

لا يمكن حصر وظائف العجائبي في النصين في الوظيفة الأدبية والجمالية فقط إنما هناك وجه أخر لتوظيف العجيب في نصوص التفسير فالمطلع على أحوال القصاص الذين أسند إليهم ما جاء من أخبار في كتاب الطبري، يكتشف أنهم كانوا جميعا من علماء الدين، مما يؤكد أن غايتهم كانت الإرشاد والوعظ وقد مارس القص أشخاص معنيون بعلوم الدين من حديث، وفقه، وتفسير، وقراءة، وهم حسب ما أسند إليهم من أخبار وقصص، وهب بن منبه، والحسن البصري، و كعب الأحبار، وبن كعب، وكانو دو ثقة، حافظين، ثبتو في الحديث، ومنهم من روى عن الرسول، أو عن الصحابة وأيضا منهم الفقيه، العالم، والقاضي، والمفسر[1] وكلهم ممن اخذ عنهم الطبري وللإحاطة بالوظيفة الدينية التي يحققها العجيب من خلال النصين السابقين لا بد أولا أن نعلم أن العجيب مرتبط بالقصة غالبا أن الوظيفة التي يحققها ترتبط بمعنى القصة وغايتها ونعني بالقصة، القصة الدينية طبعا وانطلاقا من فضاء الدلالة الدينية للقص الذي يستوجب أن يكون مقيد بالصواب، والحق، والتدبر، والموعظة، والاعتبار، والحسن، حيث أصبح هذا الفضاء الدلالي، هو الذي يحدد القيمة الاعتبارية للقصص[2] وبالتالي هو الذي يحدد القيمة الاعتبارية للعجائبي في هذه القصص، ومن خلال هذا لابد لنا من معرفة دلالات الآية لأنها تحيل على معنى القصة، فالآيات حسب ما يؤكده الطبري ليست سوى قصص متتالية تحتكم إلى

[1] أنظر عبد الله إبراهيم: النثر العربي القديم بحث في البنية السردية، ط1، 2002، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، قطر، ص19.

[2] المرجع نفسه، ص10.

دلالات أضفاها القرآن من تدبر واعتبار حيث حدد وظيفتها بالوعظ والتذكير،[1] من هنا كان القص القرآني والعجيب الديني يهدف إلى الاعتبار لا التسلية.

بالعودة إلى الآيتين السابقتين من سورة سبأ وسورة النمل يمكننا استخلاص بعض وظائف العجيب انطلاقا من دلالات الآيتين الكريمتين، سورة النمل وسورة سبأ من السور المكية وهذا يعطينا لمحه عن موضوعات السور ودلالتها حيث يغلب عليها موضوعات العقيدة، توحيد الله والإيمان بالوحي والاعتقاد بالبعث وبيان العمل الصالح والإيمان وأنهما من قو تعصم من بطش الله وما من قوة تمنع نعمه[2] وكذلك سورة النمل موضوعها العقيدة، الإيمان بالله وعبادته وحده، والإيمان بالأخرة والتواب والعقاب والإيمان بالوحي والغيب الذي لا يعلمه سواه والإيمان بان الله هو الخالق الرازق واهب النعم، ذو القوة وان لا حول ولا قوة إلا بالله وحده، ووجوب الشكر على النعم، والقصص إنما تأتي لتثبيت هذه المعاني.[3]

الآية الكريمة من سورة سبأ تشير إلى النعم العظيمة التي انعم بها الله تعالى على نبيه سليمان حيث جزاه الله على كثرة عبادته وصلاحه وكان الجزاء أن سخر الله تعالى له كلما في الطبيعة من قوى وجعل المخلوقات جند من جنوده وسياق الآيات تشير إلى أن هذا كان معجزه خارقه خص بها الله تعالى آل داوود جزاء لشكرهم وعملهم والعجائبي في تفسير الآيتين من وصف للوسيلة التي يركب بها سليمان الريح ومن وصف للزمن الخارق الذي كانت الريح تقطع به سليمان وجنده ومن إعطاء الريح القدرة على نقل الأخبار إلى سليمان كل ما أحاط بالآيتين من تصورات عجائبية وأوصاف لسليمان وجنوده وأعدادهم واختلافهم وتنوعهم إنما يعملوا على ترسيخ الدلالة التي تشير إليها الآيات فالمعجزة التي سخرها الله لسليمان لا يتخيلها العقل ألا بهذه السورة الخارقة وإعطاء صور ذهنية عجيبة لهذه المعجزة التي لم يكن لأحد من قبل ولا بعد سليمان فقط خص بها الله آل داوود

[1] عبد الله إبراهيم: النثر العربي القديم بحث في البنية السردية، ص 20.

[2] سيد قطب: في ظلال القرآن.

[3] سيد قطب: في ظلال القرآن، ص3355.

والعجائبي في النص المفسر لا يهدف إلى الإدهاش والتسلية فقط إنما يحرك الدهشة أتجاه شعور المتلقي الديني أي العجائبي يدعو إلى التدبر في سر هذه القوة الخارقة وان العبد الصالح الشكور لنعم الله يكون جزاءه مدهش من رب كريم قادر لا يعجزه أمر وهذا دافع لتحريك إيمان المتلقي فإن كان مسلم يعمل الفضاء العجائبي الذي أحاطه المفسرون بالآية على ترسيخ إيمان العبد بان الله تعالى لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، فالله ذو القوة يحرك قوى الطبيعة كالريح لتخدم عبدا من عباده لأنه عبد شاكرا للنعم متدلل لله فجزاء الشكر مضاعفة النعم وقد جاء هذا في سورة إبراهيم قال تعالى" لأن شكرتم لأزيدنكم "سورة إبراهيم الآية .7 وقصة آل داود الشاكرين لله على نعمته وقصة العطاء الذي ليس كمثله عطاء حين وهب الله لسليمان ملكا ليس لأحد مثله، فسخر له قوى كثيرة ليس له قدرة عليها إلا بإذن الله الواحد القادر والعجائبي في نص التفسير، يرسخ هذا المعنى بعمق من خلال ما جاء في النص من أخبار عجيبة كلها تخدم هذا المعنى، فالمتقي مدعو للتدبر في نعم الله وشكره لعظمتي جزاء الشاكرين ومن خلال عرض دلالات الآيات فإننا نجد أن وظيفة العجائبي في النموذج الأول وهو نموذج قصة الشكر والجزاء، تتمثل في ترسيخ مبدأ التدبر في حقيقة الإيمان الصادق بقدره الله وبفضل الشكر على النعم لما له من جزاء كبير في العبد الشاكر لنعم الله الغير متكبر والجأحد لفضله، تخر له قوى الكون راضخة لأمره طائعة له بفضل الله وحده وجزاؤه فالجزاء من جنس العمل وان تشكر يزيدك الله من فضله ولو حرك الريح لتلبيه حاجتك .

**الوظيفة النفسية والإجتماعية**

ولهذه الوظائف الدينية أثر في نفس المتلقي مما يؤول إلى بعض الوظائف النفسية والاجتماعية التي يحققها العجائبي من خلال النص ويمكن عدها في بعض النقاط:

إن وظيفة العجائبي النفسية ترتبط بالبعد الديني الذي يحققه العجائبي في المتلقي، حيث يؤدي الوظيف الديني المتمثل في إرساء فضل الشكر على النعم وجزاء الله له وقدرته على تحقيق المعجزات لعبده الشكور إلى تهذيب النفس المغترة بالنعم، فالمتلقي مدعو إلى التفكير في نفسه وفي تواضعه لله وصحة إيمانه وعقيدته، التي تستند إلى

دعائم لا بد للفرد أن يقيمها حسب ما دعت إليه الآية فسليمان كان عبد الله الشكور غير متكبر لفضل الله أو ناكر له لم يرجع قوته إلى نفسه بل إلى الله و شكره فزاده الله، ومغزى العجيب هنا يحقق اثر نفسي متمثل في إصلاح النفس وتهذيبها من هنا لابد أن نشير إلى أن وظائف العجائبي من خلال النموذجين السابقين لا يقتصر على الوظيفة الأدبية والجمالية أي انه لا يحقق التسلية والإثارة والإمتاع ولا يقتصر على جماليات النص وتقنية الإبهار فيه فقط بل يحقق وظائف دينية ترتبط أساسا بالدلالة الدينية للآية والتي تندرج في ترسيخ العقيدة والإيمان وبالتالي تحقيق الوظيفة النفسية التي تكون غالبا وفق الدلالة الدينية المحققة من خلال النص العجائبي المدروس فالمتلقي يكون إزاء سلسلة من الوظائف المتعددة

**.العجائبي في قصة ملكة سبأ: (وصف بالقيس):**

لم يأتي في القرآن الكريم ذكر لأوصاف ملكة سبأ، لا أوصاف جسديه ولا عقليه، لم يذكر أصلها أو إسمها فقط أشار إليها القرآن في بضع آيات دون تصوير لها، لكن نصوص التفسير أعطتها أوصافا وإسم وذكرت أصلها، وهذه الأوصاف أقل ما يقال عنها أنها عجيبة ونستدل على هذا بما جاء في تأويل الطبري جامع البيان، أشار القرآن لملكة سبأ في سورة النمل قال تعالى :" قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ٢٩ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣١ "(31) [1]

الآية الكريمة لم تأتي بذكر صفات بلقيس إنما ذكرت خطابها مع قومها لكن نص التأويل جاء فيه ما يلي ) :عن قتادة، قال :بلغني أنها امرأة يقال لها :بلقيس –أحسبه قال :إبنه شراحيل –أحد أبويها من الجن، مؤخر أحد قدميها كحافر الدابة، وكانت في بيت مملكة، وكان أولو مشورتها ثلاثمائة وأثنى عشر، كل رجل منهم على عشره ألاف، وكانت بأرض يقال لها :مأرب، من صنعاء على ثلاثة أيام....)[2]

[1] سورة النمل الآية 29-31.

[2] الطبري: جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق عبد الله التركي، ج 18، ص47.

يتجلى العجائبي في هذا النص من خلال الوصف الذي وصفت به بلقيس، ونبدأ بداية بإشارة الراوي إلى أصل بلقيس حيث قال) أحد أبويها من الجن (و يكمن العجيب في مخالفه الواقع وخرقه، حيث لا يمكن بأي شكل كان أن يتزوج الجني من الإنسي، هذا الطرح يتعارض مع الحقائق الطبيعية لطبيعة الإنس والجن فلم يسبق أن .تزوج بن البشر من الجن، و القارئ لم يقرا أو يسمع يوما عن تزوج بشري من جنيه أو العكس، إنما هذا الطرح من الحكايات الشعبية المليئة بالسحر والخيال والخرافات التي تنص على أشخاص تزوجوا من الجن وهذا يشكل حدثا عجائبيا لدى المتلقي فحضور الجن وحده في النصوص يجعل النص يدخل في غمار العجائبي، فكيف وإن تزوج الإنسان من الجن إن الخليفة الدينية، تلعب دورا في تحقيق العجائبي في النص، فطبيعة الإنسان الجسدية والنفسية والعقلية تختلف عن الجن، فالجن مخلوقات لا يدركها البشر، فلا يمكن رؤيتها بالعين المجردة أو ملامستها، والله خلق لكل الجنس زوج من جنسه، وهذا ما جعل الرواية عن أحد أبويها من الجن حدث عجيب، فزواج الجن من الإنسان أمر خارج نطاق الحقيقة والواقع، فكيف يلد الجن من الإنس أو يلد الإنسان من الجن، فطبيعتها مختلفة تماما وهذا يكرس فعل العجائبي في النص ولم يقتصر العجائبي على كون أحد أبوي بلقيس من الجن إنما تجسد العجائبي أيضا في وصف بلقيس، حيث وصفها الراوي بأن مؤخر أحد قدميها كحافر الدابة، وهذا يحيلنا إلى فكرة المسخ.

يتجسد العجائبي في المسخ في هذا النص حيث جعل النص بلقيس تبدو على هيئه ممسوخ، فهي إنسان، بحافر الدابة وكأن الراوي أعطاها صفة غير بشرية، ليؤكد على ما تضمنه النص قبل هذا وهو أن أحد أبويها من الجن فولدت بلقيس بصفات تجمع بين صفاتها البشرية وصفه الحيوان وهو الدابة وهذا يشير إلى البعد الشعبي لفكره أن الجن تتجسد على شكل الدواب وان قوامها يشبه قوام الدواب في تصوير الجن في القصص الشعبية الخرافية و هذا البعد الخرافي يتجسد من خلال وصف بلقيس على أنها شخصية عجائبية تملك أقوام يعبدون الشمس، المرويات التي تصف بلقيس إنما تعمل على خلق حاله من الإدهاش والإثارة وأيضا التردد والتشكيك

وهذا لجلب اهتمام المتلقي ودفعه للمشاركة في خلق فضاءه إنطلاقا من الصورة لذهنية المدهشة، التي تصدم المتلقي، فيستنكر هذا الطرح، ولكنه يجد نفسه داخل فضاء عجائبي كسر كل قواعده المعرفية، فيدفعه إلى التشبث بهذا النص ليحقق لذة الإستمتاع بكل ما هو غريب فالنفس تميل إلى ما يسلب اللب ويخطف العقل والسرد العجائبي يحافظ على هذا الفضاء العجائبي، فالراوي عندما إستبق بذكر حقيقة أبوي بلقيس العجائبية وأنها بنت الجن وهي تجمع بين الإنسي والجني ثم صدم المتلقي لكون هذا الشخصية الممسوخة تقف على العرش وتحت يدها مملكة وتحت مشورتها ثلاثمائة و إثنى عشر رجل وكل رجل منهم على عشرة ألاف، أن التصوير العجيب الذي يتجسد من خلال الوصف يحرك في دهن القارئ الدهشة والصدمة فالراوي تعمد إظهار عدد الرجال الذين يكونون تحت مشورة بلقيس ويدخل المتلقي في وضع المقارن، إمرأة مثل بلقيس ليست بإنسان وليست بحيوان فهي النصف من كل الإثنين من صلب الجن، في المقابل ألاف الرجال الذين يفترض بأسهم وحكمتهم لكنهم يعودون إلى الشخصية الممسوخة ويسيرون رهن أمرها، وهذا يكسر حاجز المعقول ويخرج بالنص إلى ما وراء المنطق ويخرج به من المألوف إلى ما هو غير مألوف، بل يتعدى حدود الفكر والخيال إلى فضاء لا يتقيد باي شيء، متجاوزا الدين والعرف والمجتمع، فزواج الجن من الإنس هو موضوع عجائبي ارتبط بالخرافات الشعبية القديمة من زواج السعالى والإنسان المسخ يشكل أحد أعمدة العجائبي في النصوص والمرويات التي يسيطر عليها الحكايات الخرافية وقصص الجن والآلهة.

**وصف العرش:**

الهالة العجيبة التي أحاطها المفسرون بشخصيه بلقيس لم تقتصر على وصفها إنما شملت مواصفات عرش بلقيس وقد إنطلقو من تأويل الآية قال تعالى :{أني وجدت امرأة تملكهم، واتيت من كل شيء، ولها عرش عظيم } (23)وقوله تعالى:{ يا أيها الملؤا ايكم يأتني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمون } لم يرد في الآيتين ما يصف عرش بلقيس، ففي الآية 23 من سورة النمل ذكرت صفاته على انه عرش عظيم وفقط وهو مما جاء في التفاسير أنه

كان عرشا بديعا والعظيم في عظمة القدر والنفاسة في ضخامة الهيكل والذات[1]، العرش ولم تبين التفاسير صفة العرش لكن يتجلى العجائبي من خلال وصفه بأنه سرير من ذهب مفصص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ ،[2] هذا الوصف العجائبي للدلالة على عظمة عرش بلقيس، فقد قيل أن سليمان لم يكن له عرشا مثله، وقال بعضهم أنه طلبه عرشها لما أعجبه حين وصفه له الهدهد صفاته وخشيه أن تسلم فيحرم عليه مالها، فأراد أن يأخذ سريرها ذلك قبل أن يحرم عليه أخده بإسلامها[3]، القول بأن سليمان لم يكن يملك عرش بلقيس بالرغم من أنه ملك ما لم يكن لغيره من ملك الأرض في مشرقها ومغربها، و كون بلقيس تملك عرش لم يراه من قبل وحتى نال منه الإعجاب به وأراد أخده منها إنما أشار إلى نفاسة هذا العرش يشعر المتلقي بالحماس والرغبة في رؤية هذا العرش الفريد الذي قوامه من لؤلؤ وذهب وزبرجد هذا العرش الخارق الذي سرق لب سليمان، ويعد محرك للخيال المبدع فالعجائبي يتسلل إلى النص من خلال الوصف الفريد فالتلميح بعدم وجود عرش كعرش بلقيس يكسبه طاقة خيالية كبيرة لا حد لها فيتجاوز خيال المتلقي حدود الواقع وحدود النص ليصبح هذا السرير العجيب محرك فعال لخيالات الرواة والمتلقي الباحث عن الاكتشاف وهذا ما يعرف بالوتد الذي يحرك عجله الخيال اللامحدود في النص العجائبي.

**العجائبي من خلال قصة الإتيان بعرش بلقيس إلى سليمان:**

قال تعالى: {يا ايها الملؤا ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمون (38) قال عفريت من الجن انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوي امين (39) قال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طفرك فلما راه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر ام اكفر ومن شكر فانه يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم (40)}.

[1] التحرير والتنوير، ص253.

[2] الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق عبد الله التركي، ج18، ص62.

[3] الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق عبد الله التركي، ج18، ص63-64.

جاء في نص تأويل الآية عن وهب بن منبه قال:

ذكر أن آصف بن برخيا توضأ ثم ركع ركعتين ثم قال يا نبي الله، امدد عينك حتى ينتهي طرفك /فمد سليمان عينه ينظر نحو اليمن، ودعا آصف، فنخرق بالعرش مكانه الذي هو فيه، ثم من نتبع بين يدي سليمان، فلما رآه سليمان مستقرا عنده قال:( هذا من فضل ربي ليبلوني)[1] يتجلى العجائبي في النص من خلال الزمن والحدث.

**الزمن العجائبي:**

يتشكل لدينا الزمن العجائبي من خلال الوقت الزمني الذي استغرقه آصف إبن برخيا كما جاء به وهب بن منبه في الإتيان بعرش بلقيس، وهي المدة التي مد فيها سليمان عينه ينظر نحو اليمن، وبلقيس بمده مد البصر فطبيعي أنها لا تستغرق لحظة وهي بالمقارنة مع المسافة التي تفصل بين اليمن ومملكة سليمان، فإن إحتمال وصول عرش بلقيس وإن حدث فعلا فهو أمر خارق لقاعدة الزمن، فمن غير الطبيعي أن يستغرق مدة لا تزيد عن مد سليمان لبصره وهذا ما يشكل فضاء عجائبيا فهو يخرق القوانين الطبيعية ويكسر المألوف، خاصة أن العمل الخارق جاء من قبل بني البشر وترك سليمان المهمة لرجل من الإنس كان لغاية وأحده فهذا العمل الخارق المدهش والعجيب في نظر المتلقي لم يقم به الجن وهم الذي يتميزون بخصائص تسمح لهم بالإنتقال من زمن قصير نظرا لطبيعتهم وسرعتهم وهذا لم يكن مجرد صدفه، بل تفضيل البشري على الجني، وتفوق البشري عليه في إحضار العرش في وقت قياسي له غايته ودلالته على مستوى العقيدة وبالرغم من أن النص القرآني لم يكشف عن هوية الرجل الذي استطاع أن يأتي بعرش بلقيس في لمح البصر إلا أن كتب تفسير إشارة إلى أنه « رجل مؤمن على إتصال بالله موهوب سرا من الله يستمد به من القوة الكبرى التي لا تقف لها الحواجز والأبعاد، وقال بعضهم أنه يعرف إسم الله الأعظم »[2].

[1] الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق عبد الله التركي، ج18،ص74.

[2] سيد قطب: في ظلال القرآن، ص3374.

الزمن لم يكن العجائبي الوحيد في هذا النص إنما أشار النص إلى حدث عجيب أخر وهو إنخراق العرش، في المكان الذي هو فيه وقيل نبع بين يدي سليمان، لحظه إرتداد طرفه وقال إبن عباس :نبع عرشها من تحت الأرض[1] إن الحدث هو تأكيد على الفضاء العجائبي الذي تشكل إنطلاقا من عدم تقبل حقيقة الأحداث والتردد الذي يغلب على المتلقي إزاء النصوص الدينية حيث يمتزج فيها الواقعي بالخيالي والمألوف بالخارق الغير مألوف فالنص يقف في حدود المعقول والخارق، إيمان المتلقي بالقوة التي سخرت لسليمان يكسب النص واقعية، لتأتي عدم تأكيد حقيقة الفعل والأحداث بالنظر إلى كون نص التفسير يعتمد على مرويات وأخبار إنتقلت شفاهية وفيها الكثير من الشكوك وهذا التوتر ينقل النص إلى جنس العجائبي الذي حسب تودوروف يكون من خلال عجز المتلقي على تحديد موقفه من النص وهذا العجز يغذيه مبدأ قابلية النصوص الإسلامية للتحقق وفي نفس الوقت عدم وجودها في النص المقدس يجعلها محل شك، من هنا فإن طبيعة النص والأحداث التي تكسر المألوف من خرق للزمن والمعقول تفعل حضور العجائبي في هذا النص، عن طريق التأثير في ذهن المتلقي وإثارة إندهاشه وإعجابه، شعور المتعة والغرابة ناحية الأحداث يجبر المتلقي على رسم حدود لخياله تخالف مجريات النص وتزيد عنها، فله أن يتصور اللحظة التي نبع فيها عرش بلقيس من تحت الأرض ليستقر بين يدي سليمان، وهي بحق لحظه مدهشه، عرش بلقيس الذي أحطه المفسرون بالأعجيب، عرش عظيم من الذهب واللؤلؤ والزبرجد، يشق الأرض وينبع كأنه ينبوع ماء ينفجر أمام الجميع في موقف باهر وعجيب، هذه الأحداث العجيبة لا تعمل فقط على إضافة جمال ومتعة للنص ولا تعمل على تحقيق الوظائف الأدبية في إثراء النص، بالعجيب ولا يقتصر أثر العجائبي على تحقيق إنفعالات في النص من متعة ودهشة أو إشراك خيال المتلقي في عمليه بناء النص الإبداعي، بل ترتبط إرتباطا وثيقا بالغاية الدينية التي تشير إليها الآيات والسورة بصفة عامة، في حين ننظر إلى أحداث النص بالرغم ما فيها من عجائبي، بمنظار الواقع، نتوصل إلى أن هذا الكون مليء بالأسرار التي لا نعلمها، فكم فيه من

[1] الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق عبد الله التركي، ج18، ص74.

قوى لا نستخدمها، وكم في النفس البشرية من أسرار كذلك وقوى لا نهتدي إليها، فحيث ما أراد الله هدى من يريد إلى أحد هذه الأسرار وإلى واحدة من هذه القوى فجاءت الخارقة التي لا تقع في مألوف الحياة، وجرت بإذن الله وتدبيره وتسخيره، حيث لا يملك من لم يرد الله أن يجريها على يده أن يجريها، وهذا الذي عنده علم من الكتاب، إنما كانت نفسه مهيأة بسبب ما عنده من العلم، أن تتصل ببعض الأسرار والقوى الكونية التي تتم بها تلك الخارقة التي تمت على يده، لأن ما عنده من علم الكتاب وصل قلبه بربه على نحو يهيئه للتلقي، ولإستخدام ما وهبه الله من قوى وأسرار، فالعجائبي في النص لا ينفصل على أهداف الآية إنما أضاف أوصاف مبالغ فيها لأحداث وقعت فعلا لكن الإختصار ساهم في إضافة مأثورات عجائبية لم تغير معاني النص إنما أضافت له أبعاد عجيبة لكنها برغم عجائبيتها تؤكد على أن القوة لا تغلب العلم فقوة الجن لم تستطيع أن تتغلب على علم وحكمه العبد الصالح، هذا الإنتصار يهدف إلى توجيه المتلقي إلى أن الله سخر للإنسان قوى أكبر من قوة الجن، وهي قوة الدعاء والصلة بالله، وهذا يشير إليه قيام العبد في الرواية بالوضوء والصلاة ثم الدعاء وهذا إشارة إلى قوة الدعاء في تحقيق العجائب، هدف التوكل على الله وقوة صله العبد بربه، مفتاح المعجزات وهذا إبطال للمعتقدات التي دائما ما تشير إلى أن للجن الغلبة والسيطرة على الإنسان وقصة العرش جاءت لتثبت أن الجن بقوته لا يستطيع أن يأتي بما جاء به العبد بالدعاء، وبالعلم من هنا يعمل العجائبي على إصلاح ما إعوج في المعتقدات والثوابت الدينية، محقق وظيفة نفسيه اجتماعيه، فالعجائبي إنما يكسر القوالب الفكرية القديمة ويخلق بعد آخر يتوافق مع القيمة الإعتبارية لدلالة القصة والتي ترتبط كما أشرنا سابقا بالدلالة الدينية للآيات القرآنية.

**تجليات العجائبي في قصة فتنه سليمان:**

إحتوت قصة فتنة سليمان عليه السلام العديد من الأخيار والمرويات العجيبة التي تخص البلاء الذي وقع عليه وقد تضمنتها الإسرائيليات وكثرت فيها التأويلات ورغم إنكارها من قبل المفسرين إلا أنها مرويات تزخر بالعجائبي

وهذا ما سنحأول العمل على إبرازه في نصوص التأويل التي تخص قوله تعالى: { ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب} (34).[1]

عن مجاهد قال :(والقينا على كرسيه جسدا) قال شيطان يقال يقال له :آصف .فقال له سليمان :كيف تفتنون الناس؟ قال :أريني خاتمك أخبرك .فلما أعطاه إياه نبده آصف في البحر .فساح سليمان وذهب ملكة، و قعد آصف على كرسيه، ومنعه الله نساء سليمان، فلم يقربهن وأنكرنه، قال :فكان سليمان يستطعم فيقول :أتعرفونني؟ أطعموني، أنا سليمان، فيكذبونه، أعطته إمرأة يوما حوت يطيب بطنه، فوجد خاتمه في بطنه، فرجع إليه ملكة، وفر آصف فدخل البحر فارا.[2]

وفي رواية أخرى عن قتادة قال: ( ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم أناب) حدثنا قتادة أن سليمان أمر ببناء بيت المقدس، فقيل له :إبنه ولا يسمع فيه صوت حديد، قال :فطلب ذلك فلم يقدر عليه، فقيل له :أن شيطانا في البحر، يقال له صخر، شبه المارد، قال :فطلبه، وكانت عين في البحر يردها في كل تسعه أيام مره، فنزح ماؤها، وجعل فيها خمر، فجاء يوم وروده، فإذا هو بالخمر، فقال :انك لشراب طيب، إلا أنك تصبين الحليم «...» [3] النص طويل جدا يروي أحداث إلى أن يصل إلى وقوع الفتنه " قال :فدخل الحمام، وأعطى الشيطان خاتمه، فالقاه في البحر، فلتقمته سمكه، ونزع ملك سليمان منه، وألقى على الشيطان شبه سليمان «....»قال فبينما هو كذلك أربعين ليلة حتى وجد نبي الله خاتمه في بطن سمكه، فاقبل فجعله لا يستقبله جني ولا الطير إلا سجد له"[4] في نص أخر عن السدي إرتأينا أن نكتفي بالجزء المتعلق بكيفيه عودة الخاتم لسليمان لتشابه القصة مع النصين السابقين وأيضا لي طولها، وجاء في النص أنه لما أنكر على علماء بني إسرائيل

[1] سورة ص الآية 34.

[2] الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق عبد الله التركي، ج18، ص89.

[3] المرجع نفسه.

[4] نفس المرجع، ص90.

حكم الشيطان، إجتمعو وجعلو يقرؤون التوراة على الشيطان المتنكر في جسد سليمان أنه» طار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه، ثم طار حتى ذهب إلى البحر، فوقع الخاتم منه في البحر، فإبتلعه حوت من حيتان البحر، قال :وأقبل سليمان في حاله التي كان فيها حتى إنتهى إلى صياد من صيادي البحر وهو جائع وقد إشتد جوعه، فإستطعمه من صيدهم، قال :أني أنا سليمان، فقام إليه بعضهم فضربه بعصا فشجه، فجعل يغسل دمه وهو على شاطئ البحر، فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه، فقالوا :بئس ما صنعت حيث ضربته، قال : إنه زعم أنه سليمان، قال :فأعطوه سمكتين مما قد مذر عندهم، فلم يشغله ما كان به من الضرب حتى قام إلى شط البحر، فشق بطونها وجعل يغسل، فوجد خاتمه في بطن أحداهما، فأخذه فلبسه، فرد الله عليه بهاءه وملكة وجاء الطير حتى حامت عليه فعرف القوم أنه سليمان...».[1]

يتجلى العجائبي من خلال النصوص التي أوردناها في ما يلي:

**السرد العجائبي:**

الملاحظ على النصوص التأويلية السرد العجائبي التي طغى عليها من بداية القصة إلى نهايتها وعملها هذا السرد على خلق فضاء عجائبي داخل النص من بداية الأحداث وصولا إلى العقدة) إستولاء الشيطان على الخاتم وضياع الملك من سليمان (إلى بداية حل العقدة، الفرج المتمثل في إيجاد سليمان للخاتم وعودته إلى طبيعته الأولى وإنفراج الأحداث.

سمح السرد المتسلسل والمترابط للقصة بصنع فضاء عجيب للقصص بالرغم من أنه في بعض الأجزاء لم يكن الأحداث العجيبة لكن الأسلوب السردي يساعد في خلق العجائبي من خلال التأثير على المتلقي وجذبه إلى النص وخلق حالة شعورية تربط القارئ بالنص، فلا يستطيع تحديد مشاعره نحو ما يحدث، أين يوجد نفسه بين مطرقة الواقع وسندان الخيالي والفضاءات العجيبة التي تحمل بذور الخوارقي عن طريق تحكم مخلوقات وجودها في

[1] الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق عبد الله التركي، ج18، ص91-92.

النص يحيله إلى النص العجائبي والملاحظ في النصوص التي ذكرناها أن جميعها تحتوي على أحداث بطلها الشيطان أو المارد بإختلاف ما أطلق عليه من أسماء في النصوص المعروضة يدخلها في فضاءات العجائبي.

**الأحداث العجائبية:**

**إستولاء الشيطان على شكل سليمان وهيئته:**

أجمعت المرويات الثلاثة على إستولاء الشيطان على هيئه سليمان وشكله حيث أخذ شكله وجلس على كرسيه، يحكم بين الناس أربعين يوما، وهذا ضرب من العجيب، تدخل الشيطان في الأحداث وتحريكها، يعد أحد معالم العجائبي في النصوص والسرد العجائبي لما تحمله الشياطين والجن من خصوصية وإنتمائها إلى عالم الأرواح في المفهوم الشعبي، فالشيطان مقرون لدى المتلقي بالعالم العجائبي، هذا بالإضافة إلى فكرة إستولائه على جسد وهيئه سليمان وهذا أيضا أحد الأحداث العجائبية، عمليه تشكل المخلوقات على غير هيئتها الحقيقية يعطي النص بعدا عجائبيا، خاصة إذا ما أخذت جسد نبي الله وهذا يكسب النص عجائبيته ويحقق التوتر في النص العجائبي.

**الحدث العجائب الثاني وهو ابتلاع السمكة لخاتم سليمان:**

أجمعت النصوص السردية على أن الشيطان رمى الخاتم في البحر فلتقطته سمكة وابتلعته وهكذا ضاع من سليمان ملكة الذي كان في خاتمه وإستطاع الشيطان أخذ مكانته وشكله وجلس على كرسيه ويحكم بين الناس، هذا الحدث العجيب تكتمل عجائبيته عندما إصطاد الصيادون هذه السمكة، وما يزيد من عجائبية الأحداث أنه من بين ألاف الأسماك في البحر، يصطادون السمكة التي إبتلعت خاتم سليمان وأيضا وإن أقر المتلقي بأن هذا يمكن حدوثه أن من الصعب التصديق فكيف يتصور العقل أن من بين ألاف الأسماك التي إصطادها الصيادون، إختار الصياد أو المرأة حسب الروايات السمكة التي إبتلعت الخاتم و يقدمونها لسليمان؟

هذه الأحداث هي من تفعل جنس العجائبي في النص، فالمتلقي يجد نفسه أمام العديد من الأحداث العجيبة التي لا يتقبلها العقل، فإحتمال حدوث هذا ضئيل جدا لكثرت الأسماك في البحر وهذا ما يجعل القارئ متردد حول حقيقة ما حدث وهذا التوتر يكتب النص عجائبيته، ويخلق فضاء عجيبا في ذهن المتلقي الذي يحاول رسم عوالم تمكنه من فهم الأحداث لا يجد نفسه بين إمكانية حدوث هذا صدفة فالقدر لديه كلمته ومن بين إستحالة التصديق من هنا يمكن القول بعجائبية الأحداث فهي تخترق الممكن وتصنف لمساتها الغريبة عن الواقع والعجائبية التي تتشكل من خلال السرد والأحداث.

## الوظيفة الأدبية والجمالية للعجائبي:

إن ما جاء في النصوص من أحداث عجائبية، ساهم السرد في تشكيلها فكانت بمثابة مداخيل للعجائبي في النص العجائب الموجود في مجريات الأحداث من خلال الشخصيات وإنقلاب الأدوار في لحظة غفلة وساهم الوصف في زيادة ملامح العجائبي في القصة وهذا ساهم في خلق التوتر داخل النص مما يزيد من تأثير الوقائع على المتلقي وتحقيق الإنفعال الذهني لديه من خلال صدمة الأحداث وعدم تطابقها مع الثوابت العقلية، فالسرد العجائب يخلق فضاءات ليس لها تمثل في أرض الواقع المعلوم، ووظيفة العجائبي هو خلق فضاءات جديدة تكسب النص ثراء من حيث جذب القارئ وإثارته سواء من خلال بعث مشاعر تجاه النص أو من خلال تحطيم سقف توقعاته وخرق نظامه ومعتقداته مما يمنحه فرصه خلق أنظمة جديدة وهذا يعطي النص الأدبي قابلية لإحتواء العديد من التأويلات وبالتالي يكتسبه القدرة على الإمتداد لأزمنة عديدة والتأثير على المتلقي حتى بعد إنتهاء عملية القراءة وأيضا يعمل العجائبي على إثراء النص من حيث اللغة والخيال والتولد من جديد، فالنص لا يموت من خلال القدرة على التجدد في التأويلات، المتعددة التي ترتبط بالخيال وكذا تحقيق النص للتشويق وحركيه الأحداث تكسبه سلاسة ومتعه فلا يمل القارئ من الخوض في أحداثه.

## تجليات العجائبي في قصة داود:

قصة داود عليه السلام كغيرها من قصص الأنبياء التي عرضناها سابقا، فهي مثلهم تماما إشارة إلى الطريق المطلوب في حياة الرسول، عليهم صلوات الله، الطريق الذي يضمهم أجمعين، فكلهم ساروا في طريق الإبتلاء والصبر، فحياتهم كلها تجارب مفعمة بالإبتلاءات مفعمة بالآلام وحتى السراء كانت إبتلاء، وصبر على النعماء كما صبر على الضراء فكلتاهما في حاجه إلى الصبر والإحتمال، وصفحه قصة داود عليه السلام مليئة بالعطاء وكذا البلاء، حيث كان الإمتحان والإختبار مادتها، فكل نبي إبتلاه الله بالفتن ليرى هل يصبر ويتجاوز إختباره، وقصة فتنه داود من القصص التي كثرت فيها المرويات والإسرائيليات والتي كثر فيها الإنكار من قبل المفسرين بسبب ما تحمله من أحداث وصفات لا تليق بنبي الله داود، و سنعرض في هذا الجزء المتعلق بتجلي العجائبي في ما روي عن قصة فتن داود عليه السلام، العناصر الحكائية التي يتجلى فيها العجيب دون عرض الجزء الذي يتعارض مع حقيقة داود لأن هذا يمس شخص نبي الله فسنركز على العجائبي دون الخوض في ما نسب إليه في المرويات لتجنب الدخول في الإشكاليات المرتبطة بهذا الجانب ونحن في غنى عن الخوض فيه.

## مظاهر العجائبي في نص تأويل الآية 24 سورة ص:

قال الله تعالى: { ۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴿٢١﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ

لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ }[1].

ورد في تأويل الآية أن داوود عليه السلام طلب من ربه أن يرزقه من العطايا والخير بمثل ما رزق آبائه قبله، وأن يبتليه الله بمثل ما إبتلاهم، فعن السدى، برواية طويلة عن فتنه داوود قال » قال داوود :يا رب إبتليني بمثل ما إبتليتم به وأعطيني مثل ما أعطيتهم، قال :فوحي إليه :إنك مبتلى، فإحترس، قال :فمكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث، إذ جاءه الشيطان قد تمثل في صوره حمامة من ذهب، حتى وقع عند رجليه وهو قائم يصلي، قال فمد يده ليأخذها فتنحى، فتتبعه فتباعد، حتى وقع في كوة، فذهب ليأخذه فطار من الكوة، فنظر أين يقع فيبعث في إثره، قال :فأبصر إمرأة تغتسل على سطح لها، فرأى إمرأة من أجمل الناس خلقا، فحانت منها إلتفاتة فأبصرته، فألقت شعرها فاستترت به، قال :فزاده ذلك فيها رغبة[2].

**تجليات العجائب من خلال النص:**

**عجائبية الحدث:**

يتجلى لنا الحدث العجائبي من خلال التغيير الذي حدث على هيئة الشيطان، عندما تحول إلى حمامة من ذهب، ويعتبر هذا من بين الأحداث العجيبة وفعل التحول من هيئه إلى أخرى معاكسة تماما يشكل في النص فضاءا عجائبيا، فبرغم من أن للشيطان القدرة على التمثل في أي شكل يريد إلى أن وجود هذا الفعل في النص يمنحه بعد عجائبيا إنطلاقا من التأثير الذي يحدثه هذا التحول في الأحداث وفي المتلقي الذي يجد نفسه أمام حاله من الريب والشك، الشخص الذي تمثل له الشيطان على شكل حمامة من ذهب، هو نبي الله، فهل يعقل أن لا يتعرف عليه، كما أن السرد وإن كان لا يحتوي على ألفاظ عجيبة إلا أنه يحرك النص على مسار العجائب وهذا

[1] سورة ص الآيات 21-22-23-24.

[2] الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق عبد الله التركي، ج18، ص66-67.

هو السرد العجائبي الذي يحرك عواطف المتلقي لجعله جزءا من النص، فالراوي لم يقتصر على ذكر عمليه تحول الشيطان إلى حمامة فقط لكنه وصفها بأنها من ذهب وهذا أمر مفارق للواقع، حيث في الطبيعي والمألوف لا وجود لحمامة من ذهب، إذن نحن أمام حدث غير مألوف خارج عن المنطق العقلي الذي يستند في إحكام تصديق ما يراه ويسمعه إلى الواقع الذي ينطلق منه، وهنا يجد نفسه أمام أمرين يخرجانه عن المألوف، ففي أول الأمر تحول الشيطان من طبيعته التي لا ترى بالعين المجردة إلى حمامة ووجود حدث مثل هذا يدخل النص في فلك العجائبي، ثم صفة الحمامة التي وصفها بأنها من الذهب وهذا الوصف الذي لا يتوافق مع الواقع إذن فإننا أمام فعلين عجائبيين ولم يكن هذا مجرد حدث عجيب فالذهب إنما يرمز إلى المال ولهذا جعل الراوي الحمامة من ذهب ولم يكتفي بها فقط حمامة عادية لأن تأثيرها يختلف على مجريات النص السردي فالإنسان يفتن بالمال، فلو كان الشيطان تحول إلى حمامة عادية لما تحقق فعل الإفتتان، لكنه تحول إلى حمامة من ذهب ليزيد من فتنه الموقف وعجائبيته، ويحرك الأحداث إلى الفتنة الأكبر، حيث إستدرجت الحمامة الذهبية داود إلى ما هو أكبر، فتنه النساء.

برغم من مخالفه مجريات النص لما هو معروف عن سيرة الأنبياء، فالرواية ترسم صورة لا تليق بنبي الله داود حيث جعلته يفتتن بالمال والنساء بالرغم من انه كان قائما يصلي وهذا ما يتعارض تماما مع الحقيقة لكننا هنا نتعامل مع النص بإعتباره نصا أدبيا يتجلى فيه السرد العجائبي بالإضافة إلى الحدثين العجائبيين.

النص بإحتوائه على فعلين عجائبيين أولا يتجلى العجائبي من خلال فعل التحول من هيئة إلى هيئة) تحول الشيطان (حضور المخلوقات التي ترتبط في الذهن بالأفعال الخارقة والعجيبة و بالطبيعة الاستثنائية الغير مرئية التي لا يمكن للمتلقي إدراكها عن طريق الحواس إنما عن طريق التخيل الذي يفعل حضور العجائبي في النصوص السردية.

ثانيا من خلال الكائنات العجائبية التي تخالف ما هو موجود في العالم الواقعي ) الحمامة الذهبية (إن الحضور الفعلي لمثل هذه المخلوقات كالحمامة الذهبية في مجريات أحداث النص بل وتحكمها في سير الأحداث، يجعل من النص نصا عجائبيا، إنطلاقا من أحداثه الفوق طبيعية الضبابية بالنسبة للمتلقي بحيث يعجز عن إخفاء دهشته وإنفعاله مع الأحداث سواء من خلال الحزن أو الفرح أو حب الإستكشاف والفضول لمعرفه بقيه الأحداث.

ثالثا السرد العجائبي وهو الذي يعمل على تحقيق التسلسل الوقائع وضبط إيقاع النص السريع والمفاجئ والمحافظة على توتر النص وذلك من أجل إستمرار فاعليه النص العجائبية فالسرد هو الذي يرسم الصورة الذهنية للأحداث ويحيط الشخصيات بهالتها العجائبية وبالتالي محافظتها على جذب المتلقي وربطه بالأحداث والأشخاص والفضاءات الزمنية والمكانية والسرد القصصي في النص الذي بين أيدينا ساهم بشكل كبير في بناء الفعل العجيب وأيضا من خلال توجيه ذهن المتلقي إلى الأحداث بوصفها عجيبة بالنظر إلى أنها ترتبط أولا بشخصية حقيقية وليس شخصية عاديه إنما هي شخصية نبي الله داود، والتركيز على صفة الشخصية يحرك أبعاد العجائبي من خلال كسر القاعدة الراسخة لدى المتلقي وهذا يحدث إهتزاز وصدمة وبعثرة المألوف لديه، فكلما كانت الشخصية التي تتمركز عليها الأحداث شخصيه ذات قيمة معنوية في الواقع، كانت الصدمة المحققة في النص أكبر فالعجائبي هو كل ما يحطم الصورة النمطية للواقع والسرد أداة فعل لتحقيق هذا الهدف، وعند النظر إلى الأفعال التي نسبت إلى داود فإن السرد عمل على تحطيم تلك الصورة لذهنية المشكلة من الخلفية الدينية والتي تعد قيمة ثابتة لدى المتلقي والعمل على زعزعت نظام المتلقي المتمثل في التوابت العقائدية التي ترتبط بالأنبياء والأولياء الصالحين.

من هنا فإن قلب الواقع وتحطيم الأسوار الثوابت وإرساء قواعد جديدة يتبناها المتلقي في الوظيفة السردية التي يعمل على تحقيقها السرد العجائبي وهذا من أجل ضرب الثوابت وخلق فضاء جديد غير محدود وفتح أفق لتأويلات جديدة من شأنها أن تخلق نصا جديدا.

إن السرد القصصي في النص التأويلي الذي بين أيدينا يعد مفتاح تحقيق العجائبي في النص، من خلال خلق التوتر والإندهاش وتحطيم كل متوقع وتشكيل الصدمة السردية للمتلقي من خلال زعزعة خلفياته الذهنية وبالتالي تحقيق الإنفعالات المطلوبة من تردد، وحيرة، وتعزيز الرغبة في الإكتشاف، وهذا من بداية النص إلى نهايته، وقد تعمدنا عرض جزء من القصة كما ذكرت في الرواية بسبب طولها، فلم نذكرها كاملة، ولمن يريد الاطلاع عليها يجدها في جامع البيان لتأويل القرآن، الجزء العشرون تأويل سورة ص من تحقيق عبد الله التركي.

ويحيينا السرد العجيب إلى حدث عجائبي آخر تمثل في إعتكاف داود ساجدا وهو يبكي لمدة أربعين يوما لا يرفع رأسه حتى نبت العشب من دموع عينيه وجاء في النص ما يلي «... فمكث يبكي ساجدا أربعين يوما، لا يرفع رأسه إلا لحاجه، لابد منها، ثم يقع ساجدا يبكي ثم يدعو حتى نبت العشب من دموع عينيه...»[1] وفي رواية أخرى عن ابن وهب قال: «... مكث أربعين ليله ساجدا، حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه، وأكلت الأرض جبينه...»[2] وعن يعقوب بن إبراهيم قال: « خر لله ساجدا أربعين يوما، حتى نبت من دموع عينيه من البقل ما غطى رأسه...»[3].

من خلال ما جاء في النصوص الثلاثة من أن داوود عكف ساجدا لله يبكي مدة أربعين يوما حتى نبت الزرع من دموعه ورغم إختلاف بعض التفاصيل الصغيرة، مثل من قال نبث العشب ونبت الزرع ومنفصل في نوع الزرع فقال نبت البقل حتى غطى رأسه، إلا أننا لا محالة أمام حدث عجائبي لم يسبق قبله.

---

[1] الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق عبد الله التركي، ج18، ص68.

[2] المرجع نفسه، ص74.

[3] المرجع نفسه، ص73.

هذا الحدث الغير مألوف يضع المتلقي أمام ظاهره خارقه كسرت نظام الطبيعة، إذ لم يستبق وان حدث أن الزرع ينبت على رأس إنسان، فطبيعة جسم الإنسان تختلف عن البيئة الطبيعية التي يحتاجها الزرع لكي ينبت، وقوع حدث كهذا له أمر في غاية العجب لم يستبق له وجود لا من قبل ولا من بعد، هذا الحدث الخارج عن المألوف، الغارق في بعده الخارق العجيب يضع المتلقي أمام فضاء ليس له معا لم على أرض الواقع مما يدفعه إلى محاولة تصور هذه الواقعة من باب فضوله وتلبية شعوره بالفضول لمعرفه كيف حدث هذا الحدث العجيب ومحاولته هذه في كشف المبهم و الغامض تثري ذهنه بالخيالات حول الحدث والصور الذهنية المرافقة له، فالمتلقي أمام حدث كهذا يستعين بخياله ليعطي ملامح لهذا الزرع الذي نبت على رأس إنسان، بسبب دموعه وأنه وربي لعجيب آخر فكيف للدموع أن تنبت الزرع، وتنبته من العدم بلا بذور وله أن يتخيل كم لتر من الدموع نزلت من عيون داود وهو ساجد يبكي حتى إرتوت الأرض ولكن إن كان ساجدا فمعنى هذا أن الدموع تبلل وتروي الأرض محل موضع رأسه، فكيف نبت الزرع على رأسه إذن؟ وإن أخذنا بمجاز العبارة ليجعلها تدل على طول الزرع وإنما نبت في الأرض موضع السجود و نمت حتى بلغ رأس داوود وهذا القول لا يقل عجائبية عن القول بأن الزرع نبت على رأس داود، فكلا القولين عجيب لأن رأس داود ليس بالتراب لينمو فيه العشب أو الزرع والدموع مهما بلغت كثرتها ليست كافيه لتبلل الأرض وينبت الزرع، فالحديثين يفعلان الحدث العجائبي في النص.

**وظائف العجائبي:**

**الوظيفة الأدبية والجمالية:**

يعمل العجائبي على إثارة ذهنية المتلقي إذ يعتبر آداة متميزة تثري العمل الأدبي والإبداعي من خلال تنمية الخيال، وخلق فضاءات جديدة، تلبي رغبات المبدع والمتلقي على حد سواء من حيث إشباع ميولاتهم التي تميل إلى كل ما هو غريب، وكل ما يثير الدهشة والحيرة فكل ما هو غير مألوف باهر وكل خارق مدهش وكل جديد ممنوع في نظام العقل، مرغوب محبوب في ساحة الإبداع والخيال الذي لا ينضب و الذي يحقق الإمتاع والمؤانسة عن

طريق السرد العجائبي، الذي يشكل عملا إبداعيا، عجيبا، مدهشا، يصل إلى عقل المتلقي ويخطف وجدانه بأيسر الوسائل الفنية الجمالية وغالبا يسيطر الوصف العجيب على جوارح المتلقي ويجعله مأسورا بهذا الفضاء الخارق الذي كسر المنطق بجمعه لعالمين، المألوف، الواقعي، وعالم حر طليق، وهو عالم الخوارق، والعجائب، يخترق جميع ثوابت ومرتكزات العقل، ويقتحم نفس المتلقي، مما يحدث في نفسه هزات شعورية كثيرة، إزاء التأثير الكبير الذي يجعله يعيش الكثير من الإضطرابات النفسية الشعورية، من الخوف والتوتر والقلق والانبهار في أن وأحد، فقد يجد المتلقي نفسه أمام حالات شعورية مزدوجة، من فرح، وإنبهار، وخوف مما يحدث، وشك كبير، وتردد في إتخاد موقف من الأحداث المفاجئة المربكة لكل ما يتصور، وهذا التأثير يعد من وظائف العجيب حسب تصنيف تودوروف ومن الوظائف المحققة في النصوص التي تناولناها من قصة فتنة داوود، الوظيفة التداولية التي تتحقق من خلال أن العجائبي في السرد والأحداث الواردة تعطي النص صفة خاصة لقدرته على إثارة مشاعر المتلقي، و تشير إلى قلق المتلقي من هذا النص وما يتركه من اثر وتردد، والنصوص التي عالجناها في فتنه داوود، تحقق هذه الوظيفة من خلال حالة التردد التي يجد القارئ نفسه فيها إزاء صحة ما ذكر لأن المرتكزات الذهنية المبنية على الحقيقة الدينية للشخصية) داوود (تتعارض مع ما جاء به النص من أخبار وهذا يشكل صدمه للمتلقي الذي يجد نفسه على حافة الحقيقة والخيال دون أن يستطيع إختيار موقف معين، من هنا يتشكل لديه الشك والريبة من جواز التصديق وفي نفس الوقت إندفاعه إلى حب الإستطلاع والتحقق مما يخلق رابطا شعوريا وذهنيا بين المتلقي والنص وهذا يشكل الوظيفة الدلالية التي تشمل مدى قدرة العجائبي على خدمه السرد والإحتفاظ بالتوتر الذي ينميه كل عنصر في الحكي في أجزاء النص والسرد في قصة فتنة داوود يساهم بشكل كبير في المحافظة على الجو العجائبي والتوتر في النص من خلال الوصف الدقيق لعملية إنتقال الحال من حال إلى حال أي من بداية طلب داوود أن يختبره الله إلى وقوفه في محرابه وصولا إلى تمثل الشيطان على شكل حمامة من ذهب، وإستدراج الحمامة لداود حتى أوصلته إلى السطح ليرى المرأة التي أفتتن بها، وكيف عمل على إهلاك زوجها حتى

نكحها و نسيانه أمر الإختبار مشدودا إلى رغبته والفتنة حتى زيارة الملكين وعرض مشكله الإختصام وإدراك داوود لذنبه وأنه وقع في الفخ حتى عكوفه على السجود والبكاء والدعاء ونبات الزرع وتقيح جلده من كثره البكاء وعدم رفعه لرأسه وتوبته وغفران الله له وتقبل توبته، كل هذه الأحداث المتسلسلة والمترابطة في حبكة تساهم في خلق تجانس النص مما يعمل على التحكم في مجريات النص بالشكل الذي من شأنه أن يسير المتلقي حسب أجواء النص وفضائه العجيب، وبالتالي الإستحواذ على مذركات المتلقي وخلق مذركات جديدة وجذبه بشكل جمالي يربطه بالنص حتى بعد إنتهاء زمن القراءة وهذا الأثر الذي يحققه الأدب في المتلقي، فالعجائبي يخلق فضاءا جديدا ويثري ذهن القارئ بأفكار جديدة وتحطيم الصورة النمطية التقليدية للأدب وذلك عن طريق إمكانية تطوير العمل الإبداعي وخلق فضاء ساحر لا يتقيد بقيود أو حدود فهو يخترق جميع الفضاءات الزمنية والمكانية، فالعجائبي طائر حر لا يقيده جدار المعتقدات الثابتة، وتحقيق اللذة الإبداعية لا يكون إلا من خلال خرق الثوابت، وخلق المستحيل في الواقع وجعله واقعا في فضاء الذهن المبدع، إذن العجائبي يحقق للنص الانسجام والجمال والقدرة على التشكل يفقد الحالة الشعورية التي يزرعها في القارئ فيكون المأثر والمتأثر والصانع والمصنوع ويبقى فضائه الخارق.

**الوظيفة الدينية:**

الحديث عن الوظيفة الدينية التي يحققها العجائبي في هذه القصة، يحيلنا إلى التفسيرات التي تناولت قصة الفتنه إنطلاقا من الآيات القرآنية والتي تكشف اختلافا كبيرا من حيث التأويل القصة، حيث جاء في ظلال القرآن لسيد قطب أن النبي داوود عليه السلام دخل عليه ملكين على هيئه شخصين جاء ليحكم بينهما، وبدأ أحدهما فعرض خصومته والقضية، كما عرضها أحد الخصمين، تحميل لا يحتمل التأويل» إن هذا أخي له تسعة وتسعون نعجة ولي نعجة وأحده –فقال :اكفلنها )«أي اجعلها لي وفي ملكي وكفالتي وعزني في الخطاب) .«أي شدد علي في القول و أغلظ (ومن ثم اندفع داود يقضي على إثر سماعه لهذه المظلمة الساخرة ولم يوجه إلى القسم

الآخر حديثا ولم يطلب إليه بيانا، ولم يسمع له حجه ولكنه مضى بحكم « لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه، وإن كثيرا من الخلطاء) أي الأقوياء المخالطين بعضهم لبعض (ليبغى بعضهم على بعض أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات »[1].

المتمعن في تفسير الآية يدرك أن البلاء الذي وقع على داوود لم يكن بالشكل الذي تناوله الإسرائيليات لكن يمكن إستخلاص بعض الدلالات على شكل نقاط من شأنها أن تعطينا أحد أوجه الوظيفة الدينية.

رغم الإختلاف الواضح في شكل الإختبار والبلاء الذي وقع فيه داوود إلا أن الروايتين يشتركان في أن داوود اتبع الهوى حيث سار مع الانفعال الأول وعدم التريث والتثبيت والتبيين، والذي ينتهي مع الإستطراد فيه إلى الضلال، ففي نص التأويل للطبري اتبع داوود إفعاله الأول الذي قاده إلى الضلال أي إعجابه بالحمامة الذهبية وسيري نحو هواه للوصول إليها مما قاده إلى المرأة وفتنه بجمالها ومواصلاته نحو الذنب للحصول عليها دون أن يتريث ويتثبت ويتبين أي أن إتباعه للهوى صرفه عن معرفة حقيقة الإختبار، وسقط في فخ الهوى ويؤول بنا العجائبي المرتبط بنمو الزرع من بكاء داود، وبعدها مغفرة الله لذنبه، يشير التأويل إلى أن داوود بعد إدراكه لما وقع فيه خر ساجدا يدعو ربه أن يغفر له لا يتوقف دمعه ولا يرفع رأسه خجلا من الله حتى نبت الزرع على رأسه وهو دليل على طول مدة التضرع لله والإستغفار لذنبه وإنابته حتى نال رضا الله ومغفرته.

من خلال ما ذكرناه من دلالات الآيات وتأويلاتها يمكننا القول أن العجائبي في النص يشير إلى نتيجة إتباع هوى النفس والسير نحو المغريات والشهوات، وأيضا تظهر أن الله يتقبل توبة عبده وإن ظل ويغفر الذنوب جميعا إن رآى توبة عبده وإخلاصه وإنابته وصدقه في طلب المغفرة.

و خلاصه القول أن العجائبي في النص وبالرغم من تعارضه مع الحقيقة إلا أنه رسالة مفداها أن إتباع طريق الهوى والشهوات والمغريات وملذات الدنيا نهايته الظلال عن الحق والمعصية والعذاب، وأن التوبة والعودة إلى الله

[1] سيد قطب: في ظلال القرآن، ص3794.

مخلصا، صادقا، هي طريق النجاة والعطاء والنجاح في إختبارات الدنيا، إذا هو دعوى إلى تجنب طريق الشيطان وهو باب مفتاحه إتباع الهوى والشهوات ودعوة إلى العودة إلى الله والتوبة والسير على منهاج الصبر على مغريات الدنيا للفوز بالآخرة.

## تجليات العجائبي في قصة أيوب:

قصة أيوب عليه السلام قصة ذاع صيتها في معاني الصبر على الإبتلاء والإنعام والإفضال بعد ذلك ولم تخلو قصة أيوب عليه السلام من الروايات الإسرائيلية حيث طغى التعجيب، وتضمنت التفاسير قصة أيوب العجيبة مع الإبتلاء والصبر والعطاء بدون حساب، وجاء في جامع البيان ذكر قصة أيوب حيث لم تخلو من العجائبي، وسنحاول من خلال العرض نص التفسير الذي تضمن العجائبي، حيث جاء في تأويل الآيات ذكر لأخبار عجيبة، قال تعالى: {واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب، اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب، ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمه منا وذكرى لأول الألباب، وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث، إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب}[1](44) مما جاء في تأويل الآية رواية طويلة يتجلى فيها العجائبي وقد أسندت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم حدثني يونس، قال :أخبرنا إبن وهاب قال أخبارنا نافع بن يزيد عن عقيل عن أنس بن مالك أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال) :إن نبي الله أيوب نبت به بلاؤه ثماني عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلان من إخوانه كان من أخص إخوانه به كان يغدوان إليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه تَعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين، قال له صاحبه وما ذلك؟ قال ثماني عشرة سنه لم يرحمه الله، فيكشف ما به «...»إلى أن يقول وكان يخرج إلى حاجته فإذا قضاها أمسكت إمرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم أبطئ عليها وأوحي إلى أيوب في مكانه أن{ إركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب } فاستبطأته، فتلقته تنظر وأقبل عليها قد أذهب الله ما به من بلاء وهو على أحسن ما كان فلما رأته

[1] الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق عبد الله التركي، ج20، 109.

قالت :أى بارك الله فيك هل رأيت نبي الله هذا المبتلى؟ فوالله على ذلك ما رأيت أحدا أشبه به منك إذ كان صحيحا، قال :فإني أنا هو، قال :وكان له أندران، أندر للقمح وأندر للشعير، فبعث الله سحابتين فلما كانت أحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الورق حتى فاض.

من خلال النص نص التفسير الذي بين أيدينا يتجلى لنا العجائب في صور عدة سنحاول الإشارة إليها وبيان دلالتها ووظائفها فيما يلي:

**يتجلى العجائبي من خلال الأحداث:**

**أولا: السرد العجائبي:**

يتجلى السرد العجائبي في نص التفسير من خلال أسلوب السرد المتسلسل والذي يرسم ملامح إبتلاء أيوب من طول مده البلاء وتخلي الجميع عنه وفقدانه صحته وعائلته، حتى أصبح منبوذا مطرودا لمن أهله وسكان بلدته وجعل السارد قصة الإبتلاء كأنها عقوبة من الرب لعبده وصورها كأنها لن تزول أبدا إلا بعد زوال العبد أيوب، فقد تعمد الراوي ذكر مده البلاء التي بلغت ثماني عشرة سنة من المرض والعجز حتى أصبح أيوب لا يستطيع السير وحده ويعتمد على زوجته التي كانت تمسكه وفي هذا إشارة لشدة المرض والراوي تعمد الإشارة إلى طول مده المرض و إلى حالة أيوب ونفور الجميع منه و لدرجه تأثير المرض عليه، هذا السرد يخلق فضاء في ذهن المتلقي الذي يرسم في ذهنه صوره لما آل إليه أيوب إنطلاقا من ثمانية عشرة سنة من العذاب هذه المدة كفيلة بتحريك عواطف المتلقي، ويكون أمام سرد لأحداث مؤلمة في تاريخ عبد إبتلاه الله لمده طويلة جدا الحالة النفسية والذهنية للمتلقي هي التي تحدد تأثير التغيير المفاجئ في أحداث القصة، وصدمة التغيير التي تكسر الزمن ففي الوقت الذي أعتقد فيه المتلقي بدوام البلاء وهلاك العبد أيوب يتغير منحى القدر في مفارقه الموت والحياة أي مخالفة الأحداث لما هو متوقع وذلك بصورة مفاجئه فعناء ثمانية عشرة سنة من المرض الذي نخر جسده ينتهي في لحظة في وقت لم يتوقعه أحد حتى العبد أيوب، فيصدم المتلقي بتغيير حالة الشخصية في لحظة كمن يولد من الموت .هذا النوع

من السرد يخلق حاله من القلق والتوتر لدى المتلقي لأنه لا يستطيع معرفه مسار الأحداث، وهذا يجعل شعوره دائم حول القلق الذي تنقله الشخصية للمتلقي، فبعد البلاء والشدة، تنقلب الأحوال في لحظة، إن شفاء أيوب بعد طول البلاء مهد لحدث عجائبي فالسرد ووصف حالة أيوب كان يحضر ذهن المتلقي لحدث عجائبي وهو إنتقال الصفة وتحولها بالوصف الذي رافق الأحداث يوحي للقارئ بأن أيوب الرجل المريض، الذي نحر جسده المرض، الرجل الذي تمسك بيد امرأته، قد تحول من حال إلى حال في لحظه عجيبة تصيب المتلقي بالدهشة، إزاء ما حدث من تحول مدهش للشخصية وهذه الدهشة تنقلها حالة إمرأة أيوب التي تقف أمام زوجها لتسأله عنه دون أن تتعرف عليه: ( وأقبل عليها قد أذهب الله ما به من بلاء، وهو على أحسن مما كان، فلما رأته قالت :أي بارك الله فيك هل رأيت نبي الله هذا المبتلى؟ والله على ذلك ما رأيت أحدا أشبه به منك إذ كان صحيحا، قال: فاني أنا هو)[1]

حالة إمرأة أيوب تبعث في المتلقي الغرابة حول حالة أيوب وأمام هذا الموقف تمنح للمتلقي حرية التصور وتخيل وضع أيوب فهل من المعقول أن لا تتعرف على زوجها الذي كان معها قبل لحظات قليلة تركته ليقضي حاجته وفجأة عاد شخص آخر لم تتعرف عليه زوجته بل وتسأله عن زوجها إنه وربي لحدث عجيب مدهش، يحرك كل ما في النفس من مشاعر الإضطراب والحيرة فأي قارئ تعتريه الدهشة، ويجول في خاطره سؤال عن الحقيقة فهل هذا ممكن فعلا أي شخص يمكن أن يتعرف على زوجه في حالة أنه لم يتغير جدريا وعدم معرفة زوجة أيوب لزوجها حدث عجيب لأنه يفضي بالقارئ إلى الإعتقاد بأن أيوب قد تغير كليا شكلا ولم يبقى إلا ملامح شبهتها زوجته وهذا هو الحدث العجيب، فكيف حدث هذا؟ إنه خارج نطاق المنطق العقل لا يتقبل فكرة أن حال يعقوب تحولت إلى درجة أن يقف أمام زوجته ولا تتعرف عليه حتى يخبرها أنه هو زوجها المبتلى.

[1] الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق عبد الله التركي، ج20، ص110.

العجائبي هنا لا يقتصر على حدث واحد والذي يتمثل في تغيير أيوب بصفه عجزت زوجته عن معرفته فلولا إخبار أيوب لها بأنه زوجها لما تعرفت عليه، هذا يمنح للمتلقي مساحة للحرية في تخيل أيوب فهل عاد شابا قويا فلم تعرفه زوجته؟ وكيف عاد شباب أيوب وصحته و بهائه؟ حرية المتلقي تجعله يسبح في فضاء عجائبي لا حد له، كأن أيوب شرب من ماء الحياة والشباب الدائم كما في الأساطير التي تشير إلى نهر الحياة والشباب المتجدد، فمن يشرب أو يغتسل منه تعود له صحته، وشبابه، وجماله، وهذا فكر مترسخ في الأساطير القديمة التي تدعو للخلود، نهر الخلود الدائم، وإنما حالة أيوب بعد عودته تحيل إلى الفكر الأسطوري الذي إرتبط بأسطورة ينبوع الشباب الذي يعيد الشباب والصحة لكل من يشرب منه، أو يستحم به، وأسطورة إكسير الحياة، وهذه أساطير متوارثة في الفكر الشعبي، وإنما حالة ذهاب أيوب بصفة وعودته بصفة مغايرة تماما قمة العجيب، فقد ذهب لقضاء حاجته وهو شخص مريض منهك، نخر جسده المرض أصابه بلاء لأعوام وعاد بصفة أخرى مغايرة تماما، مفارقة عجيبة بين زمن البلاء ولحظه الشفاء، العجائبي لم يتوقف على عملية السرد فقط ولم يقتصر على حدث واحد إنما أضاف المفسر جرعه من العجائبي أضافت للنص بعد عجائبيا آخر، فبعد التصوير العجيب للحظة عودة أيوب لصحته وشفائه بعد أن شرب من النبع البارد وإغتسل منه، تصوير يثري القصة ببعدها الجمالي الممتع عمعقا آخر لبعد ديني رائع، طول البلاء والشفاء، وفقدان صحة البدن، جسد هزيل نخره المرض، فقدان الأهل صور إنقلبت بدعاء أني مسني الشيطان بنصب و عذاب، فإنفجرت عين جاريه شافيه للعبد الأواب، لحظه يقين عجلت بالشفاء، فهو الجسد يتقوى والصحة تعود من جديد، إنه لفظ عظيم ولكن هل إكتفى؟ سؤال في ذهن المتلقي الذي ينتظره حدث عجائبي آخر عجيب وصف إنقلاب حال آخر وعودة مفقود آخر في الحادثة العجائبية الأولى والتي كانت وسيلة تحققها هي الماء البارد فهو وسيلة للشفاء سخرها الله لتكون ترياق حياة لعبده الصابر وفي النص الآتي نعرض وسيلة أخرى عجيبة ساهمت في بناء فضاء عجائبي، بأحداثه العجيبة

الخارقة « كان له أنذران أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله سحابتين فلما كانت إحداهما على أنذر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض، و أفرغت الأخرى في أندر الشعير الورق حتى فاض »[1].

يتجلى في هذا النص حدث عجائبي يصف لنا كيف عود الله نبيه أيوب وجازاه على صبره وأغدق عليه بالمال بعد أن فقده في فترة بلاءه، حيث يصف لنا تسخير الله لسحابتين قامتا بإفراغ الذهب والفضة على حقول أيوب، وهذا حدث مخالف لأمر المنطق وغير مألوف لأن عقل المتلقي أمام خرق للواقع وحقيقة خرق الرواية للواقع أن الحادثة لم ترد في القرآن الكريم فلم تذكر في أي آيه وإنما جاء في الآية الكريمة} ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمه منا وذكرى لأولي الألباب {نص التأويل جاء بحدث ليس له وجود في النص القرآني وهذا يشكل سببا للشك والحيرة وإثارة التردد لدى المتلقي، الفضاء العجائبي الذي تخلقه الرواية المتعلقة بالسحابتين تدعمه حقيقة الإسناد، فالراوي أسند هذه المرويات إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا لإضفاء شريعة على القصة، فصدق الراوي وأمانته إنما يساهم في تحقيق العجائبي والذي من شروطه أن يكون الراوي موجود فعلا بالإضافة إلى الشخصية وهذا ما يتوفر في نص التأويل فأيوب عليه السلام شخصية حقيقية والروي الذي أسند إليه رواية القصة هو الرسول الصادق الأمين إعتماد المفسر على إثبات المرويات من خلال إسنادها إلى أشخاص يثق بهم المتلقي كان له الأثر الكبير في صناعة فضاء عجائبي للمروية، أي أن المتلقي يجد نفسه أمام حدث خارق مفارق لما هو موجود في واقعه الحقيقي وحالة الشك والتردد في قبول الحادثة يصطدم بواقعية الراوي الذي أسندت إليه القصة، وهذا يخلق لدى المتلقي عجز عن تحديد موقفه من الحدث، وهذا يحقق أول شروط العجائبي وهو متوفر في نص التأويل.

عدم قدره المتلقي على تحديد موقف محدد من الحادث يخلق لديه صورة ذهنية عجيبة،

[1] الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق عبد الله التركي، ج20، ص110.

فالسحابتين إنما هما وسيلتين حقيقيتين موجودتين فعلا في الواقع لكنهما أصبحتا ضمن الفضاء العجائبي الذي تفرضه المروية، فقد جردهما الراوي من واقعيتهما عندما وصف إحداهما بأنها أفرغت على أندر القمح الذهب حتى فاض وأفرغت السحابة الأخرى الورق على أندر الشعير حتى فاض من خلال هذه الأحداث يجد المتلقي نفسه أمام فضاء عجيب بأحداثه، فله أن يتصور سحابتين تحمل كل واحدة منهما إما الذهب أو الورق )الفضة (وتتجهان في السماء كل واحدة تتجه إلى أرض من أراضي أيوب، سحابتين عجيبتين لا يقتصر العجائب على أنهما تحملان بدل المطر ذهب وفضة إنما العجيب يشمل أن الوصف يحيلنا إلى أن للسحابتين القدرة على المعرفة وتحديد أي قطعة الأرض هي أندر القمح وأي منها أندر الشعير فالقدرة على معرفة أيهما للشعير وأيهما للقمح تتطلب العقل والدراية وهذا متوقع من الإنسان وليس من سحابتين ولكن القصة تصف الساحبتين من خلال سير الأحداث وكأنهما تذركان جيدا مكان أندر القمح وأندر الشعير وهذا لأنهما أفرغتا حمولتهما في المكان المناسب فالسحابة التي تحمل الذهب عند وصولها لأندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض، وكذلك السحابة التي تحمل الورق حيث أفرغت في أندر الشعير حمولتها حتى فاض، ونأتي لوصف الراوي للحادث بقوله حتى فاض أي أندر القمح وأندر الشعير، كلمة فاض تحيل إلى عجيب آخر أن المتلقي أمام صورة لقطعتين أرضيتين لا يعلم مساحة كل منهما، ولكن الواقع يفرض أن الأندر هو قطعة أرضية ذات مساحة كبيرة، وله أن يتخيل سحابتين تمطران ذهبا وفضة، حتى تفيض كل قطعه أرض، صورة عجيبة مدهشه كم تحمل السحابتين في جوفها من ذهب ومن فضة؟ و ما هو حجم السحابتين؟ ، فراوي إنما يفتح للمتلقي مجال التخيل، عندما أبقى مساحة الأندران مخفية وأضاف أنهما فاضتا لم يقل إمتلاء إنما فاض كناية عن أن النعم تجاوزت المعقول، هذا الوصف هو وصف عجيب إنطلاقا من أحداثه التي تتجاوز حدود المعقول والمنطق.

إن النص العجائبي هو نص مفتوح للعديد من التصورات الذهنية التي لا تتقيد بحد ولا بواقع، العقل أمام فضاء واسع للإبداع والتحليق في دنيا الخارق والعجيب والإدهاش حيث لا يمكن أن نقول على النص أنه نص

عجائبي إذا لم يخلق فضاء يخرق نظام المنطق والعقل، والعجيب إنما هو المناقض للحقائق الذهنية، وهذا يشكل عنصر الصدمة الذهنية أو الهزة النفسية، فالنص العجائبي يستهدف كل ما هو طبيعي ومنطقي في نفس المتلقي حيث يدفعه إلى الإنسلاخ من الواقع والبحث عن الدهشة والمتعة لما يثيره النص فيه من قلق وتردد وإندهاش ومتعة ولذة ترتبط غالبا بالإكتشاف، ويندرج هذا التأثير في وظائف العجائبي والتي نستخلصها من خلال هذا النص أولا، الوظيفة الأدبية الجمالية :حدد تودوروف ثلاث وظائف رئيسية للعجائبي تتعلق بالنص وبالمتلقي يجب أن يحققها العجائبي في النص، من خلال قدرته على خدمه السرد والإحتفاظ بالتوتر الذي ينميه في كل أجزاء النص وفي مختلف أوقات القراءة، حيث يستوجب حضور عناصر عجائبية بإستمرار الأحداث، وتحقيق عنصر المفاجأة وإندهاش المتلقي وإنجدابه إلى النص وتحفيز خياله لإستنباط تأويلات وتخيلات تتجاوز النص، وهذا يزيد من شاسعة أفق النص وروعته وهذا ما لاحظناه في نص التأويل حيث ساهم السرد العجائبي في الإحتفاظ بتوتر النص من خلال حضور عناصر العجائبية التي ضمنت إستمرار الأحداث وتحقيق إنفعال المتلقي بداية من سرد معاناة أيوب الطويلة مع البلاء وتخلي الجميع عنه، حتى إعتقاد أخواه أن أيوب أذنب ذنبا كبيرا فعاقبه الله على ذلك لمده ثمانية عشرة سنة ولم يرفع عنه البلاء وحافظ على جذب المتلقي من خلال إنقلاب الأحداث فجأه وتحقق الفرج بشكل فجائي أذهل المتلقي خاصة بعد الإشارات لذهنية التي حفظها السرد عندما أشار إلى عدم معرفة زوجة أيوب له وأسفر العجائبي في تحقيق الإثارة وذلك من خلال مواصلة إبهار المتلقي وإدهاشه بالأحداث العجائبية عن طريق العجيب الوسلي المتمثل في السحابتين اللتين تمطران ذهبا وفضة وكان قد أشرنا إلى هذا الأمر في إثبات تجلى العجائبي في نص التأويل فعنصر الإدهاش لم يغيب عن النص سواء من ناحية خلق الفضاء العجائبي أو من ناحية وصف الحدث وبهذا فإن النص يستحوذ على دهن المتلقي ويستدرجه إلى الخوض في عملية التأويل وخلق فضاءات عجائبيةلا حدود لها، ولعل هذا ما يمنح النص العجائبي جمال وإنفراد عن غيره وخاصية توالد الأفكار وعدم محدوديتها في النص العجائبي تشكل بعدا جماليا غير محدود، فالحرية المطلقة في التخيل غالبا ما تنتج نصا

إبداعيا، وبالتالي تحقق لدى المتلقي الإثارة وتوقد فيه روح الإكتشاف والإستطلاع وهذا يعد أحد وظائف العجائبي الأدبية المحققة في النص.

وبالنظر لطبيعة النص فإن حقيقة كونه نص يرتبط بالقرآن الكريم تدفعنا للبحث عن وظيفته الدينية التي غالبا ما تكون وفق دلالات الآية التي جاء بها النص كتأويل لها.

**الوظيفة الدينية:**

الآية الكريمة من سورة ص وهي من السور المكية التي تعالج موضوعات العقيدة والتوحيد وقضية الحساب في الآخرة وقضية الوحي[1] وعرضت السورة العديد من قصص الأنبياء بغرض العبرة والتدبر والتذكير حينا وجاءت قصة أيوب لتصوير ابتلاء الله للمخلصين من عباده بالضراء، وصبر أيوب مثل في الصبر و تصوير حسن العافية، وتداركه برحمه الله الذي تغمره بفيضها، وتمسح على الأمة بيدها الحانية وفيها عرض لما وراء الابتلاء من رحمه تفيض من خزائن الله عندما يشاء[2]، وإنعام الله بالصحة والعافية بعد طول البلاء والمرض كان جزاء على ما علمه الله من عبده أيوب من الصبر على البلاء وحسن الطاعة والإلتجاء[3] إلى الله في قوله تعالى: { ن وجدناه صابرا، نعم العبد انه أواب} الآية 44 ، أي جزاءا له على صبره وكثره عودته إلى الله بالدعاء والطاعة فكان الجزاء الفرج بالشفاء والعطاء المدهش وهذه المعاني التي تدل عليها الآيات السابقة، إنما نجدها مترسخة في نص التأويل فأحدث قصة أيوب كما جاءت في نص التأويل من أخبار عن شدة بلاءه وطول مده المرض والشفاء، حتى بلغ به البلاء ما لم يبلغ أحد قط فتخلى عنه الأهل وفقد ماله لمده ثمانية عشرة سنة، وصف حالة أيوب وهو في شده المرض وكثره البلاء ووسوسه الأهل من أنه أذنب فغضب عليه الله ولم يرحمه، كل هذا لم يضعف أيوب ولم يفقده

[1] سيد قطب: في ظلال القرآن، ص3779.

[2] المرجع نفسه، ص3780.

[3] المرجع نفسه، ص3799.

ثقته في أن وعد الله حق {وبشر الصابرين} الصبر نهايته الفرج وهذا وعد الله وأيوب عبد الله الصابر على البلاء الطامع في رحمة الله كثير العبادات حسن الثقة بربه.

السرد العجائبي في النص بكل ما فيه من أحداث عجائبية تخص إنعام الله على أيوب بعد الابتلاء بداية من سرعه تغير الأحداث والإنقلاب الأحداث من العقدة )البلاء (إلى الفرج ) الشفاء و كثره العطاء (تسلسل الأحداث وتواصل العطايا في وصف عجائبي من ذكر السحابتين وافراقهما للذهب والفضة وإمتلاء أنذرا القمح والشعير، هذا الوصف العجيب لحاله العطاء وعودة الأرزاق بغير حساب إنما يتخطى كونه وصفا غرضه الإمتاع والإدهاش فقط، فالعجائبي بأركانه في هذا الوصف إنما هو عبرة لذوي العقول ليعلم أن عاقبة الصبر، الفرج والمخرج والراحة، صبر أيوب الطويل وحسن ظنه وكثره تجلده في طاعة الله كان سببا لرحمه الله ، والعجائبي يرسخ هذه الصور من خلال الوصف المدهش، ليس للمتعبة للتذبر في رحمه الله لأيوب على صبره وثباته وإنابته وتواضعه واستكانته فالمتلقي يجد نفسه أمام أعظم قصة للصبر والعجائبي في هذا النص ليس إلا وسيلة من وسائل الإبلاغ والتأثير في النفس فهو يهدف إلى توجيه المتلقي إلى معاني الآيات من قصص الأنبياء، بطريقة مسلية ومدهشة، فالعجائبي إذن هنا يدعوا إلى التأمل في معاني القصة، لأن الصبر طريق الفرج والله لا يدع عباده الصابرين حتى يعودهم من صبرهم خيرا وبركه واصطفاء، وإن من عند الله خير.

وغالبا ما ترتبط الوظيفة النفسية الاجتماعية بما يحقق العجائبي في البعد الديني، حيث يرتبط الأثر النفسي والإجتماعي بالأثر الديني في النصوص الدينية المتعلقة بالقرآن – التفسير.

**الوظيفة النفسية الاجتماعية:**

يحقق النص العجائبي الذي بين أيدينا وظيفة نفسيه اجتماعيه، يتجانس مع ما يحقق العجائب من تأثير على المتلقي حسب دلالته الدينية في العجائب في قصة أيوب كما قلنا أحد الأساليب الإقناعية وحضورها ذرائعي وليس لغاية تسلية الناس فقط بل فتح عقولهم على قدره الله وأن تحكمه بالكون وبأسباب العطاء والرزق لا يشاركه

به أحد وعلى المتلقي سواءا كان مسلما وكافرا لإبعاد العجيب الديني يعمل على تنشئة نفسيه مغايره سواء تحقيق الدعوة للعبد الكافر من خلال إبهاره بصور عطاء الله وسخائه مع عباده المخلصين أو من خلال تحقيق زيادة الثقة في العبد المسلم المبتلى، قصة أيوب عليه السلام، جاءت لتحث المسلمين على الصبر من خلال بيان جزاء الصبر المحتسب، العجائبي يهدف إلى توجيه النفس إلى الغاية الدينية من القصة وهذا ينعكس على الوظيفة الاجتماعية لأن الفرد يساهم في خلق المجتمع وإن كانت وظائف العجائبي النفسية والإجتماعية في النصوص الأدبية الأخرى تختلف من حيث الغرض والعمل عن الوظيفة التي يحققها العجائبي المرتبط بالمقدس فهو توعوي تعليمي عقائدي أكثر من كونه ترفيهيا رغم أنهما يشتركان في خلق كل ما هو جديد وكسر قيود الواقع والمألوف والمعتقدات. فالعجائبي وهو صناعة المدهش بصورة إبداعية تتحرر من القيود لكن العجيب الديني المرتبط بالقصص الدينية الراسخة في الثقافة الإسلامية يرتبط بأصول العقيدة لكن دائما هناك بعض الإستثناءات والتجاوزات لبعض القصص الدينية حيث يغلب عليها الفكر الديني المعاكس أو ثقافة الضد وهذا ما سنلاحظه في نماذج أخرى يتجلى فيها العجائبي وتضمنها تفسير الطبري.

**العجائبي في قصة آدم عليه السلام:**

**نزول آدم وحواء من الجنة:**

يرد القصص في القرآن في مواضع ومناسبات، وهذه المناسبات التي يساق القصص من أجلها هي التي تحدد مساق القصة والحلقة التي تعرض منها، والصورة التي تأتي عليها والطريقة التي تؤدى بها، تنسيق للجو الروحي والفكري والفني الذي تعرض فيه وبذلك تؤدي دورها الموضوعي وتحقق غايتها النفسية وتلقي إيقاعها المطلوب[1] وتحدد المناسبة الموضوعية القدر الذي يعرض من القصة في كل موضع، كما تحدد طريقة العرض وخصائص الأداء، والقرآن كتاب دعوة، ودستور نظام ومنهج حياة لا كتاب رواية ولا تسلية ولا تاريخ ، وفي

[1] السيد قطب: في ظلال القرآن، ص249.

سياق الدعوة يجيء القصص المختار، بالقدر وبالطريقة التي تناسب الجو والسياق، وتحقق الجمال الفني الصادق، الذي يعتمد على إبداع العرض، وقوة الحق، وجمال الأداء.[1]

وقصة أدم عليه السلام من القصص التي تتميز بالكثير من الغموض نظرا لعدم ورودها في القرآن الكريم بشكل مفصل مما جعلها تحظى بالكثير من التأويلات التي أدخلتها ضمن ما يعرف بالإسرائيليات الغنية بكل أنواع العجائبي وقد وردت قصة آدم في كتاب جامع البيان عن تأويل القرآن للطبري في جزئيات صغيرة ترتبط بنزول آدم وحواء من الجنة وكيفية دخول الشيطان إلى الجنة وذلك في تأويل قوله تعالى: " وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأزلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين " 36.

جاء في تأويل الآية الكريمة " فأزلهما الشيطان" العديد من المرويات التي تتشابه من حيث المعنى العام وتختلف من حيث بعض التفاصيل الأخرى وسنحاول عرض هذه المرويات بصفة مختصرة نظرا لطول هذه الأخبار، وسنكتفي بالمقاطع التي يتجلى من خلالها العجائبي ونذكر منها ما يلي:

عن وهب بن منبه قال: " لما اسكن الله ادم وذريته–أو زوجته– ونهاه عن الشجرة، وكانت شجرة غصونها متشعب بعضها في بعض، وكان لها ثمر تأكله الملائكة لخلدهم، وهي الثمرة التي نهى الله آدم عنها وزوجته، فلما أراد إبليس أن يستنزلهما دخل في جوف الحية، فكانت للحية أربع قوائم كأنها بختية، من أحسن دابة خلقها الله– فلما دخلت الحية الجنة، خرج من جوفها إبليس، فأخذ من الشجرة التي نهى عنها آدم وزوجته، فجاء بها إلى حواء، فقال: انظري إلى هذه الشجرة ! ما أطيب ريحها وأطيب طعمها وأحسن لونها ! فأخذت حواء فأكلت منها ثم ذهبت بها إلى آدم فقالت: انظر إلى هذه الشجرة ! ما أطيب ريحها وأطيب طعمها وأحسن لونها ! فأكل منها ادم، فبدت لهما سوءاتهما، فدخل آدم في جوف الشجرة، فناداه ربه يا آدم أين أنت؟ قال: قال: أنا هذا يا رب !

[1] السيد قطب: مرجع سابق ص250.

قال ألا تخرج: قال: أستحي منك يا رب، قال: ملعونة الأرض التي خلقت منها لعنة يتحول ثمرها شوكا، قال: ولم يكن في الجنة ولا في الأرض شجرة كان أفضل من الطلح والسدر، ثم قال: يا حواء، أنت التي عرضت عبدي فإنك لا تحملين حملا ألا حملته كرها، فإذا أردت أن تضعي ما في بطنك أشرفت على الموت مرارا، وقال للحية: أنت التي دخل الملعون في جوفك حتى غر عبدي ملعونة أنت لعنة تتحول قوائمك في بطنك ولا يكون لك رزق إلا التراب أنت عدوة بني آدم وهم أعداؤك حيث لقيت أحدا منهم أخذت بعقبه، وحيث لقيك شدخ رأسك".[1]

وفي رواية أخرى عن ابن العباس قال:

لما قال الله عز وجل لآدم اسكن انت وزوجك الجنه وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين" أراد إبليس أن يدخل عليهما الجنة، فمنعته الخزنة فأتى الحية– وهي دابة لها أربع قوائم كأنها البعير، وهي كأحسن الدواب فكلما أن تدخله في فقمها حتى تدخل به إلى ادم فأدخلته في فقمها– قال أبو جعفر و الفقم جانب الشدق ،فمرت الحية على الخزنة فدخلت ولا يعلمون لما أراد الله من الأمر، فكلمه من فقمها فلم يبالي كلامه فخرج إليه فقال: يا ادم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى" سورة طه 120 يقول هل أدلك على شجرة إن أكلت منها كنت ملكا مثل الله عز وجل أو تكون من الخالدين فلا تموتان أبدا وحلف لهما بالله إني لكما لمن الناصحين..."[2] وفي رواية عن ابن وهب قال:" وسوس الشيطان إلى حواء في الشجرة حتى آتى بها إليها ثم حسنها في عين ادم قال فدعاها أدم لحاجته قالت لا إلا أن تأتي ههنا فلما أتى قالت لا إلا أن تأكل من هذه الشجرة قال فأكل منها فبدت لهما سوأتهما قال وذهب ادم هاربا في الجنة فناداه ربه يا ادم امني تفر قال لا يا رب ولكن حياء منك قال يا ادم أني أتيت؟ قال: من قبل حواء أي رب فقال الله: فإن لها علي أن أدميها في كل شهر مرة كما أدمت هذه الشجرة وأن اجعلها سفيهة فقد كانت خلقتها حليمة وان اجعلها تحمل كرها وتضع

[1] أبو جعفر الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق محمود شاكر، وأحمد شاكر، الجزء الآول، الطبعة2، مكتبة إبن تيمية، القاهرة، مصر، ص526.

[2] المرجع نفسه، ص527.

كرها فقط جعلتها تحمل يسرا وتضع يسرا"[1] وعن ابن عباس قال:" أن عدو الله إبليس عرض نفسه على دواب الأرض آي أيها يحمله حتى يدخل الجنة معها ويكلم ادم وزوجته فكل الدواب أبى دلك عليه حتى كلم الحية فقال لها أمنعك من ابن ادم أنت في ذمتي إن أنت أدخلتني الجنة فجعلته بين نابين من أنيابها ثم دخلت به فكلمهما من فيها وكانت كاسية تمشي على أربعة قوائم فأعراها الله وجعلها تمشي على بطنها...".[2]

**تجليات العجائبي و من خلال نصوص التأويل:**

من خلال ما جاء في النصوص الأربعة التي بين أيدينا والتي تعرض أخبارا عن إغواء أدم عليه السلام من قبل إبليس يمكننا تحديد تجليات العجائبي وسنشير إليها ونعرضها بالتحليل ويتجلى العجائبي من خلال:

**السرد العجائبي:**

يشكل السرد في النصوص الأربعة عاملا لخلق العجائبي وتحقيقه في النصوص وذلك من خلال خلق فضاء يعمل على إثارة عناصر التشويق والإثارة والغرابة في النص، فالطريقة التي عرضت من خلالها الأحداث التي تروي تفاصيل خروج ادم وحواء من الجنة وطردهم إلى الأرض، فالسرد هو الذي يعطي الأحداث والشخصيات والزمان والمكان بعدهم العجائبي وقد ساهم السرد في إعطاء الأحداث والشخصيات بعدهم العجائبي، كما عمل على جذب المتلقي إلى الأحداث من خلال ربط الأحداث وعرضها متسلسلة وهذا خلاف ما هو موجود في النص المقدس ( القران الكريم ) فما روى عن هذه الأحداث لم يذكر بهذا الشكل كما لم يتم ذكر هذه الوقائع في كتب التفسير الأخرى إنما ما تم ذكره يعود إلى المرويات من الإسرائيليات التي تتغذى من الثقافة الدينية المسيحية واليهودية المحرفة وهذا ما يجعل منها ثرية بالبعد العجائبي والذي يتضح عن طريق مجموعة من العناصر والسرد أولها، لأنه الأرضية التي يتحقق من خلالها العجائبي، حيث نجد الرواة يقصون الأحداث بشكل يحرك دهن المتلقي نحو الاكتشاف ويغذي فيه روح البحث عن الحقيقة من كل هذا، فالسرد هو السلاح الراوي لجعل قصته محل اهتمام

[1] أبو جعفر الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق محمود شاكر، وأحمد شاكر، ج1، ص529.

[2] المرجع السابق: ص 530.

المتلقي ولجعله ينقاد وراء أحداث القصة ويثير فيه الانفعالات الذهنية من تردد وريبة ودهشة وغرابة وانفعالات نفسية من خوف واضطراب، فالسرد يعمل على خلق فضاء غير مألوف وغير معروف المعالم لدى المتلقي لشده أكثر للأحداث وتحقيق الأثر المطلوب بشكل أكبر وهذا ما حققه السرد في هذه النصوص، بداية بمحاولات إبليس الوصول إلى أدم وحواء ودخوله إلى جوف الحية وعبوره إلى الجنة واستمالاته لحواء وإقناعها بتناول ثمرة الشجرة وصولا إلى إغواء آدم واكتشافه للخطيئة وهربه من الله خجلا حتى طردهم من الجنة كل هذه الأحداث تم سردها بشكل يخلق التوتر داخل النص مما يعمل على إرساء عوامل العجائبي داخل النص وربط المتلقي ودفعه لتتبع الأحداث حتى النهاية دون أن يستطيع التخلص من أثارها حيث تعمل على خلق تصورات ذهنية، لهذه الأحداث ومحاولة الحصول على صور ورسم واضح للفضاء والأحداث، وهذه المحاولة بوابة للعجائبي، لأن المتلقي ليس لديه حواجز وضوابط تقييد حركة الخيال الجامح لديه فهو يستقل أول محرك مثير للدهشة ليثير بمخيلته إلى هذا الفضاء الغير مألوف، فيتخيل، الشيطان كيف يقنع الحية بدخوله جوفها وأين كان الشيطان فالمعلوم انه طرد من الجنة فهل كان في الأرض ؟أم كان مختبئا في مكان قريب؟ هذه الاستفهامات، حول تواجد إبليس قبل دخوله جوف الحية تضيف مساحة أخرى لتولد العجائبي داخل النص كما عمل القاص على وصف الطريقة التي أغوى بها حواء وكيف انقادت له وأغوت ادم بدورها هذا الوصف يشتغل على تزويد دهن القارئ بكل ما هو غريب مدهش ومثير فلا يستطيع إلا أن يبني محيطه العجائبي انطلاقا من الفضاء النصي العجائبي. لا يتحقق العجائبي في السرد إلا بوجود الأحداث والشخصيات ويتجلى العجائبي أيضا من خلال:

**الوصف العجائبي:**

تتشكل النصوص التي بين أيدينا من مجموعة من الأحداث ترسم الصورة العامة لهذا السرد العجائبي وقد تجلى العجائبي من خلال الوصف الذي فعل البعد العجائبي وسهم في إخراج الأحداث من الواقعي إلى الغير واقعي ومن الحقيقي إلى الخيال وذلك يتضح في وصفه للأفعى (الحية).

**تجليات العجائبي من خلال وصف الحية:**

جاء وصف الحية في النصوص على أنها دابة لها أربعة قوائم كأنها البعير وهي كأحسن الدواب التي خلقها الله تعالى، هذا الوصف يفعل عنصر العجائبي انطلاقا من الصورة الذهنية المعتادة والمعروفة للحية، الوصف يبرز مفارقة كبيرة للواقع بين صورة الأفعى التي تعود المتلقي على مشاهدتها، فالأفعى معلوم عنها أنها بلا قوائم وهي من الزواحف في حين تصفها النصوص على أنها ذات قوائم أربعة مثل الدواب بل هي من أحسن دابة خلقها الله وهذا ما يشكل عنصر المفاجئة بل دعنى نقول صدمة معرفية يتلقاها المتلقي الذي تعود على صورة معينة للحية فيأتي الوصف ليكسرها تماما في جو غير مألوف لدى المتلقي مما يخلق لديه بالموازاة مع عنصر الصدمة عنصر التردد الذي يغذي التناقض بينما هو مألوف لديه وبين ما تم وصفه وبين ما يؤمن به وهو ما جاء به النص القرآني ويبين ما تم ذكره في نصوص التأويل هذه المفارقات تدخل المتلقي في الحيرة والرهبة هل يتوجب عليه إنكار الأوصاف انطلاقا من خلفياته الذهنية أو تصديق ما جاء به النص انطلاقا من إسناده إلى أشخاص على دراية بالدين ولديهم قراءة بالرسول صلى الله عليه وسلم بالإضافة إلى وصف شكل الأفعى وطبيعتها عجيب أخر بطلته الأفعى، فالنص القرآني لم يرد فيه ذكر الأفعى على أنها وسيلة استعان بها الشيطان في الوسوسة ولم يتم ذكرها على أنها تعرضت للعنة أفقدتها شكلها الأول فأصبحت تزحف بالشكل المعروف والمعتاد لدى القارئ، إيراد هذا الحدث في النص كان سببا من أسباب دخول العجائبي على التفسير ثم كيف من بين كل دواب الأرض التي عرض عليها إبليس أن تدخله الجنة ورفضت ،قبلت الأفعى؟.

إن إدراج الأفعى كعنصر فعال في الأحداث العجائبية وإظهار دورها الفعال في طرد ادم وحواء من الجنة وحقيقة العداوة بين الإنسان والأفعى، يحيلون إلى الثقافة الشعبية التي تلصق كل ما هو سيء بالأفعى حتى أنهم يرمزون لشيطان بالأفعى والمرأة الشريرة بالأفعى، في إحالة لم تم إلصاقه بالأفعى من تهم وذنوب تتعلق في مساعدتها

للشيطان لدخول الجنة وهذا يعطي النص بعد عجائبيا، تتمتزج فيه الخلفيات المكونة من الثقافة الشعبية بالإضافة إلى الثقافات الدينية اليهودية والنصرانية المحرفة.

ولا يقتصر العجائبي على وصف الحية وعلاقتها بطرد أدم وحواء من الجنة واللعنة التي لحقت بها من تغير شكلها حيث طمست قوائمها ودخلت في بطنها وكما اختبأ إبليس في نابها حسب النص والناب معلوم أن الأفعى تخرج سمها عن طريق نابيها وتغرس سماها في ضحيتها بواسطة نابها وهكذا الشيطان خرج من نابها كأنه سم الفتنه كل هذا الربط بين الواقع والخيال يمنح النص بعد عجائبيا لا يهدأ فيه المتلقي فهو ينتقل بين فضاءات عجائبية لا تطفئ فتيلة الخيال فيه فكم منحت الأفعى بعدا عجائبيا للنص، منحت حواء عجائبية أخرى للمرويات وكما ألصقته تهمة إعانه إبليس على الأفعى ألصقت تهمة الغواية متى حواء فبرغم من أن النص القرآني لم يذكر طريقة الوسواس الشيطان لأدم وحواء فقد جاء في الآية الكريمة قوله تعالى: " فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه". الايه جعلت فعل الوسوسة يقع عليها معا إلا أن النصوص التي أولت الآية جعلت من حواء أساس الفتنة وذلك بجعلها وسيلة مثلها مثل الحية استغلها الشيطان للوصول إلى ادم وإخراجه من الجنة وجعله يعصي ربه فكم عصى الشيطان ربه ولم يسجد لأدم فلعن وطرد من الجنة حاول الشيطان أن يبين لله أن أدم عصاه من أجل الملك والخلود ومن اجل النساء وهي حواء و ترمز للشهوة في الشيطان عصى ربه بسبب غروره، لكن ادم عصاه بسبب شهوته ورغبته في ملك لا يبلى وهذا ما لم يعطيه الله لأدم و ذريته وهو الخلود والملك وتحقيق الشيطان لهدفه كان من خلال المرأة حواء فكم أغرى ادم بحواء والملك أغوى حواء بالخلود هذا يشكل نقطة تضع في الأنثى وكان الرواة يحاولون إظهار نقاط ضعف ادم وحواء وكيف استغل الشيطان ضعفهما لتحقيق غايته وهذا ترتب عليه لعنة أصابت حواء فبعد أن كانت حليمة كتبت عليها السفاهة وبعد أن كتبت عليها الطهارة أصبحت تحيض ولا تلد حتى تشارك الموت وهذا يحيينا إلى الثقافة اليهوديا محرفة التي جعلت من خصائص المرأة دليل على العقاب ودليل على ذنبها وأنها لعنة فأخرجت من الجنة وأصبحت سفيهة فيها ناقصة عقل وتحيض لأنها سبب الغواية وبذلك

أصبحت رمزا للخطيئة والمعصية، التي جرت ادم إليها جبرا بعد أن منعته من نفسها والقرآن ينفي هذا وإنما البث في بغية إظهار البعد العجائبي في نصوص التأويل وليس الحديث عن صحة الأخبار فهذا بعيد عن الحقيقة والصدق و وحث الله أن تكون خصائص المرأة التي خلقها الله عليها مجرد لعن أصابتها بسبب الخطيئة إنما الغاية هي إبراز مكامن العجائبي و هذا النص يحيلنا إلى أحد المكامن وهي اللعنة إذ تتميز النصوص العجائبية خاصة المتعلقة بقصص الخطايا والدنوب وقصص الأشرار بخاصية اللعنة، والمسخ التي تفعل العجائبي في النص وذلك من خلال تحول شخص أو كائن بفعل لعنة إلى صفات أخرى تختلف عن صفاته عقوبة له على عصيانه وهذا الفعل موجود بشكل كبير في الأساطير والقصص الشعبية التي يكثر فيها المسخ واللعانات التي تصيب بعض الشخصيات فقد يتحول إنسان إلى قرد أو حجر أو شجرة بفعل تأثير لعنه أصابته آو بتأثير ملك أو إله وهذه الظاهرة تعرف بالمسخ فيطلق على الممسوخ كلمة المسخوط وهذا يشكل لنا البعد الثقافي لما جاء في النص من أخبار عن اللعنة التي أصابت حواء فتغيرت طبيعتها عن الأولى جزاء لها على معصيتها مما يمنح النص التفسيري بعدا عجائبيا انطلاقا من خلفيته الأسطورية والشعبية.

**الوظيفة الجمالية والأدبية:**

يتميز العجائبي عن غيره من الأجناس الأخرى بقدرته على توليد اثر خاص لدى المتلقي، فيخلق لديه خوفا آو هولا أو يغذي ويحرك فيه حب الاستطلاع فالعجائبي يستهدف عقل وذهن المتلقي من خلال إيقاض حبه للغريب عنه، فيسير نحو البحث والإستطلاع هذا البحث يفتح له أفاقا أكبر وفضاءات غير متناهية، باعتبار الذهن والتخيلات وقوده، فإنه لن يتوقف في محطة إلا و ينطلق من نقطه عجيبة أخرى لأن الخيال طليق لا يقيده منطق أو قانون والعجائبي في النصوص التي إشتغلنا على إظهار مكامن العجائبي فيها يحقق هذا العنصر والذي يشكل أحد وظائف العجائبي وهو إثارة خيال المتلقي وفضوله نحو معرفة الحقيقة، هذا الفضول يدفعه لإكتشاف المزيد من المرويات التي تغذي لديه الجوانب المظلمة حول ما تم ذكره وعدم توفر حقائق ملموسة تحقق لديه فكرة

كاملة يدفعه إلى تسلق سلم التخيل بما فيه من حرية يشكل أحد ركائز العجائبي وهو الخيال الطليق الغير محدود الكاسر لكل الحواجز العرقية والاجتماعية فالخيال حر من كل حواجز وقيود الثقافات فله الحرية في تخيل الأحداث، كيف تحدث إبليس مع الحية؟ هل كان له شكل؟ فالعقل لا يملك صوره ذهنيه ملموسة للشيطان لذا فمحاولة منحه شكلا ماديا يفعل عنصر العجائبي ويفجر في إنفعالات المتلقي الذي يحرك خياله، ويتأثر من هذا الفضاء الخارج عن المألوف فصورة الشيطان التي تجسد عليها تثير الإضطراب والرهبة، فكيف تشكل للأفعى؟ وكيف يخاطبها؟ هل كان له جسدا أم خاطبها على شكل وساوس داخلية؟ وهذا إحتمال عجيب أخر فهل تملك أفعى نفس يوسوس لها الشيطان من خلالها؟ كل هذا التداخل و كثرة الأسئلة تمنح المتلقي فضاءا عجائبيا خارقا، يتحكم في خيال المتلقي وإنفعالاته النفسية بين خوف ورهبة الموقف، ودهشة وميل للإكتشاف أكثر والغوص في هذا العالم العجائبي الغير ملموس في أرض الواقع إنما ينمو في الذهن والخيال فله أن يرسم صورة للأفعى وهي تمشي بأربعة قوائم، لديها صفات الدواب، هذا الوصف يحرك لديه طاقه التخيل التي يزيد تدفق الصور والانفعالات من عجائبيتها، وبالتالي يمنح النص تأويلات وتصورات أكبر، تخلق في النص التوتر الذي يمنحه حياة أكبر في ذهن المتلقي فالنص لا يموت بعد إنقضاء زمن القراءة إنما يعيش على شكل خيالات المتلقي، التي تتولد منها فضاءات أخرى تعطي للنص حياة أخرى خارج النص، يخلقها المتلقي كما يخدم العجائبي السرد ويحتفظ بالتوتر داخله، وذلك لأن حضور العجائبي يتيح تنظيما للحبكة فيجعل النص كأنه بنية واحدة متداخلة العوالم متشابكة الأحداث، لا يستطيع المتلقي قطع علاقته بالنص لأن عقله يرتبط بالأحداث المتبقية

فيبقى مشدودا إلى ماذا يحدث دائما فيتشكل لنا نص متلاحم البنية فيكون العجائبي بهذا حقق للنص بعده الجمالي من خلال إثراء النص بالإنفعالات فيحقق التسلية، والإثارة المطلوبة، والرغبة في الاكتشاف، التي ينتج عنها العديد من التأويلات، والقراءات التي تفتح المجال للعديد من الخيالات، والتي تلعب دورا هاما في إثراء النص، ومنحه بعد ثقافيا وجماليا أكبر، فيصبح النص أكثر من مجرد أخبار بل يتعدى ذلك ليصبح فضاء واسعا

للعديد من الدهشات، والانفعالات، والتخيلات، والقراءات، والتأويلات، التي تختلف حسب الخلفية الدينية للمتلقي، فالقارئ المسلم يشكل فضاءه الذهني إنطلاقا من جذوره المسلمة وإعتقاداته الدينية، والمتلقي اليهودي والمسيحي ينطلق من معتقداته الدينية، ويرسم فضاء ذهنيا يختلف تماما عن الفضاء الذهني الذي يرسمه المسلم، وهكذا يخلق نصا آخر أكثر ثراءا، وغنى بذوره العجائبية تتفرع أكثر حسب نوعيه المتلقي.

**الوظيفة الدينية:**

قبل توضيح الوظيفة الدينية التي يحققها العجائبي في النصوص التأويلية محل الدراسة لابد من التطرق إلى تفسير الآيات ودلالتها، لنستدل من خلالها على الوظيفة الدينية للقصة، وبالتالي الوظيفة الدينية للعجائبي ومما جاء في تفسير الآيات قوله تعالى:" وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين 35 فأزلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين 36".[1]

لقد أبيحت لهما كل ثمار الجنة إلا شجرة، شجرة واحدة ربما كانت ترمز للمحظور الذي لا بد منه في حياة الأرض فبغير محظور لا تثبت الإرادة، ولا يتميز الإنسان المريد من الحيوان المسوق، ولا يمتحن صبر الإنسان على الوفاء بالعهد وتقيد بالشرط، فالإرادة هي مفرق الطريق، والذين يستمتعون بلا إرادة هم من عالم البهيمة ولو بدو في شكل الآدميين، " فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه".... انه لفظ يرسم صورة الحركة التي يعبر عنها وإنك لتكاد تلمح الشيطان وهو يزحزحهما عن الجنة، ويدفع بأقدامهما فتزل وتهوى، فنسى آدم عهده وضعف أمام الغواية، وعندئد حقت كلمة الله وصرح قضاءه :"وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين"[2] وكان هذا إيذانا بإنطلاق المعركة في مجالها المقدر لها بين الشيطان والإنسان إلى آخر الزمان، 2 وبالرغم من أن المتطلع إلى التفسير الذي بين أيدينا، وتأويل الآيات من خلال المرويات فإنه يجد

[1] السيد قطب: في ظلال القرآن، ص253.

[2] المرجع نفسه، ص ن.

إختلافا كبيرا في القصة، وذلك يعود إلى طبيعة المرويات، لكن الشيء الأكيد أنها تجتمع وتتقاطع في الهدف والمغزى الذي يشير إليه الآيات، وما يمكن للعجائبي تحقيقه، وسنحاول العمل على إكتشاف دلالات العجائبي ووظيفته الدينية حسب ما أشرنا إليه، وكنا قد ذكرنا رمزيات الأفعى والمرأة في الثقافة الشعبية التي يطغى عليها التفكير المنحرف عن المرأة أن اشتغال العجائبي على عنصر المرأة كأداة للغواية، وسبب للخطيئة والمعصية، إنما يعود في الأساس إلى مبدأ اللذة، فالشجرة التي منع منها آدم وحواء، شجرة الملك أو الخلود، هي الشجرة المحرمة وترميز إلى المحرمات التي حرمها الله على عباده، فكان إبليس حريصا على جعل آدم يقع فيما حرم الله، وليس للشيطان سبيل إلا تزين المعصية وتجميل اللذات، وكان العجائبي في رسمه للمرأة على أنها وسيلة الشيطان يحيل إلى معنى اللذة والهوى، فالمرأة ترمز للغواية واللذات وهكذا فإن الشيطان يوسوس باللذة، فينسى العبد عهده مع الله بالمعصيةن وينقاد خلف رغباته، ناسيا أنها باب الفتن والوقوع فيما حرم الله، وهذه التجارب هي دائمة ومتكررة في الحياة الدنيا، حرب الشيطان وتمكنه من الوسوسة والإغواء فهو يتلون ويصل إلى نفس العبد الضعيفة عن طريق الوسوسة، التي تكون بشتى الوسائل، وذكر الأفعى وأنه دخل الجنة داخل جوفيها، وتحدث مع حواء وآدم من ناب الأفعى إنما يحيلنا إلى طبيعة النفس الأمارة بالسوء والتي تزين المعصية، فيكون وصول الشيطان سهلا ويكون إستهدافه لمكامن الضعف أسهل، فالنفس الأمارة بالسوء وكل ما هو سيء يرمز له بالأفعى دليل على الشر والمكر فكأنما الأفعى في المرويات ترمز للنفس المهلكة، الشريرة الأمارة بالسوء، التي يتمكن من خلالها الشيطان من العبد، فالغواية بوابتها الأولى النفس الضعيفة، وبابها الثاني اللذة والشهوات، ونهايتها هو الوقوع في المعصية ونيل غضب الله وعقابه، وهذا ما تحيل إليه النصوص من عقاب الأفعى وحواء، فالعجائبي الذي يرتبط بنزول اللعنة على الأرض فيتحول ثمر الأرض إلى شوك وتتحول الأفعى من دابة لها قوائم إلى زاحفة تزحف على بطنها، وتدخل قوائمها داخلها، ومن عقاب حواء بتعب الولادة والسفاهة، كل هذا بكل ما فيه من عجائب وتناقض مع الواقع، إلا أنه يرمز إلى عاقبة المعصية، وإقتراف مع حرم الله، فجزاء المعصية وإقتراف كبائر ما حرم

الله وإتباع الهوى ومغريات الشيطان هو الخروج من رحمة الله والطرد، ومن خلال هذا يمكننا الإشارة إلى بعض الوظائف الدينية المحققة منها:

أنها إشارة إلى العبد بضرورة التدبر في حقيقة الخلافة في الأرض وأن هذه الخلافة لن تكون سهلة إنما سيتعرض العبد إلى مغريات كبرى، وأن الشيطان سيحاول إسقاطه في المعصية، عن طريق تزيين المعاصي وإستسهال اللذات.

ينبه العجائبي إلى نقطة مهمة في كل زلة قلم وهي دور النفس الشرير المهلكة التي ترمي بصاحبها إلى الهاوية، حب الملذات من النساء وحب الملك طريق الغواية وباب الشيطان، فإن إتبعها العبد نال غضب الرب، الشيطان والنفس المهلكة والملذات هم أعداء العبد ورأس الفتن والمحرمات، فالواجب على العبد المؤمن غلق مداخل الشيطان وتجنب الهوى، فالشيطان عدو خبيث يستغل مكان الضعف ليزل ويقود العبد إلى الضلال، لذا يجب أن يحرص العبد على تجنب إتباع الملذات، لأنها أسباب الخطيئة وجالبة هلاك العبد، وغضب الرب، ونزول عقاب الله، والواجب هو توخي الحذر وغلق مداخل الشيطان، لحفظ النفس من الهوى والحفاظ على صحة العقيدة، والعبادة، وإستحقاق الخلافة في الأرض.

**العجائبي في قصة موسى عليه السلام:**

تعتبر قصة موسى عليه السلام من بين أكثر القصص ورودا في القرآن الكريم ومن بين هذه السور التي وردت فيها هذه القصة نذكر: قصة موسى وفرعون قصة موسى والسامري، قصة موسى مع بني إسرائيل ومن بين السور التي سنتناولها في هذا الحديث سورة طه البقرة السورتين متضمنتين لقصة موسى عليه السلام، فهي تعرض في حلقات تناسب موضوع السورة التي تعرض فيها.

قصة موسى عليه السلام، تدعو كل مسلم في كل زمان ومكان إلى المداومة على ذكر الله تعالى في كل مواطن بقوة وعزيمة، وان الله سبحانه إذا أراد أمرا هيأ أسبابه ويسر له وسائله فرعاية الله لموسى جعلته يعيش بين قوى الشر والطغيان أمنا مطمئنا وأن سنة الله اقتضت في هذه الحياة أن يجعل نصره وثوابه في النهاية الأخيار من عباده،، وهذا ما حدث مع موسى نجاه الله هو ومن معه وأغرق فرعون ومن تبعه.

وأن الباطل قد يسحر عيون الناس ببريقه لفترة من الوقت وقد يسترهب قلوبهم لساعة من الزمان وهذا ما حدث مع قوم موسى حين ألقى عصاه فإذا هي حية تسعى لكن في آخر المطاف يصيبهم من هو الصغار والضعف والهوان حيث قال الزمخشري ( سبحان الله ما أعجب أمرهم ! للكفر والجحود، ثم اذكر رؤوسهم بعد ساعة للشكر والجحود، فما أعظم الفرق بين الالقائين).[1]

كما أن قصة موسى مع بني إسرائيل كانت لها دلالات وعبر ظهرت (جاء التذكير لبني إسرائيل بنعمة الله عليهم وعهده إليهم وإن جاءهم من فرعون ومليته، واستسقاءهم وتفجير الينابيع لهم وإطعامهم المن والسلوى، وذكر مواعدة موسى وعبادتهم للعجل من بعده ثم غفرانه لهم وعهده إليهم تحت الجبل (...) وتعرض فيها آيات العصا (...))[2]

والقصص القرآني يختلف اختلافا بينا عن سائر أنواع القصص التي يحكيها البشر، ليس لاختلاف المصدر، إنما لاختلاف ما بين هذا وذاك في المقاصد والغايات والوسائل والأدوات.

فللقصة القرآنية مقاصدها السامية وغاياتها التي تتفق والأغراض الدينية.

"قصة موسى عليه السلام من أكثر قصص الأنبياء تعرضا لغزو الروايات الإسرائيلية، إذا كانت النزهة سانحة لمن أسلم من بني إسرائيل كي يدلوا بدلوهم في تفاصيل الأحداث التي واكبت حياة نبي الله موسى(...) والقارئ لجامع الطبري سيلاحظ إن الروايات الإسرائيلية قد علقت بشتى جوانب قصة موسى عليه السلام"[3].

وقصة موسى رغم طولها وأحداثها الكثيرة والمتشابكة، وتكرار أجزاء منها في معظم السور، إلا أنها في كل مرة تأتي بجديد يثير الخيال القارئ، وإمكانية استخلاصه للمواعظ، التي لها تأثير قوي في نفس المتلقي حيث تتزاحم المشاهد في قصص موسى عليه السلام ليفاجئنا العرض السردي بصورة باهرة يضع مشهدها حدا لعهد قاتم هوى

[1] إسلام وليب: عبر و وعظ من قصة موسى 2/أوت/2021.

[2] سيد قطب: في ضلال القرن، تح: علي بن نايف الشحود، ص3018.

[3] الإسرائيليات في تفسير الطبري (دراسة في اللغة والمصادر الجارية = الدكتورة أمال محمد عبد الرحمن ربيع، ص118.

معه عرش فرعون، إيذانا بالخلاص الإلهي المحتوم الذي قدر لموسى عليه السلام وبني إسرائيل أنه المصير المحتوم لصراع الأبدي بين الخير والشر والذي اقتضى في عهود مضت أن يتجلى في أفعال خارقة للمألوف متجاوزة سنن الكون وطبيعة الأشياء.

مثل ما هي الحال مع صورة انفلاق البحر.

**العجيب في قصة انفلاق البحر:**

قال تعالى:{ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ۝٥٠ }

(50).[1]

معنى قوله: "فرقنا بكم" فصلنا بكم البحر لأنهم كانوا إثنى عشر سبطا ففرق البحر اثني عشر طريقا، فسلك كل سبط منهم طريقا منها حدثنا أسباط بالنصر عن السدي: لما أتى موسى البحر كناه( باخالد) فضربه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم.

وكان بعض نحويي البصرة،معنى قوله (وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ ) فرقنا بينكم وبين الماء يريد بذلك: فصلنا بينكم وبين الماء، وحجزنا حيث مررتم به، وذلك خلاف ما في ظاهر التلاوة لأن الله جل ثناؤه إنما أخبر أنه فرق البحر بالقوم ولم يخبر أنه فرق بين القوم وبين البحر فيكون التأويل ما قاله قائلو هذه المقالة وفرقة البحر بالقوم، إنما هو تفريقه البحر بهم ،على ما وضعنا من افتراق سبيله بهم، على ما جاءت به الآثار.

عن عمرو بن ميمون الأودي قال: لما خرج موسى بين إسرائيل بلغ ذلك فرعون فقال: لا تتبعوهم حتى يصيح الديك،قال: فو الله ما صاح ليلتئذ ديك حتى أصبح فدعا بشاة فذبحت ثم قال: لا افرغوا من كبديها حتى يجتمع إلى ستمائة ألف من القبط،فلم يفرغ من كبدها حتى اجتمع ثم سار فلما أتى موسى البحر قال له رجل من

[1] سورة البقرة الآية 50.

أصحابه يقال له يوشع بن نون أين أمر ربك يا موسى؟قال: أمامك يشير إلى البحر (...)[1] فقال له: بما أمرت؟ قال: أمرت أن أضرب البحر،قال فضرب به بعصاه فن فلك فكان فيه اثنا عشر طريقا كل طريق كالطود العظيم فكان كل سبط منهم طريق يأخذون فيه عن ابن عباس فسار حتى خرجوا من البحر فلما جاز آخر قوم موسى هرجهم فرعون على البحر هذا الحصان أن يقتحم في البحر فتمثل له جبريلا على فرس أنثى وديق فلما رآها الحصان تقحم خلفها وقيل لموسى: اترك البحر راهوا- طرقا على حاله-قال: ودخل فرعون وقومه في البحر،فلما دخل آخر قومه فرعون وجاز آخر قوم موسى،أطباق البحر على فرعون وقومه، فاغرقوا.

من خلال ما جاء في تأويل الآية، فإننا نجد العجيب يتجلى من خلال عجائبية المكان، المتمثل في البحر وأيضا عجائبية الشخصية المتمثلة في شخصية موسى عليه السلام .

**عجائبية المكان: تجلى العجائبي من خلال البحر.**

إن القارئ للقران الكريم لسورة البقرة خاصة لا يجد فيها ما يدل على شكل البحر أو حتى لم يذكر الطريقة التي انفلق، بها البحر وإلى كم طريق انفلق.

لكن من خلال ما تناوله الطبري استنادا إلى بعض الرواة فهو يفسر لنا هذا المكان العجيب ألا وهو البحر كيف أنهم فلك وصار له اثني عشر طريقا كل سبط يسلك طريق، هذا الأمر العجيب الذي يعتبر بالنسبة للقارئ أمرا غير مألوف فكيف لشخص أن يدخل البحر ويتقدم فيه وإذا بالماء يتراجع عن جانبه فيصبح يمشي على يابسة، هذا ما يثير في ذهن القارئ نوعا من التساؤلات والدهشة عن هولي هذا المشهد العجيب الذي لم يسبق أن حدث مثله في الطبري قد وصف لنا هذا المكان بأنه انفلق أي البحر ففصل بين القوم وبين الماء وهذا عكس ما جاء في القرآن الكريم فالله تعالى قد أخبرنا أنه فرق البحر بالقوم ولم يخبرنا أنه فرق بين القوم وبين البحر،فهذا الوصف الذي صوره لنا الطبري من خلال تأويله يفعل المتلقي في حالة من التردد وحيرة في تصديقه هذا الأمر

[1] محمود محمد شاكر: التفسير الطبري جامع البيان في تأويل آي القرآن، ط2، ص50-54.

الذي يعتبر غير واقعية الوصفة العجيب لهذا المكان يضعنا أمام عالم خيالي عجائبي بفضاءاته غير المحدودة وأحداث مجازية تتخطى حدود المنطق والعقل، لا يمكن للمتلقي أن يتصورها أو يتخيلها فهنا يحدث خلط بين العالم الطبيعي والواقع الخيالي هذا ما يثير في النفس الشعور بالاضطراب والحيرة لكن كل هذا يجعل المتلقي يشعر بالمتعة والدهشة في آن واحد فقد جاء في تفسير ابن كثير لهذه الآية كما ذكر تعالى: (وإذ فرقنا بكم البحر فناجيناكم وأغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون).[1]

معناه وبعد أن أنقذناكم من آل فرعون و خرجتم مع موسى عليه السلام خرج فرعون في طلبكم ،فغرقنا بكم البحر (...) ثم سار موسى ومن معه عون في طريقهم حتى إذا تتموا فيه أطبقه الله عليهم , إما السيد قطب فقد قام بتفسيرها من خلال كتابه في ظلال القرآن،أنه بعيد على خيالهم ويستحي في مشاعرهم سورة الكرب الذي كانوا فيه باعتبار أنهم أبناء هذا الأصل البعيد ويرسموا أمامهم مشهد النجاة كما رسم أمامهم مشاهد العذاب وقد وردت تفصيلات هذه النجاة في السور المكية التي نزلت من قبل.[2]

ومن خلال هذه التفاسير نجد الاختلاف بين تفسيرهم وتفسير الطبري الذي صور لنا هذا المكان (البحر) تصويرا عجيبا، يتناقض مع ما هو موجود في الواقع.

ومن جهة أخرى يمكننا استخلاص نوع آخر من العجيب ألا وهو عجائبية الشخصية المتمثلة في موسى عليه السلام.

**عجائبية الشخصية:**

فلا يقتصر العجائبي في تأويل الطبري للآية ( 50) من سورة البقرة على عجائبية المكان فقط، بل تشتمل أيضا على عجائب الشخصية والتي تدور حولها هذه الأحداث، بحيث أن موسى عليه السلام هو من قام بضرب البحر بعصاه، فانفلق، وهذا ما يعتبر أمرا عجيبا.

[1] ابن كثير تفسير القرآن العظيم: سورة البقرة: الآية (49-50)، ص129.

[2] سيد قطب: في ظلال القرآن، تح: علي بن نايف شحود، ص267.

فكيف لشخص من الأشخاص أن يكون باستطاعته فصل البحر عن بعضه البعض وهذا كله بواسطة عصا حيث استطاع العبور هو ومن معه.

فهذا كله يجعل المتلقي في حيره من أمره ويضعه أمام أمر خارق وغير مألوف ويخلق له فوضى من المحركات العقلية.

لكن في دراستنا هذه لسنا بصدد التحقق من صدق المرويات لصحتها إنما نقوم بطرح فكرة اختلاف التفسيرات، وهذا ما يؤدي بنا إلى اكتشاف جنس العجيب في مرويات الطبري، المسند إلى الإسرائيليات، هذا الاختلاف يشد ذهن القارئ ويدخله في الجو من الحيرة والتردد هذا العنصر الذي يعتبره تودوروف شرطا من شروط تحقق العجائبي، إضافة إلى توفر شروط أخرى للعجيب.

كما أننا لسنا بصدد التشكيك في قدرة الله على خلقك قوانينه من أجل نبيه فهو قادر على كل شيء سبحانه.

لكن ما ذكرناه سابقا لا يستند إلى ما جاء به النص القرآني وإنما إلى المرويات الإسرائيلية، والتي يعرف عنها التحريف والتشكيك كصورة انفلاق البحر عن بعضه البعض ينم عن تعليق سنة كونية قوانينها الفيزيائية لتحل محلها سنه إلى هي ذات طبيعة مجازية عجيبة،وقد أوحى إليه الله أنت قدم إلى البحر واضرب بعصاك ثم انظر إليه أمام البحر (...) يتأمل موسى البحر وينسى والبحر كله آذان صاغية وعيون مبصرة مخافة أن يغفل عن أمر الرب في القصة لا محالة فنية فتنتظر ما يحدث ولكن في القصة أيضا اماءة وغمز كثير.[1]

ويحقق العجائبي من خلال هذا النص العديد من الوظائف أهمها الوظيفة الدينية، فالقصة في القرآن الكريم تخضع للأغراض الدينية تماما بتمام موضوعها وطريقة عرضها وأهداف القصة القرآنية، إنما جاءت لتحقيق هذه الأغراض ومقاصد القصص القرآني وأهدافه مثل شجرة ذات فروع وأوراق وأزهار مثل انتفاع الجهة منها بالظواهر، أما العلماء والحكماء فانتفاعهم الثمار وهذا هو المهم.

[1] وحيد السعفي، العجيب والغريب في كتب التفسير ، ص595.

ففي سورة البقرة: يؤطر صوره الانقلاب مقام الامتنان على بني إسرائيل وتذكيرهم بنعم الله عليهم، وهذا هو معنى القصة لأن الوظيفة ترتبط بمعنى القصة الدينية وغايتها .

ومن خلال معرفة معنى القصة (قصة موسى) وانفلاق البحر

يجب استخلاص دلالات الآية المتمثلة في:

النعم التي أنعم بها الله على نبيه موسى عليه السلام ومن تبعه ووجوب الشكر لله تعالى.

- رعاية الله لموسى جعلته يعيش بين قوى الشر والطغيان أمنا مطمئنا، وأن سنة الله اقتضت في هذه الحياة أن يجعل نصره وثوابه في النهاية الأخيار من عباده ، وهذا ما حدث مع موسى عليه السلام، بحيث نجاه الله هو ومن معه وأغرق فرعون ومن تبعه.

**قصة موسى والعصا:**

قال تعالى :" فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ٢٠ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ٢١

(21)[1] يقول تعالى ذكره: قال الله لموسى: ألق عصاك التي بيمينك يا موسى يقول جل ثناؤه: فألقاها موسى، فجعلها الله حية تسعى، وكانت قبل ذلك خشبة يابسة، وعصا يتوكأ عليها موسى ،ويهش بها على غنمه ،فصارت حية بأمر الله.

عن ابن عباس قال: لما قيل لموسى: ألقاها يا موسى،فألقاها " فإذا هي حية تسعى" ولم تكن قبل ذلك حية: قال فمرت بشجرة فأكلتها ومرت بصخرة فابتلعتها .قال: فجعل موسى يسمع وقع الصخرة في جوفها .قال: فولى مدبرا، فنودي أن يا موسى خذها فلم يأخذها،ثم نودي الثانية فلم يأخذها،ثقيلة له في الثالثة فأخذها عن وهب

[1] سورة طه الآية 20.

بن منبه قال:" القها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى"تهتز بها أنياب وهيئه كما شاء الله أن تكون فرأى أمرا فظيعا فولى مدبرا ولم يعقب فناداه ربه يا موسى أكمل ولا تخف "سنعيدها سيرتها الأولى" .[1]

من خلال ما جاء في تأويل الآية، فإننا نجد العجيب يتجلى في وصف العجيب المبالغ (وصف الحية).

العجيب تجلى: وصف العجيب المبالغ( وصف الحية).

فالقارئ للقران الكريم، وسورة طه، لا يجد ما يدل على أوصاف الحية كاملة.

فالذي ذكر في القرآن الكريم هو تحول العصا إلى حية تسعى وهذا بحد ذاته أمر عجيب فكيف لعصا مصنوعة من خشب أو غيره أن تتحول إلى كائن حي فيه روح وجسد، فهذا يعتبر أمر غير طبيعي وغير مألوف لكن ما تناوله الطبري استنادا إلى بعض الرواة (ابن عباس ابن وهب...) فان العصا التي كانت خشبة يابسة يهش بها موسى عليه السلام غنمه بها تحولت إلى حية بقدرة الله تعالى والعجيب هنا يكمن في أمور غير مذكورة في القران في الطبري لم يكتفي بالإشارة إلى تحول العصا إلى حية تسعى، بل أضاف لها أوصاف تزيد من حيرة المتلقي، وتدير في ذهنه نوع من الدهشة والتساؤلات الدائمة عن حقيقة هذه الحية التي تستطيع بلع أي شيء أمامها حيث أنها استطاعت بلع الشجرة أو الصخرة، حتى إن موسى الصخرة في جوفها وهذا دليل على ضخامة الحية وقدرتها العجيبة التي تفوق تصور القارئ، في الملتقى هنا يجد نفسه أمام أمور وأحداث غير مألوفة له بالنسبة له في الواقع الحقيقي،يصطدم بواقع خيالي عجيب وغريب، ومثير لكل أنواع المشاعر المبتربة إزاء هذه الأحداث والأوصاف المدهشة فالعقل لا يستوعب فكرة أن العصا التي هي شيء صلب وجامد كيف له أن يتحول إلى كائن حي يستطيع الحركة والقيام بأمور جد عجيبة،وهذا ما يعرف بالعجيب المبالغ، أي الخروج من حالة عجيبة إلى حالة أعجب منها،في احتمال حدوث هذه الأمور المدهشة تعتبر بحد ذاتها أمور خارقة للمألوف وتخلق في دهن القارئ

[1] الطبري، تح:عبد الله التركي: تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج16، ص47.

نوع من المتعة لاكتشاف والبحث عن حقيقة هذا النبي الذي له هذه القدرة العجيبة حيث تمتد بؤرة التخيل لتحتوي الموقف بكامل أبعاده الروحية والنفسية.

حتى يجد المتلقي نفسه أمام حدث غريب غير مألوف للغاية حدث مربك يؤدي إلى شدة الشعور بالانبهار والدهشة.

فقد جاء في تفسير ابن كثير كما ذكر تعالى:" فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ "(20)[1] أي: هذه العصا التي في يدك يا موسى القها، فصارت في الحال حية عظيمة، ثعبان طويلا،

يتحرك حركة سريعة، فإذا هي تهتز كأنها جن وهو أسرع الحياة حركه ولكنه صغير فهذه في غاية الكبر، وفي غاية سرعة الحركة" تسعى": أي تمشي وتضطرب.

قال وهب بن من به في قوله :" فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ " قال فألقاها على وجه الأرض ثم حانت نظره فإذا بأعظم ثعبان النظر إليه الناظرون فدبا يلتمس كان يبتغي شيئا يريد أخذه يمر بالصخرة مثل الخلفة من الإبل فيلتقمها وهو يطعن بالنبي من أنيابه من أصل الشجرة العظيمة فيجتثها عيناه توقدان نارا وقد عاد المحجن منها عرفا قيل : شعر مثل النيازك وعاد الشعبتان منها مثل القليب الواسعي فيه أفراس وأنياب لها حريف فلما عاين ذلك موسى ولى مدبرا ولما يعقب ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه ثم نودي يا موسى أن يرجع حيث كنت فرجع موسى وهو شديد الخوف فقال "خذها" بيمينك "ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى"[2].

أما تفسير سيد قطب، فقد جاء تفسيره للآية: ووقعت المهجرة الخارقة التي تقع في كل لحظة ولكن الناس لا ينتبهون إليها، وقعت معجزة الحياة فإذا العصا حية تسعى، وكم من ملايين الذرات الميتة أو الجامد, كالعصا

[1] سورة طه الآية (20/19).

[2] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم سورة طه، الآية (17-21) ص1209.

تتحول في كل لحظة إلى خلية حية ولكنها لا تبهر الإنسان كما يبهره أن تتحول عصا موسى حية تسعى! فالإنسان أسير حواسه وأسير تجاربه وانقلاب العصا حية تسعى ظاهرة حسية تصدم حصة فينتبه لها بشدة.[1]

إن الاختلاف بين تأويل الآية من حيث معنى تحول العصا إلى حية يحيلنا إلى الأخذ بعجائبه ما جاء به الطبري من وصف عجيب مبالغ للحية، فهذه فكره تتناقض مع الواقع، وهذا الرسم الذي صوره لنا الطبري يفجر في الدهن ودهشة وترددا في الأنفس فالنص لا يمكن أن يكون عجائبيا إذ لم يحدث في نظام العقل كما نجد آية أخرى تتحدث عن نفسه، القصة لكن ذو ابعد عجائبية مختلفة حيث ذكر الطبري في كتابه جامع البيان في تأويل آي القران قال تعالى: "قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾ "[2] 66 عن وهب من به قال:" "قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْ " فكان أول ما اختطفوا بسحرهم ألقى كل رجل منهم ما في يده من الحبال والعصي فإذا هي حيات كأمثال الجبال قد ملات الوادي يركب بعضها بعضا.[3]

من خلال ما جاء في تأويل الآية، فإننا نجد العجيب يتجلى في عجائب الحدث، والذي تمثل في الوسائل العجيبة المتمثلة في الحبال والعصي، ووضعها بأوصاف عجيبة.

الحدث العجائبي تجلى من خلال الحبال والعصي.

فالقران الكريم قد ذكر لنا أن موسى عليه السلام آمر قومه بإلقاء حبالهم وعصيهم فخيل لهم أنها تسعى وهذا راجع إلى قدرته والسحر لكن الطبري قام بوصف هذه الحبال والعصي بطريقة عجيبة، تثير في النفس نوع من

[1] سيد قطب: في ظلال القرآن، تح: علي بن نايف الشحود، ص3021.

[2] سورة طه الآية (65-66)

[3] الطبري، تح:عبد الله التركي: تفسير الطبري، ص109.

الدهشة والانبهار حيث أنها حيات كأمثال الجبال، يركب بعضها بعضا، فهذا الرسم الذي صوره لنا، لا يضع القارئ أو المتلقي أمام أمر خارق وغير مألوف أمر يناقض ما هو موجود في الواقع المعلوم.

وهذا الحدث تحول الحبال والعصي إلى أفعى تسعى يخلك فوضى في المدركات العقلية، وهذا هو الشرط الذي يجب توفره في النص العجيب، فلا يمكن أن يكون النص عجائبيا، إذا لم يتم أن يحدث فرك في نظام العقل.

وقد جاء في تفسير ابن كثير لهذه الآية:" ۚ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ أَلۡقُوا "أي انتم اولا لنرى ماذا تضعون من السحر ولنظهر للناس جليه أمرهم " فإذا حبالهم وعصيهم يخيل لهم إليه من سحرهم أنها تسعى"وذلك أنهم أودعوها من الزئبق ما كانت تتحرك بسببه وتضطرب وتميد بحيث يخيل للناظر أنها تسعى باختيارها وإنما كانت حيله ،منهم، وقدرتهم على السحر.[1]

فقد برع المصريون في السحر فأعطى الله موسى عليه السلام معجزه من جنس ما برع فيه المصريون لتكون الزم للحجة، ولكن ما أعطى موسى لم يكن تخيلا، ولكنه قلب حقيقي لا يقدر عليه إنسان أو جان مهما برع، ولذلك ادعنت له السحر لما رأوا ذلك فكان إيمان أهل الخبرة من السحر أعظم شاهدين على نبوته عليه السلام، ولم يبقى لفرعون إلا الاستكبار والعناد.

ومن خلال هذه الآيات نستخلص الوظائف المرتبطة بهذه القصة، وهما الوظيفة الدينية والنفسية والاجتماعية في الآيات السابقة من سورة طه، تشير إلى النعم التي أنعمها الله على نبيه موسى عليه السلام فقد انعم عليه بقدرات عجيبة استطاع بها التغلب على أعدائه، فقد كانت معجزه العصا وتحولها لأفعى معجزة خارقة وعجيبة في آن واحد.

[1] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، سورة طه، الآية 1219.

**الوظيفة الأدبية والجمالية:**

لا يخلو النص العجائبي من الوظيفة الأدبية التي أساسها تحقيق الانفعال والمحافظة على جذب اهتمام المتلقي من خلال أسلوب الوصف، الذي يشكل عنصر فعال في تحقيق التأثير الكبير على المتلقي لان الوصف ينقل الصورة إلى دهن المتلقي، وبالتالي تحقيق الانفصاليات العاطفية كالدهشة والمتعة جراء رؤيتها هذه العصا التي تحولت إلى حية كبيرة عملاقة، تستطيع بلع الأشجار والصخور وهذا ما يعرف بالعجيب المبالغ، النص بعد جماليا اكبر ويفتح مجال للإبداع فيه، وهذا النوع من النصوص مفتوح أمام الأعمال الإبداعية والفنية التي تساهم في خلق فضاء عجيب يختلط فيه الخيال بالواقع.

**الوظيفة الدينية:**

العجائبية يرتبطهن بمعاني الآيات وأسباب نزولها، وفي هذه الآيات من سورة طه والتي موضوعها حول قصه موسى والعصا التي تحولت تسعى هذه المعجزة ستكون لها شان عظيم في مقارعة السحرة فرعون، والقضاء على سحرهم، وهي سببا في إيمانهم فما أحبها من معجزة، وهي شكل من أشكال الترغيب وهو أحد أساليب الدعوة إلى عباده الله تعالى.

**العجيب في قصة السامري وعبادة بني إسرائيل للعجل:**

قال تعالى :"قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾

.88"[1]

[1] سورة طه الآية: (87-88).

"كذلك ألقى السامري"يقول فكما قذفنا نحن تلك الأثقال.

فكذلك ألقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل عليه السلام حدثنا بشر قال عن قتادة:"فكذلك ألقى السامري" قال: كان الله وقت لموسى عليه السلام ثلاثين ليلة، ثم أتمها بعشر، فلما مضت الثلاثون قال عدو الله السامري: إنما أصابكم ما أصابكم عقوبة بالحلي الذي كان معكم ، فهلمو .وكانت حليا تعوروها من آل فرعون، فساروا وهي معهم، فقذفوها إليه، فصورها صورة بقرة، وكان قد صر في عمامته أو في ثوبه قبضة من اثر الفرسي، فقذفها مع الحلي والصورة" فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار" فجعل يخور البقرة (...) فصاغ منه عجلا، ثم أخذ القبضة التي قبض من اثر الفرس، فرس الملك، فنبدها في جوفه، فإذا هو عجل جسد له خوار .فقال :هذا إلهكم وإله موسى ولكن موسى ربه عندكم.[1]

وفي نفس الصورة نجد آيات أخرى تتحدث، عن نفس الأحداث العجيبة في قصة موسى قال تعالى: "قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ "[2] حدثنا القاسم قال: لما قتل فرعون الوالدين/ قالت أم السامري: لو نحيته عني حتى لا أراه ولا أرى قتله، فجعلت في غار، فأتى جبريل فجعل كن نفسه فيه، فجعل يرضع العسل واللبن، فلم يزل يختلف إليه حتى عرفه، فمن ثم معرفته إياه.

عن قتادة"قال بصرت بما لم يبصروا به"يعني فرس جبريل عليه السلام و قوله"فقبضت قبضه من أثر الرسول"يعني: فقبضت قبضه من أثر حافر فرس جبريل، عن ابن عباس قال: لما قذف بنو إسرائيل ما كان معهم من زينه آل

[1] الطبري، تح: عبد الله التركي: تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن ص139.

[2] سورة طه الآية: (95-96).

فرعون في النار، وتكسرت ورآى السامري اثر فرس جبريل عليه السلام، فأخذ ترابا من اثر حافره ثم أقبل إلى النار فقذفه فيها،وقال: كن عجلا جسدا له خوار، فكان للبلاء والفتنة.[1]

كما أننا نجد آية أخرى في سورة البقرة تتحدث عن نفس القصة ألا وهي قصة السامري مع قوم موسى عليه السلام، وهذه الآية أيضا تحمله أبعاد عجائبية سوف نتناولها ولها بالشرح لاحقا ،وقد قام بتفسيرها الطبري في كتابه جامع البيان كما يلي:

قال تعالى :"وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ۝٥١ "51.[2]

عن السدي، قال: انطلق موسى، واستخلف هارون على بني إسرائيل، وواعدهم ثلاثين ليلة، وأتمها الله بعشر.

وتأويل قوله" ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون"ثم اتخذتم في أيام مواعدة موسى العجل إلها، من بعد أن فارقكم موسى متوجها إلى الموعد.[3]

عن ابن عباس قال: لما هجم فرعون على البحر هو وأصحابه، وكان فرعون على فرس ادهم ذنوب حصان، فلما هجم على البحر، هذا الحصان أن يقتحم في البحر، فتمثل له جبريل على فرس أنثى وديق، فلما رآها الحصان تقحم خلفها، قال: وعرف السامري جبريل، لأن أمه حين خافت أن يذبح خلفته في غار وأطبقت عليه، فكان جبريل ليأتيه فيغذوه بأصابعه، فيجد في بعض أصابعه لبنا، وفي الأخرى عسلا، وفي الآخرة سمنا، فلما يغدوه حتى نشأ، فلما عاينه في البحر عرفه، فقبض قبضة من أثر فرسه، قال: أخذ من تحت الحافر قبضة فلم تزل القبضة معه في يده حتى جاوز البحر، فلما جاوز موسى وبنو إسرائيل البحر، وأغرق الله آل فرعون، قال موسى لأخيه هارون:

[1] الطبري، تح:عبد الله التركي: تفسير الطبري جامع البيان في تأويل آي القرآن ، ص149-150.

[2] سورة البقرة الآية 51.

[3] الطبري، تح:محمود محمد شاكر: تفسير الطبري جامع البيان، ط2، ص63.

اخلفني في قومي وأصلح ومض لموعد ربه قال : وكان مع بني إسرائيل حلي من حلي ال فرعون قد تعوروه، فأخرجوه لتنزل النار فتأكله، فلما جمعوه، قال السامري بالقبضة التي كانت في يده، فقدفها فيه، و أومأ ابن إسحاق بيده هكذا- وقال: كن عجلا جسدا له خوار، فصار عجلا جسدا له خوار، وكان تدخل الريح في دبره وتخرج من فيه، يسمع له صوت، فقال: هذا إلهكم وإله موسى [1].

من خلال ما جاء في تأويل الآيات السابقة من سورة طه والبقرة فإننا نجد العجيب يتجلى من خلال الحدث العجائبي المتمثل في الكائن العجيب (العجل).

## الحدث العجائبي تجلى من خلال وصف كائن عجيب (العجل):

فالطبري قد قام بتفسير هذا الحدث العجيب الذي قام به السامري وهو صناعة جسد له خوار وهذا من خلال الحلي التي كانت مع بني إسرائيل، والقبضة التي كانت معه من اثر الفرس، فالعجيب يكمن في الصورة الذهنية التي يكونها القارئ لهذا الجسد المتمثل في سورة عجل له خوار، حيث جعل الطبري هذا العجل محرك الانفعالات المتلقي، وشعوره بالدهشة والتساؤل حول حقيقة هذا الأمر العجيب، والغير مألوف ما يجعل المتلقي في حيرة من أمره حول تصديق هذا العجيب، هنا يجد نفسه في حالة من التردد والذي يعتبره تودوروف شرط من شروط العجيب، فقدرة السامري على صناعة هذا العجل تأتي من كونه قد رأى جبريل عليه السلام، و استطاع أن يقبض قبضة من اثر أقدامه، فهو من يدعي أنه أبصر ما لم يبصره غيره، فلعله كان كاذبا ولعله كان واهما، معتقدا خلاف الواقع أن غيره لم يبصر به، وهذا ما بينه لنا الطبري من خلال تفسيره: قالت أم السامري لو نحيته عني حتى لا أراه، ولا أرى قتله فجعله في غار، فأتى جبريل فجعل كف نفسه فيه، فجعل يرضع العسل واللبن، فلم يزل يختلف إليه حتى عرفه فمن ثم معرفته إياه[2].

[1] الطبري، تح:محمود محمد شاكر: تفسير الطبري جامع البيان،ط2، ص64.

[2] الطبري، تح:عبد الله التركي: تفسير الطبري جامع البيان، ص150.

ورغم ما أن القرآن الكريم قد جاء بذكر قصة السامري وكيفية صناعته للعجل إلا أنه لم يفصل لنا كثيرا حول هذه الأحداث العجيبة، التي وجدناها في نصوص الطبري، والمأخوذة من نصوص الإسرائيليات المليئة بالأوصاف العجيبة، كوصف العجل، الذي يحمل أوصاف عجيبة تخلق فوضى في المدركات العقلية، بحيث يجد القارئ نفسه أمام حدث خارق غير مألوف يتناقض مع ما هو موجود في الواقع، فلا يمكن أن يكون النص عجائبيا إذا لم يحدث خرق في نظام العقل.

جاء في تفسير ابن كثير كما ذكر تعالى :" فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ "88 عن ابن عباس، أن هارون مر بالسامري، وهو ينحت العجل، فقال له ما تصنع؟ فقال: اصنع ما يضر ولا ينفع. فقال هارون: اللهم أعطه ما سأل على ما في نفسه، ومض هارون، فقال السامري: اللهم أني أسالك أن يخور فخار، فكان إذا خار سجدوا له، وإذا خار رفعوا رؤوسهم (...) كان يخور ويمشي.[1]

كما قام بتفسير الآية(95 /96) من نفس سورة طه:

"قال بصرت بما لم يبصروا به أي رأيت جبريل حين جاء لهلاك فرعون فقبضت قبضه من أثر الرسول" قال: من تحت حافر فرس جبريل، قال: والقبضة ملئ الكف، قال مجاهد: القي ما كان في يده على حلية بني إسرائيل، فأنسبك عجلا جسدا له خوار خفيف الريح فيه فهو خواره.[2]

وفي تفسيره سورة البقرة الآية (51) واذكروا نعمتي عليكم في عفوي عنكم، لما عبدتم العجل بعد ذهاب موسى لميقات ربه، عند إنقضاء أمد المواعدة، وكانت أربعين يوما.[3]

[1] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، سورة طه، الآية (80-89) ص223.

[2] المرجع نفسه، الآية (90-98) ص1225.

[3] المرجع نفسه، سورة البقرة، الآية 51، ص130.

أما تفسير سيد قطب في كتابه ضلال القرآن للآيتين (88/ 95) من سورة طه، فقد كانت على النحو التالي: المقصود أنه لم يكن عجلا حيا يسمع قولهم ويستجيب له على عادة العجول البقرية! فهو في درجة أقل من درجة حيوانية، وهو بطبيعة الحال لا يملك لهم ضرا ولا نفعا (...) صنع العجل من الذهب الذي قذفه بنو إسرائيل من زينة المصريين التي أخذوها معهم، وأنه صنعه بطريقة تجعل الريح تصوت في ذراعه، وتحدث صوتا كالخوار.[1]

كما قام بتفسير سورة البقرة الآية (51) "و قصة اتخاذ بني إسرائيل للعجل وعبادته في غيبته موسى "عليه السلام" عندما ذهب إلى ميعاد ربه على الجبل مفصلة في سورة طه السابقة النزول في مكة، وهنا فقط يذكرهم بها وهي معروفة لديهم، يذكرهم بإنحذراهم إلى عبادة العجل بمجرد غيبة نبيهم الذي أنقذهم بسم الله ،من آل فرعون يسومونهم سوء العذاب".[2]

إن الاختلاف بين تأويل الآيات السابقة من حيث قصة السامري مع العجل الذي صنعه من الحلي والقبضة التي أخذها من أثر حافر فرس جبريل عليه السلام، يحيلنا إلى الأخذ بعجائبية ما جاء الطبري من أوصاف هذا العجل، وكيفية رؤية السامري لجبريل عليه السلام.

لكن نحن لسنا هنا بصدد التحقق من صدق المرويات وصحتها، إنما طرحوا فكرة اختلاف، التفسيرات يؤول بنا إلى اكتشاف جنس العجيب في مرويات الطبري، المأخوذة من الإسرائيليات.

هذا الاختلاف، يشد ذهن القارئ ويدخله في جو من الحيرة والتردد، الذي يعتبر شرطا من شروط العجيب.

كما نهج عنصر المفاجأة، الذي يسهم بدوره في تصعيد الدهشة والانبهار التي لمحناها جراء وصف هذا الكائن العجيب ألا وهو العجل.

هذا المخلوق العجيب الخارق كسر حدود العقل.

[1] سيد قطب: في ظلال القرآن، تح: ص3041.

[2] سيد قطب: في ظلال القرآن، تح: علي بن نايف الشحود، ص268.

ويحقق العجيب من خلال هذا النص العديد من الوظائف كالوظيفة الأدبية والجمالية، والوظيفة الدينية، التي تمتد أثارها إلى الوظيفة النفسية والاجتماعية التي تتحقق وفق الوظيفة الدينية التي يحققها العجائبي في هذا النص.

وسنحاول عرض هذه الوظائف بداية بالوظيفة الأدبية والجمالية.

**الوظيفة الأدبية والجمالية:**

يحقق العجائبي الوظيفة الأدبية والجمالية من خلال خلق حالة من الحيرة والاندهاش حول ما جاء به النص من أمور عجيبة غريبة تحرك عواطف المتلقي فتبعث في قلبه الخوف والفزع وتحرك دهنه نحوه التصور لتغطية عجزه عن مدح هذا الكائن العجيب (العجل) المصنوع من الذهب، والأوصاف التي قدمت لهذا الكائن تعتبر رسومات تتطابق مع الخلفية المعرفية له ، و هذا ما يمنح النص قابلية غير محدودة يتمدد في عالم الخيالات الذهنية المتلقي والتي غالبا ما تكون وفق انتماءاته الدينية، فالمتلقي الكافر والمتلقي المؤمن يختلفان من حيث الصورة الذهنية التي يرسمها كل منها وفق إيمانه ووفق أبعاده الثقافية المتشبعة بالمعتقدات.

**الوظيفة الدينية:**

من خلال هذه القصة يمكننا استخلاص الوظيفة الدينية المتمثلة في مجموعة من الدلالات والعبر منها:

- خطورة التزيين بالباطل فتزيين احد أهم السبل الشيطان في إضلال بني آدم، وهناك شخصيات أوتيت قدرة فائقة على تظليل الآخرين من بينهم السامري.
- فيها تحذير من التقليد والجهل بدلائل فإن أولئك الأقوام لو أنهم عرفوا الله بالدليل معرفة تامة لما وقعوا في شبهة السامري.
- النفس البشرية أعدى الأعداء فالسامري شاهد عيان على الرسالة والمعجزات و مع ذلك أهلكته نفسه الأمارة بالسوء.

- أن لكل فتنة ولكل فرد اختبار لابد أن يخوضه من أجل التأكد من صحة إيمانه وقوة يقينه وصدق أفعاله وأقواله.
- بيان أصول الدين المشتركة بين جميع الأنبياء من الإيمان بالله وتوحيده وعلمه وحكمته ورحمته والإيمان بالجزاء والبعث.
- الباطل لن يكون حقا أبدا وهي فائدة مستقاة من قوله تعالى:"فقالوا هذا إلهكم واله موسى"فقد حاولوا إضفاء الشرعية على هذا العجل وهذه الفائدة لا شك أن لها اثر في نفوسنا.

وهذا ما يؤكد وجود وظيفة أخرى زيادة على الوظيفة الدينية هي الوظيفة النفسية التي تكون غالبا وفق الدلالة الدينية المحققة من خلال النص العجائبي المتعددة .

كما أن هذه القصة عبرة للناس تبين سنن الله في خلقه مع الأقوام الذين كذبوا الرسل وكان عاقبة آمرهم الدمار والنكال.

الذين ماتوا ثم أحياهم الله

قال تعالى:" أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ".[1] 243

حدثنا ابن حميد قال بلغني أنه كان من حديثهم أنهم خرجوا فرارا من بعض الأوباء من الطاعون أو من سقم كان يصيب الناس حذر من الموت وهم ألوف حتى إذا نزلوا بصعيد من البلاد قال لهم الله موتوا فماتوا جميعا فعمد أهل تلك البلاد فحضروا عليهم حظيرة دون السباع ثم تركوهم فيها فمرت بهم الأزمان والظهور حتى صاروا عظاما نخرة فمر بهم حزقيل بن بوزة فتعجب لأمرهم ودخلته رحمة لهم فقيل له أتحب أن يحييهم الله ،؟ قال :نعم! فقيل له ناديهم فقل أيتها العظام الرميم التي قد رمت وبليت ليرجع كل عظم إلى صاحبه فناداهم بذلك فنظر إلى العظام

[1] سورة البقرة الآية 243.

تواثب يأخذ بعضها بعضا ثم قيل له : "آيها اللحم والعصب والجلد اكس العظام بإذن ربك"قال: فنظر إليها والعصب يأخذ العظام ثم اللحم والجلد والأشعار حتى استووا حلقا ليست فيهما الأرواح ثم دعا لهم بالحياة فتغشاه من السماء شيء كربه حتى غشي عليه منه ثم أفاق والقوم جلوس يقولون "سبحان الله سبحان الله" قد أحياهم الله.[1]

من خلال ما جاء في تأويل الآية فإننا نجد العجيب يتجلى بنوعيه من خلال عجائبية الزمن وكذا عجائبية الحدث.

تتجلى عجائبية الزمن في رجوع الموتى إلى هذه الحياة بحيث أنهم خرجوا فرارا من بعض الأوباء وهذا لخوفهم من الموت إلا أن الله تعالى أماتهم رغم هذا الهروب والفرار فالعجيب هنا يكمن في طول الزمن الذي توفوا فيه حيث مرت بهم الأزمان والظهور حتى أنهم صاروا عظام نخرة ورغم هذا فقد رجعوا أحياء يرزقون هذا الأمر الفريد من نوعه يضع المتلقي أمام أمر خارق غير مألوف يتعارض مع منطق العقل في الإنسان إذا ما خرجت الروح عن جسده وأصبح ميتا وخاصة إذا ما مر عليه زمن طويل بحيث أن جسده يفنى وتأكله الدود وعظامه تصير نخرة فمن غير الممكن أن يرجع إلى هذه الحياة إلا بإذن الله تعالى.

### عجائبية الأحداث (كيفية إحياء الموتى):

تتجلى عجائبية الأحداث في كيفية الرجوع ذلك الألوف الذين خرجوا من ديارهم خشية الموت فأماتهم الله تعالى لكن بعد مرور زمن طويل رجعوا إلى الحياة يرزقون بفضل من الله تعالى فالعجيب يكمن في الطريقة التي رجعوا بها إلى هذه الدنيا حيث دعا حزقيل ربه بأن يحييهم فاستجاب له ربه فالقارئ للقران الكريم وسورة البقرة لا يجد فيه الطريقة التي أحيا فيها الله تعالى هؤلاء الأشخاص الفارين من الموت لكن من خلال ما تناوله الطبري استنادا إلى

[1] الطبري، تح:محمود محمد شاكر، ط2، ج5، ص272-273.

بعض الرواة فإن هذا المشهد المتمثل في أن العظام تواثبت يأخذ بعضها بعضا ثم أن العصب يأخذ العظام ثم اللحم والجلد والأشعار (...)

يثير في ذهن القارئ نوعا من الدهشة فيجد نفسه أمام حدث خارق غير مألوف يتناقض مع ما هو معلوم وموجود في الواقع لأنه لم يسبق لأحد من قبل أن رأى كيفية رجوع الإنسان إلى الحياة وكيف تجتمع العظام والأعصاب والأشعار مع بعضها البعض فهذا المشهد حقا يعتبر مشهد عجيب غريب وفريد من نوعه هذا الحدث يخلق فوضى في المدركات العقلية فلا يمكن أن يكون النص عجائبيا إذا لم يتم أو يحدث فيه خرق في نظام العقل.

وهنا يكمن جمال العجيب فالتحرر من قيود المنطق يكسب الذهن مساحة أكبر للتخيل والإبداع ويخلق في القارئ مشاعر أكثر من الدهشة والرغبة في التحليق بالنفس في عوالم العجيب.

إن الاختلاف بين تأويل الآية السابقة يحيلنا إلى عجائبية ما جاء به الطبري في كيفية رجوع الجسد كما كان من قبل رغم أنه صار عظاما نخرة ورجوع الروح إلى ذلك الجسد.

لكن نحن لسنا بصدد التحقق من صدق المرويات وصحتها إنما طرح فكرة اختلاف التفسيرات يؤول بنا إلى اكتشاف جنس العجيب في مرويات الطبري المأخوذة من الإسرائيليات هذا الاختلاف يشد ذهن القارئ، ويدخله في جو من الحيرة والتردد الذي يعتبر شرط من شروط العجيب كما وصفه تودوروف.

كما نلمح عنصر المفاجأة الذي يسهم بدوره في تصعيد الدهشة والانبهار التي لمحناها جراء هذه الأحداث المتمثلة في كيفية رجوع الروح إلى الجسد والتأم العظام والأعصاب مع بعضها البعض هذه الأحداث تخلق بدورها فوضى في المدركات العقلية.

وقد جاء في تفسير ابن كثير كما ذكر تعالى قدرته على إحياء الموتى قال ابن عباس:" خرجوا فرارا من الموت إلى البرية فنزلوا واديا أنيح فملأو ما بين عدوتيه فأرسل الله إليه ملكين أحدهما من أسفل الوادي والأخر من أعلاه

فصاح بيهم صيحة واحدة، فماتوا عن أخرهم وفنو وتمزقوا وتفرقوا (...) فنادى: أيتها الأرواح إن الله يأمركي أن ترجعي كل روحا إلى الجسد الذي كانت تعمره فقاموا أحياء بعد رقدتهم الطويلة ينظرون"[1]

كما جاء في تفسير العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي أنه توجد قصة عجيبة لبني إسرائيل "حيث حل الوباء بديارهم فخرجوا بهذه الكثرة فرارا من الموت فلم ينجيهم الفرار ولا أغنى عنهم من وقوع ما كانوا يحذرون فعاملهم الله بنقيض مقصودهم وأماتهم عن أخرهم ثم تفضل عليهم فأحياهم إما بدعوة نبي كما قاله كثير من المفسرين وإما بغير ذلك ولكن ذلك بفضل الله وإحسانه (...) وفي هذه القصة عبرة بأن الله على كل شيء قدير"[2]

أما تفسير السيد قطب فقد جاء على النحو التالي:

" إن تجمع هؤلاء القوم وهم ألوف وخروجهم من ديارهم حذر الموت لا يكون إلا في حالة هلع وجزع سواء كان هذا الخروج من وباء حاتم هذا كله لم يغني عنهم من الموت شيئا (...) العبرة أن الفزع والجزع والخروج والحذر لم يغير مصيرهم ولم يدفع عنهم الموت ولم يرد عنهم قضاء الله فالله وهبهم الحياة من غير جهد منهم في حين أن جهدهم لم يرد الموت عنهم".[3]

فمن خلال هذه القصة يمكننا استخلاص مجموعة من الدلالات والعبر:

إن هذه القصة فيها ترغيبا في الجهاد وترهيبا من التقاعد عنه وأن ذلك لا يغني من الموت شيئا.

- الترغيب في الجهاد والزهد في الدنيا ومتاعها الزائل.
- وفي هذه القصة عبرة ودليل على أنه لن ينبغي حذر من قدر وانه لا ملجأ من الله إلا إليه .

[1] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، سورة البقرة، الآية 243-245.

[2] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص96.

[3] سيد قطب: في ظلال القرآن، تح: علي نايف شحود، ص510.

ونحن في مشهد إماتة وإحياء قبضا للروح وإطلاق فلما جاء ذكر الرزق كانت تعبير والله يقبض ويبسط متناسقا في الحركة على قبض الروح وإطلاقها في إيجاز كذلك واختصار ويبدو التناسق العجيب في تصوير المشاهد إلى جواز التناسق العجيب في إحياء المعاني وجمال الأداء.[1]

والوظيفة هنا هي الوظيفة الدينية والتي لها أثر في نفس المتلقي التي تؤول بنا إلى بعض الوظائف الأخرى كالنفسية والاجتماعية التي يحققها العجائبي من خلال النص ويمكن عددها في بعض النقاط.

وظيفة العجائبي النفسية ترتبط بالبعد الديني الذي يحققه العجائبي في المتلقي حيث يؤدي الوظيف الديني المتمثل في إرساء فضل الشكر لله تعالى في قدرته على تحقيق المعجزات فمنها إعادة إحياء الموتى لأن المتلقي مجبر على التفكير في نفسه وتصحيح إيمانه وعقيدته فالفرار من الموت لا فائدة منه لذا يجب عليه التفكير بالطرق التي يتقرب منها إلى الله تعالى فمنها الجهاد في سبيله وعدم الخوف من الموت لأنه قدر المحتوم كل نفس ذائقة الموت فعلينا بالعمل على الأمور التي ترضي الله تعالى وتكسبنا الثواب في الآخرة، فالأجل واحد ووقت الموت محدد فلا ينفع الهروب فالعبد يجب أن يسعى لإصلاح نفسه والاستعداد للموت يقول كعب الأحبار:

من عرف الموت هانت

عليه مصائب الدنيا وهمومها.

**العجيب في قصة موسى:**

قال تعالى:"فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾"[2].

[1] سيد قطب: في ظلال القرآن، تح: علي بن نايف، ص512.

[2] سورة طه الآية 11-12.

عن وهب ابن منبه قال: خرج موسى نحوها يعني نحو النار فإذا هي في شجر من العليق وبعض أهل الكتاب يقول في عوسجة فلما دنا استخارت عنه فلما رأى استخارها رجع عنها وأوجس في نفسه منها خيفة فلما أراد الرجعة دنت منه ثم كلم من الشجرة فلما سمع الصوت استأنس وقال الله تبارك وتعالى له" يا موسى اخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى" وأهل العلم في السبب الذي من أجله أمر الله موسى بخلع نعليه فقال بعضهم أمره بذلك لأنها كانتا من جلد حمار ميت فكره بها الوادي المقدس وأراد أن يمسه من بركة الوادي.[1]

ومن خلال ما جاء في تأويل الآية فإننا نجد العجيب يتجلى في عجائبية الحدث المتمثل في الوسيلتين العجيبتين ألا وهي النار والشجرة .

**الحدث العجائبي:** العجائبي من خلال وسيلتي النار والشجرة.

إن القارئ للقرآن الكريم وسوره طه لا يجد فيه ما يدل على وصف النار والشجرة فالله تعالى في سوره طه لم يذكر الطريقة ولا حتى الأحداث التي سبقت تكليمه لنبي موسى عليه السلام ولا حتى المكان الذي كلمه فيه فالأمر المذكور هنا هو أن الله تعالى أمر نبيه بخلع نعليه وهذا لكونهما مصنوعتان من جلد حمار و لكون الوادي مقدسا فلا يصح العبور بهما.

أما العجيب فيما تناوله الطبري استنادا إلى بعض الرواة يكمن في النار التي كانت في شجر العليق حين دنا موسى من النار التي انسها ورائها وجدها نارا لا كمثل النيران الأخرى فهي غير مقترنة بالحرارة والحريق بل هي قطعة من النور والصفاء فتعجب في هذه النار أنها كلما تقدم منها موسى استخرت عنه إضافة إلى صدور صوت من الشجرة وهذا ما يثير العجب في أمر هذه النار والشجرة لأنه يعتبر أمرا غير عادي وغير مألوف لدى عامة الناس والبشر مما يثير في دهن القارئ نوعا من الدهشة وهذه الأحداث العجيبة جاءت بغية تبشير الله تعالى لموسى

[1] الطبري، تح:عبد الله التركي: تفسير الطبري جامع البيات في تأويل آي قرآن، ص22-23.

بالنبوة عن طريق الوحي من خلال الشجرة عبر أمواج صوتية فموسى بشر له جسم وأذنان ولابد له ليسمع الكلام من أموج صوتية.

وهذا الحدث العجيب الغير طبيعي يترك القارئ في حيرة من أمره وتساؤلات لا تنتهي وهذا ما يدل على وجود وتوفر عنصر الحيرة والتردد الذي يشكل عنصر مهم لتحقيق العجيب.

فالنص العجائبي محفز لخلق فضاء يلامس رغبة الإنسان الدائمة في البحث عن كل ما هو خارق وغير مألوف ويعتبر هذا من أولى وظائف العجائبي وهو تحقيق المتعة والإثارة وخلق فضاء حيوي غير محدود يمنح المتلقي فرصة المشاركة في خلق عالمه الخاص.

أما تفسير ابن كثير فقد جاء كما ذكر تعالى :"فلما أتاها" أي النار واقترب منها" نودي يا موسى أني أنا ربك "الذي يكلمك ويخاطبك" فاخلع نعليك"قال علي بن أبي طالب كانتا من جلد غير ذكي وقيل إنما أمره بخلع عليه تعظيم للبقعة" طوى" عن ابن عباس هو اسم للوادي وقيل عبارة عن الأمر بالوطء بقدميه وقيل لأنه قدس مرتين وطوى له البركة وكررت.[1]

أما في كتاب ضلال القرآن لشهيد سيد قطب فقط جاء تفسيره للآية " لقد ذهب يطلب قبسا من النار ويطلب هاديا في السرعة لكنه وجد المفاجأة الكبرى إنها النار التي تدفئ لأجسام ولكن الأرواح النار التي تهدى لا في السرى ولكن في الرحلة الكبرى (...) إن تلك الذرة الصغيرة الضعيفة تواجه الجلال الذي لا تدركه الأبصار كيف؟لا ندري كيف! فالعقل البشري قصاراه أن يقف مبهوتا يشهد ويؤمن![2]

إن النص لا يمكن أن يكون عجائبيا إذا لم يحدث في نظام العقل ولم يحدث هزات فكرية تحرك فكر المتلقي وتشده نحو الجديد وتجبره على الخوض في غمار النص.

[1] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، سورة طه، الآية 09-16.

[2] السيد قطب: في ظلال القرآن، تح: علي بن نايف الشحود، ص3020.

فالوظيفة الأدبية تقضي بملازمة العجائبي في كل نص أيا كان نوعه وهي تنقسم إلى عدة أوجه بداية بالمتلقي والذي يشكل عنصرا هاما في خلق الفضاء العجائبي انطلاقا من تأثير النص عليه.

فالعجائبي يخلق أثرا خاصا في القارئ سواء كان خوفا أو فزعا أو سعادة أو حبا للاستطلاع فالجمع بين الحقيقي واللاحقيقي وبين المألوف ولا مألوف كلها عوامل تستفز طبيعة المتلقي المثالية للاكتشاف.

كما نلمح وظيفة أخرى متمثلة في الوظيفة الجمالية التي تفجر في دهن القارئ وتجعله في حالة عن الدهشة التي يحدثها النص داخله ويحرك فضوله الغني الذي يجعله منقادا إلى النص وهو يعيش حالة من الدهشة الفنية الجمالية من خلال تصوره لهذا الصوت الذي يخرج من الشجرة.

فهذا الفضاء العجائبي يخلق لدى المتلقي الدهشة وتبقيه مشدودا إلى تفاصيل الأحداث التي تسرد بشكل عجيب يثير المتلقي والنص الذي بين أيدينا يحتفظ بالتسلسل في السرد العجيب الذي يشد المتلقي إليه وذلك من خلال عرض التفاصيل بشكل مدهش يحرك فضول وتردد القارئ حول التصديق من عدمه فالخلفية الدينية للقارئ تجعله أمام ضرورة التصديق بأن كل ما ذكر من أحداث عجيبة هو واقع، انطلاقا من أن موسى عليه السلام هو نبي الله قد انعم عليه بالنعم الكثيرة والمعجزات شرفه الله تعالى بكلمات واصطفاه برسالة فنسب تكليم الله تعالى لنبيه موسى عليه السلام هو الأمر بتبليغ الرسالة فلقد كان لكل نبي من الأنبياء عليهم السلام طريقة خاصة في تبليغ الرسالة واختص موسى عليه السلام بشرف التكليم وعدم إرسال الوحي عن طريق جبريل عليه السلام كما أن هذا النص لا يقتصر على الوظيفة الجمالية فقط بل يحقق وظائف دينية ترتبط بالدلالة الدينية للآية والتي تندرج في ترسيخ العقيدة والإيمان وبالتالي تحقيق الوظيفة النفسية التي تكون غالبا وفق الدلالة الدينية المحققة.

**العجائبي في قصة عيسى عليه السلام:**

**وفاة عيسى( إرتقائه في السماء):**

قصة عيسى عليه السلام من أغنى القصص بالعجيب حيث أحاطة الأخبار العجائبية بقصص ولادته وقصة موته وقد وردت قصة وفاته في القرآن الكريم لكن بشكل زاد من عجائبيتها ذلك لعدم التفصيل فيها وهذا جعل منها محطة اهتمام الرواة و الإخباريين الذين ألفوا مرويات عجيبة حول وفاته انطلاقا من الآية الكريمة في سورة النساء قال تعالى:"وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ ﴿١٥٧﴾ " الآية 157.[1]جاء في تأويل الآية عن وهب منبه قال/ أتى عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين في البيت، و أحاطوا بهم، فلما دخلوا عليهم صورهم الله كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم: سحرتمونا ! لتبرزنا لنا عيسى أو لنقتلنكم جميعا ! فقال عيسى لأصحابه: من يشتري نفسه منكم اليوم بالجنة؟ فقال: رجل منهم: أنا فخرج إليهم، فقال: أنا عيسى وقد صوره الله على صورة عيسى، فأخذوه وصلبوه فمن ثم شبه لهم وظنوا أنهم قد قتلوا عيسى ورفع الله عيسى من يومه ذلك.[2]

وفي رواية أخرى عن وهب بن منبه يروي فيها تفاصيلها مقتل عيسى وهي رواية طويلة جدا سنكتفي بذكر الجزء الذي ذكر فيه حادثة رفعه إلى السماء وهو الجزء الذي يتجلى من خلاله العجائبي.

عن وهب بن منبه قال:"... فلما أصبح أتى أحد الحواريين إلى اليهود فقال ما تجعلون لي أن دللتكم على المسيح؟فجعلوا له ثلاثين درهما فأخذها ودلهم عليه وكان شبه عليهم قبل ذلك فأخذوه فاستوثقوا منه وربطه بالحبل فجعلوا يقودونه ويقولون له: أنت كنت تحيي الموتى وتنهر الشيطان وتبرئ المجنون أفلا تنجي نفسك من هذا الحبل و يبسقون عليه ويلقون عليه شوكه حتى أتوا الخشب والتي أرادوا أن يصلبوه عليها فرفعه الله إليه وصلبوا ما

[1] سورة النساء، الآية 157.

[2] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي قرآن، تح: محمود شاكر وأحمد شاكر، الطبعة2، ج9، مكتبة إبن تيمية، القاهرة، مصر، ص368.

شبه لهم فمكث سبعا ثم إن أمه والمرأة التي كان يداويها عيسى فأبرها الله من الجنون جاءتا تبكيان حيث المصلوب فجاءها عيسى فقال على ما تبكيان قالتا عليك قال إني قد رفعني الله إليه ولم يصبني إلا خير وإن هذا شيء شبه لهم..."[1]

**تجليات العجائبي في نص التأويل:**

يتجلى العجائبي في النصين التأوليين من خلال السرد أيضا يتجلى في الحدث العجائبي والذي تمثل في حادثين( عملية النسخ حيث نسخ عيسى على وجوه الحواريين وأيضا نسخ صورة عيسى على الشخص الذي وشى بيه لدى اليهود) وسنحاول التفصيل في شرح مكامل العجائبي حسب الأحداث.

**الحدث العجائبي (عملية المسخ):**

يظهر الحدث العجائبي بشكل واضح في القصتين ففي النص الأول ،يتجلى من خلال عملية النسخ والتناسخ هو حدث ينبني عليه العجائبي وجاء في النص أن عيسى كان معه سبعة عشر رجلا من الحواريين في البيت ولما أحاطوا بهم، ودخلوا عليهم صورهم الله كلهم على صورة عيسى، وهنا يتجلى الحدث العجائبي، فالمتلقي أمام حدث غير مألوف لم يسبق له حدوث من قبل، فهو أمام سبعة عشر شخص في صورة واحدة لا يستطيعون معرفة أيهم عيسى وهذا الحدث بما فيه من خرق للواقع المألوف، يثير في المتلقي شعور الرهبة من هذا الموقف الرهيب ويجد نفسه أمام فضاءات لا يستطيع الوصول إليها إلا عن طريق التخيل الذي يفتح له مجال التصور فله أن يتصور الحالة التي كان عليها عيسى وكيف تمت عملية التناسخ في لحظة واحدة؟ وكيف يرسم اللحظة العجيبة التي تحول فيها سبعة عشر رجلا إلى صورة واحدة متطابقة، رسم يخرج عن المألوف ليصنع من الخيال طاقة لا محدودة تثري النص وتغرقه في العجيب خاصة وأن النسخ في الرواية الثانية لحق بالشخص الذي وشى بعيسى

[1] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي قرآن، تح: محمود شاكر وأحمد شاكر ، مرجع سابق، ص369.

فنسخه الله صورة طبق الأصل عن صورة عيسى ويتجلى العجائبي مرة أخرى لكن هذه المرة عن طريق حدث الارتقاء إلى السماء.

**العجائبي من خلال إرتقاء عيسى إلى السماء:**

رغم الله ارتقاء عيسى عليه السلام حدث ذكر في القرآن الكريم في قوله تعالى:" وما قتلوه وما طلبه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما".

ورد في الآية ذكر رفع الله عيسى عليه السلام لكن برغم هذا شكلت عملية الارتقاء حدثا خارقا، مهد للعديد من النصوص العجائبية، حيث احتفظ بسر الارتقاء وهذا الغموض كان كفيلا ببعث العجائبي في النص، فالمتلقي أمام حدث خارج قدرة البشر من ناحية الفعل ومن ناحية الفهم فالعجيب لا يقتصر على رفع الله لعيسى وإنما يتوسع ليشمل حالة عيسى عند رفع الله له، ومحاولة كسور حالته يخلق العديد من التخيلات والصور الذهنية التي لا تقل عجائبية عن الحدث نفسه، فالنص ذكر عملية الارتقاء لكنه اخفى حالة عيسى هل ارتفع عيسى جسدا وروحا؟ أو أن الارتقاء خص الروح فقط وبقي الجسد في الأرض؟ والسؤالين يحيلان إلى فضاءات عجائبية تتشكل في ذهن المتلقي كلما غاص أكثر في محاولة رسم صورة واضحة لحقيقة هذا الارتقاء. فالصورة الذهنية المرافقة للعملية التخيلية تتغذى بالغموض الذي أحيط بحقيقة ارتقاء عيسى هل كان جسدا؟ وهذا فعل عجيب أن يتصور إنسان يرتقي من الأرض إلى السماء جسد يخترق السماء الدنيا ليرتفع إلى عالم من آخر في حضرت الإله وهذا يحرك انفعالات المتخيل الذي يجد نفسه أمام عدة احتمالات كل احتمال أعجب من الأخر وكل صورة أغرب من الأولى تتضارب الخيالات وتتسع التأويلات ليخلق عالما عجائبيا يخرق حدود الواقع والمألوف ويتولد منه فضاء لا يحده منطق، فيزيد من حدة التخيل وكثرة الإبداع الذهني وبالتالي ثراء النص والذهن ففي كل عملية تخيل إبداعية يخلق فضاء آخر يختلف عن غيره وهذا يمنح النص انفتاحا غير مسبوق.

وبعد حالة الدهشة التي يمر بها المتلقي إزاء ما حدث من ارتقاء عيسى تتجدد الدهشة و يلتف حبل العجائبي على حدود النص مجددا عندما يعود عيسى إلى الأرض بعد ارتقائه وقد أشار النص إلى هذا عودة عيسى ليخبر أمه أنه لم يمت ولم يصلب وإنما المصلوب رجل آخر شبه لهم، وأن الله رفعه إليه وهذا الحدث يعيد إلى ذهن المتلقي صور نوعية الارتقاء فكيف عاد عيسى هل عاد من خلال الوحي؟ أو عاد بجسده المعتاد أو حدث أمه من السماء؟ كل هذا محرك فعال لخلق الفضاء العجائبي فالمتلقي أمام حدث آخر ووجه آخر للعجائبي.

**العجائبي من خلال السرد:**

السرد العجائبي يتجلى في كامل أجزاء القصة حيث ساعد على خلق الفضاءات العجائبية في النص من خلال تحقيق التوتر في النص وجذب المتلقي وربطه بأحداث النص فالسرد هو مفتاح العجائبي إذ لا يخرج النص عن سيطرة السرد، فيتحرك، خيال المتلقي حسب اتجاهات السرد وتتخد الأحداث مسارها حسب الطريق الذي يفتتحه السرد لها وهكذا فإن السرد العجائبي كان له دوره وحضوره في النصين من خلال الوصف وتحريك انفعالات المتلقي مع الشخصيات منذ بداية الأحداث عندما ينقل حالة عيسى الذي يعلم مسبقا انه سيتعرض للخيانة فيبحث عن سبل النجاة وهذا التوتر الذي يعيشه عيسى ينقله السرد إلى المتلقي عن طريق الوصف الدقيق لحالته النفسية وتطور الأحداث فالسرد يعتمد التصوير ليحقق أثره على المتلقي ويشده إلى الاستغراق في تفاصيله فهو يخلق داخل المتلقي فضاء آخر للنص فيبعث فيه رغبة البحث والاكتشاف التي تجر المتلقي إلى التخيل الإبداعي الذي تفرضه الأحداث العجائبية من هنا يمكننا القول أن النص بما فيه من سرد و أحداث وشخصيات هو فضاء يتجلى فيه العجائبي بشكل كبير مما يمنح النص انفتاحا على العديد من القراءات التي تثري العمل الأدبي جماليا ودلاليا.

**الوظيفة الجمالية والأدبية:**

ترتكز وظيفة العجائبي الأدبية والجمالية على قدرة النص العجائبي على خلق انفعالات داخل النص ينقلها إلى المتلقي الذي يتأثر بهذا النص ليخلق فضاءات خيالية تزيد من ثرائه الذهني وتزيد النص ثراء جماليا العجائبي في نص التأويل يتجلى من خلال السرد والأحداث التي تربط المتلقي وتعمل على نقل المتلقي من عالمه الواقعي المحدود إلى عالم النص العجائبي الخارق والمدهش الذي لا يقيده قانون أو منطق ولا تحده النصوص فالعجائبي يخترق حدود النص ويخرج إلى فضائل أكبر وأوسع مليء بالتوتر والدهشة والتردد فالعقل بين أمرين القبول أو الرفض وهذا ما لا يحدث في يتحقق البعد العجائبي من خلال استمرار ارتباط المتلقي بأحداث النص واستمرار تدفق التخيلات الذهنية الباحثة عن امتطاء هذا العالم الذي يغذي الدهشات الذهنية بكل غريب عجيب خارق غير مألوف يحطم الصورة الذهنية العادية ويرسم صور عجائبية وهذا ما يحققه العجائبي فالصورة الذهنية التي يرسمها المتلقي لحادثه النسخ تشكل عنصر مدهش لعقل لم يسبق له رؤية سبعة عشر رجلا نسخة عن بعض والحالة الشعورية التي يعيشها المتلقي مع الشخصيات عند ارتقاء عيسى يخلق في النص التوتر والدهشة وهذا ينعكس على شعور المتلقي الذي لا يجد أرضية واقعية يستند إليها فيعمدوا على الخيال الذي يغذي كل عجيب، فيشكل لنا لوحة فنية من الصور الذهنية التي يخلقها هذا العجائبي في النص مما يعطيه بعدا جماليا فالوصف يغذي النص والمتلقي ذهنيا.

**الوظيفة الدينية:**

مما جاء في تفسير الآيات الكريمة لقوله تعالى: "وَقَوْلِهِم إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ "157.

إن قضية قتل عيسى عليه السلام وصلبه قضية يخبط فيها اليهود كما يخبط فيها النصارى بالظنون فاليهود يقولون أنهم قتلوه ويسخرون من قولهم إنه رسول الله، فيقررون له هذه الصفة على سبيل السخرية أو النصارى يقولون انه صلب ودفن ولكنه قام بعد ثلاثة أيام والتاريخ يسكت عن مولد المسيح ونهايته كأن لم تكن له في حساب ! [1] أم القران الكريم فيكرر قراره الفصل" وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ " ." وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما". ولا يدلي القرآن بالتفصيل في هذا الرفع أكان بالجسد والروح في حالة الحياة أم كان بالروح بعد الوفاة ومتى كانت الوفاة وأين وهم قتلوه وما صلبوه وإنما وقع القتل والصلب على من شبه لهم،[2] بعد عرض أهم ما جاء حول قضية صلب عيسى من قبل بنو إسرائيل فإننا نحاول الربط بين المناسبة التي نزلت فيها الآية والوظيفة التي يحققها العجائبي، تركز الآيات على التصور الإسلامي بحقيقة الإيمان وحقيقة الكفر فيما يتعلق بالرسل والرسالات والموقف العدائي المكشوف ورسم المكائد للرسل وعرض قصص مكائد الكفار حول الإسلام والرسل ونهاية المكيدة بالفشل لأن الله ينجي رسوله فكما نجا موسى من فرعون وعيسى من أعدائه نجى محمد رسول الله من كيد قريش عندما حاصروا بيته لقتله سينجي عباده المؤمنين الأخيار فالعجائبي في هذا النص هو رسالة لكل مؤمن بالله من يتقي الله يجعل له مخرجا وينجيه من كيد الكفار فهو دعوة للسير على خطى الأنبياء والمرسلين ودعوة للتمسك بحبل الله مهما اشتدت المكائد لأن الصبر والثبات والتوكل على الله هو مفتاح النجاة.

## العجائبي من خلال الأخبار الواردة في تأويل بعض الآيات :

### العجائبي في تأويل الآية 124 سورة طه:

قال تعالى { وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ }[3]

[1] السيد قطب: في ظلال القرآن، ص1167.

[2] المرجع نفسه، ص1168.

[3] سورة طه الآية 124.

جاء في تأويل الآية أن المعيشة الضنكة هي الكسب الخبيث[1] وأيضا المعيشة التي اونسع الله عليها من الحرام[2] فقيل: رزقا في المعصية،[3] أو الكسب الخبيث[4]، فقد اختلف المفسرون في تأويلها، ومما جاء في تأويلها عن أبي سعيد انه كان يقول: المعيشة الضنك عذاب القبر،انه يسلط على الكافرين في قبره تسعة وتسعون تنينا تنهشه وتخدش لحمه حتى يبعث،وكان يقال: لو أن تنين منها ينفخ الأرض لما تنبت زرعا[5].

وفي تأويل الآية عن أبي هريرة قال عن رسول الله: {أتدرون في ما أنزلت هذه الآية:{فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة أعمى} أتدرون ما المعيشة الضنك؟ قالوا: الله ورسوله اعلم، قال: ( عذاب الكافر في قبره، والذي نفسي بيده، انه يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا، أتدرون ما التنين؟ تسعة وتسعون حية، لكل حي سبعه أرؤوس، ينفخون في جسمه ويلسعونه ويخدشونه إلى يوم القيامة).[6]

## تجليات العجائبي من خلال النصين التأويليين:

### العجائبي في وصف عذاب القبر:

يتجلى العجائب في نص التأويل من خلال أنه يتضمن الأخبار عن الغيبيات التي ترتبط بالقبر وعذابه، النصوص التي تتحدث عن أمور أو مخلوقات أو أماكن، تتعلق بالغيب مأوى ما لم يستطع الإنسان أن يصل إليه بحواسه، ولا يمكن لأحد أن يثبت أو ينفي ما يوجد داخل القبر، إذ لا توجد حياة بعد الموت وهذا الجانب الغيب الذي لا يعلمه إلا الله والميت هو الذي لن يعود ليخبر أهل الدنيا ما رآه هو عايشه من عذاب أو من جزاء والنفس الأول والثاني يصوران عذاب الكافر في القبر من خلال التصوير ووصف التنين ينهش جسد الكافر ويخدشه هذا الوصف

[1] الطبري جامع البيان عن تأويل آي قرآن: تح: عبد الله التركي، ج 16، ص195.

[2] المرجع نفسه، ص ن.

[3] المرجع نفسه، ص ن.

[4] المرجع نفسه، ص ن

[5] المرجع نفسه.ص 197.

[6] المرجع نفسه، ص198-199.

يحيلنا إلى العجيب المبالغ، وهذا العجائبي يكون من خلال الوصف المبالغ بالظواهر من طرف الراوي، فيفوق بذلك القوانين المعتادة فقد يصور كائنات موجودة في أرض الواقع لكن بصورة مبالغ فيها يتجاوز صورته الحقيقية المألوفة في ذهن المتلقي، و ينقل هذا الوصف المتلقي إلى عوالم أخرى تصيبه بالدهشة وتحرك مشاعر الفزع والخوف والاضطراب اتجاه الكائن الموثوق وهذا ما يتضمنه هذا النص من خلال الوصف العجيب والمبالغ للتنين، التنين وحده يطير بالمتلقي إلى عوالم العجائبي لأنه لم يسبق لأحد رؤيته، ولم نسمع به إلا من خلال الروايات الشعبية والأساطير، وجوده الفعل لم يرد في قصص التاريخ فهو يرتبط بالأساطير الشعبية التي تنوي قصص مختلفة عن التنين الذي يخرج من فمها وانفه النار، ويحرق الناس والأرض فصوره التنين ترتبط في ذهن بالنار والعذاب والخوف والفناء،و فكرة أن الكافر ينتظره تنين، في القبر ليعذبه بالرغم من كميه المشاعر والرعب التي تديرها الفكرة في المتلقي إلا أنها ترسم في الذهن عالما عجائبيا،لحقيقة هذا التنين الضخم الذي جعله الله عقابا للكافر،من لا يقتصر على ذكر التنين ويعطيه مواصفات أخرى تزيد من عجائبية المخلوق،حيث وصف الراوي استنادا إلى رواية الرسول بان التنين هو تسعة وتسعون حية، لكل حية سبعة رؤوس هذا الوصف للتنين يمنحه بعد عجائبيا، فهو كائن مخالف للواقع، غير مألوف، وعدم رؤية المتلقي لشيء مثل هذا يمنح الوصف بعدا عجائبيا،ومحاوله المتلقي الرسم صورة ذهنية لهذا التنين ذي التسعة والتسعون حية لكل حيه سبعه رؤوس، ومحاولته هذه تدخله في المجال الغيب لا محدود ولا مقيد، فهو أمام كائن خارق مفزع يحرق باستطاعة تنين واحد فقط أن يحرق الأرض من مشرقها إلى مغربها، فلا ينبت لها زرعا لمجرد أن ينفخ فيها تنين واحد، فكيف بتسعة وتسعون تنينا؟ هذه الصورة بكل ما فيها من عجائبي كسر حدود العقل الذي يجد نفسه عاجزا أمام هذا المخلوق المهول والمرعب، وهذا هو الهدف الديني من وراء الآية التي ساهم الوصف العجائبي في إرساء بعدها وغايتها ويحقق العجائبي من خلال النص العديد من الوظائف منها الوظيفة الأدبية والجمالية والوظيفية الدينية التي تمتد آثارها إلى الوظيفة النفسية الاجتماعية التي

تتحقق وفق الوظيفة الدينية التي يحققها العجائبي في النص الذي بين أيدينا، وسنحاول عرض هذه الوظائف بداية بالوظيفة الأدبية والجمالية.

## الوظيفة الأدبية والجمالية:

يحقق العجائبي الوظيفة الأدبية والجمالية من خلال خلق حالة من الحيرة والاندهاش حول ما جاء به النص، هذه الهالة المحيطة بالعجائبي، تحرك عواطف المتلقي فتبعت في قلبه الخوف والفزع وتحرك ذهنه نحو التصور لتغطية عجزه عن منح المخلوق الموصوف رسم يتطابق مع الخلفية المعروفة له ، وهذا ما يمنح النص قابلية غير محدودة لتمدد في عالم الخيالات الذهنية للمتلقي والتي غالبا ما تكون وفق انتماءاته الدينية فالمتلقي الكافر والمتلقي المؤمن يختلفان من حيث الصورة الذهنية التي يرسمها كل منهما وفق إيمانه ووفق أبعاده الثقافية المتشبعة بالمعتقدات . فالمتلقي الكافر يستقبل هذا الوصف بنوع من الشك والريبة لاعتقاده بعدم وجود حياه داخل القبر وعدم إيمانه بالثواب والعقاب، فالعجائبي في هذه الحالة يعمل على خلق فضاء أكبر من التأويلات وباعتبار النص بشري فانه قابل لاحتواء العديد من الخيالات التي تثري النص، فهو مفتوح أمام التأثيرات الخارجية التي تضفي عليه من الأفكار والخيال والخلفيات الثقافية والدينية للمتلقي الذي يصبح عنصر فعال في العملية الإبداعية الأدبية، ومن هنا فإننا نستخلص أن العجائبي في النص التأويلي يفتح المجال للعديد من القراءات، هذا من جهة ومن جهة أخرى يحافظ السرد العجائبي على إبقاء التوتر في النص وبالتالي المحافظة على جذب المتلقي وربطه بأحداث النص، وعدم قدرته على التحرر من النص بغيه تحقيق التأثير على المتلقي وسحبه إلى الخوض في الفضاء العجائبي بخياله، وهذا يكون عن طريق السحب التدريجي للمتلقي، مثل أسلوب السؤال الذي غرضه جذب المتلقي نحو الأحداث فنلاحظ أن الراوي في النص الثاني لم يسرد الأوصاف مرة واحدة أي لم يخبر بمعنى الايه مره واحده بل لجأ إلى السؤال في كل مره مثل أتدرون ما المعيشة الضنك؟ أتدرون ما التنين؟ طرح الأسئلة قبل أن يروي هو أسلوب يحقق تأثير قوي على الدهن، وهذا يضمن للراوي استمرارية التوتر في النص واستمرار رغبه المتلقي في البحث والاكتشاف وهذا

يغذي السرد العجائبي الذي من وظائفه المحافظة على التوتر في النص وتحقيق الأثر المطلوب والهدف من وراء توظيف العجائبي كما يعمل على زيادة الكثافة الانفعالية التي يحدثها الوصف العجائبي للتنين ذو سبع رؤوس ،فيتكون للقارئ فضاء عجائبيا لمجرد أن يشعر، بعمق التجربة في القبر وإحساسه بالرهبة والخوف والرعب وذلك لحضور عوالم وقوى غير مألوفة، وفي الإجمال فان العجائبي حقق ثراء ذهني بسبب حمل المتلقي على التخيل وبالتالي جعل النص أكثر تفتحا وحمالا للعديد من الانفعالات التي تعمل على تحقيق جماليات السرد وتثري العمل الإبداعي. فالنص العجائبي يتصف بالليونة في التشكل،أي منفتح على أفاق ذهنية متعددة تزيد من ثراءه فلا يتقيد المتلقي بتأويل واحد، مما يساهم في انفتاح النص على جوانب إبداعية تعطي النص بعد جماليا اكبر.

**الوظيفة الدينية لتوظيف العجائبي:**

سوره طه من السورة المكية أي يرتكز موضوعها على العقيدة وعلى الدعوة والتذكير ويكون إما عن طريق التبشير والإنذار والآية الكريمة تحيل إلى الموضوع الثاني فهي تدخل ضمن أسلوب الترهيب والوعيد ولمعرفة وظيفة العجائبي الدينية في نص التأويل لابد من الإشارة إلى دلالة الآية والى السياق الذي جاءت فيه ليتضح لنا الدلالة التي يحققها العجائبي في النص، قال تعالى:{ ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا} وجاء في تفسير الآية" من خالف أمر الله وما انزله على رسوله واعرض عنه وتناساه واخذ من غيره هداه ، فإن له في الدنيا أن لا طمأنينة له، ولانشراح لصدره، بل صدره ضيق خرج لضلاله، وقيل الشقاء واشتداد المعيشة[1] فالحياة المقطوعة الصلة بالله ورحمته الواسعة ، ضنك مهما يكن فيها من سعه ومتاع ،لأنه ضنك الانقطاع عن الله، ضنك الحيرة والقلق والشك ، فالعبد لا يشعر بالطمأنينة والاستقرار إلا في رحاب الله ولن يحس بالراحة والثقة إلا وهو متمسك به بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها[2] برغم من اختلاف ما جاء في التفسيرين عن ما ورد في نص التأويل للطبري إلا أن توظيف

[1] ابن كثير: تفسير القرآن الكريم، ص1228.

[2] السيد قطب: في ظلال القرآن: ص3048.

العجائبي لم يختلف في وظيفته من حيث الفرض الذي يهدف إليه من وراء وصف عذاب الكافر في القبر بذلك الشكل. فالعجائبي هنا يعمل على الدعوة من خلال إظهار مدى عذاب الكافر عند الموت وتصوير ما ينتظره في القبر والمبالغة في الوصف لإثارة الرعب والخوف في نفس الكافرين لتصحيح إيمانه فيعمل على الدعوة إلى التوبة والإيمان من خلال الوعيد بالعذاب الشديد، أما المؤمن فيعمل هذا العجائبي على تحذيره من أن تزل قدمه ويغتر بالحياة الدنيا ، لان هناك عقابا بعد الموت، فالصورة الذهنية التي يرسمها الوصف للتنين، فالمتلقي يصاب بالرعب لتخيل تسعة وتسعون تنينا ، لكل تنين سبع رؤوس أفاعي ينفخون في جلده النار ويخدشونه إلى يوم يبعث، مشهد مرعب، يعمل على دفع المتلقي إلى التذكر بأن الحياة ستنتهي يوما وان هناك حياة أخرى في القبر قبل البعث فإما نعيم وإما جحيم وإما ثواب أو عقاب.

## العجائبي في وصف ثمار الجنة:

العجائبي في تاويل الايه50 - 51 سوره ص قال تعالى: "جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ۝ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ۝ "

جاء في تأويل الآية " إن هذا لرزقنا ما له من نفاذ" عن السدى: قال إن هذا الذي أعطينا هؤلاء المتقين في جنات عدن من الفاكهة الكثيرة والشراب والقاصرات الطرف، ومكناهم فيها من الوصول إلى اللذات، وما اشتهته فيها أنفسهم (لرزقنا) رزقناهم فيها كرامة منا لهم، ( ما له من نفاد ) يقول: ليس له عندهم انقطاع ، ولا له فناء، وذلك أنهم كلما اخذوا ثمره من ثمار شجرة من أشجارها فأكلوها ،عادت مكانها أخرى مثلها، فذلك لهم دائم أبدا ، لا ينقطع انقطاع ما كان أهل الدنيا واتوه في الدنيا ، فانقطع بالفناء، ونفذ بالإنفاذ.[1]

[1] الطبري: جامع البيان عن تأويلآي قرآن، تح: عبد الله التركي، ج20، ص124-125.

## تجليات العجائبية في النص:

يتجلى لنا العجائبي من خلال وصف ثمار الجنة وذلك من خلال مفارقة الواقع، وصف شجرة الجنة العجيبة التي لا ينفذ ثمرها فتل ما أخذوا ثمرة من ثمارها وأكلوها عادت مكانها أخرى مثلها، فلا تنقطع ولا تنفذ، وسيمتد هذا الوصف لأشجار الجنة وثمارها عجائبته من مفارقته للواقع في المتلقي أمام أشجار عجيبة مذهلة لا تشبه الشجر الذي تعود على رؤيته في الواقع، فالشجرة في الأرض والحياة الدنيا، ينفذ ثمرها، وتذبل أوراقها وتتساقط ،عكس ما جاء به الوصف لشجر الجنة، فلا يذبل ولا يموت ولا يفنى ولا ينتهي ثمره بل هو متجدد، دائم الخضرة، ما إن تقطف ثمرة من ثماره حتى تعود لتأخذ مكانها أخرى في ديمومة لا تنتهي فهو الرزق الذي لا ينقطع بالفناء أي لا يموت ولا ينتهي بنفاذه بل هو لهم دائم أبدا ، خالد لا يفنى .

هذا الوصف يحيل إلى العجائبي انطلاقا من ارتباطه بالجنة أي بالعالم الآخر الذي لا يستطيع العبد أن يراه إلا من خلال الخيال والتصورات الذهنية التي يرسمها بواسطة الأوصاف التي ذكرت في القران الكريم أو من خلال أوصاف المفسرين وعدم قدرة المتلقي على الوصول إلى صورة ذهنية مؤكدة وارتباط التصور الذهني بكل ما يتعلق بالجنة بالغيب والماورائي الذي يكتسيه الغموض والسحر الناتج عن الهالة الطاقية التي تنشرها الأخبار المتعلقة بالجنة والنار والبعث، والقبر فكل ما هو غير قابل للوصول إليه بالعين المجردة وبالتالي عجز الدهن عن الفهم الدقيق لما يحيط به من تصوير غير مألوف مما يصيب المتلقي بالدهشة والغرابة وكذا الحماس اتجاه هذا العالم الخالد بكل ما فيه من نعم لا تفنى ، جزاءا للمتقين وعباد الله الصالحين، العابدين ،المؤمنين به، لهم جزاء ما عملوا ما لا عين رأت ولا إذن سمعت، فلا يستطيع الفرد أمام هذا إلا التحليق بخياله في فضاءات الجنة وهذا الخيال يفتح له باب العجائبي بأوصافها الفريدة التي لا يتصورها العقل فلا حد لخيرات الجنة ولا قيود لعمليه التخيل، فالفضاء اكبر من أن يقيد بثوابت الدنيا الفانية، فهناك في الجنة الخلود الذي لا يفنى وهذا تجسيد للعجائبي، بأبعاده التي تكسر حدود الواقع وقيود الطبيعة ، وتخلق عالم جديد لم يسبق للعين مشاهدته.

## الوظيفة الأدبية والجمالية:

لا يخلو النص العجائبي من الوظيفة الأدبية التي أساسها تحقيق الانفعال والمحافظة على جذب اهتمام المتلقي من خلال أسلوب الوصف الذي يشكل عنصرا فعالا في تحقيق التأثير الكبير على المتلقي ، لان الوصف ينقل الصورة إلى دهن المتلقي وبالتالي تحقيق الانفعالات العاطفية المطلوبة مثل الدهشة والانجذاب والمتعة فالعجائبي المتعلق بوصف الجنة، يعمل على أثاره مشاعر الرغبة والمتعة المشبعة بالفضول لمعرفه هذا العالم الخيالي بأصنافه الفريدة والعجيبة من النعم والخيرات ، حيث نجد الأوصاف التي ترتبط بالأمور الفوق طبيعية والغير مألوفة والتي تصف العوالم الغير دنيويه تتسم دائما بخرقها لكل قواعد الواقع وهذا يمنح النص دائما بعدا جماليا اكبر ويفتح مجال الإبداع فيه لان العقل مهما حاول الوصول إلى صور تقريبية لما هو موجود في الجنة لا يستطيع الوصول إلى حقيقتها الكاملة، وهذا النوع من النصوص مفتوح تماما أمام الأعمال الإبداعية والفنية الجمالية التي تساهم في خلق فضاء عجيب يختلط فيه الخيال بالواقع والوهم وتختلط فيه الدهشة الفنية ، مما يعطي النص بعد جماليا كبيرا.

## الوظيفة الدينية:

العجائبي يرتبط هنا بمعاني الآيات وبأسباب نزولها وموضوعها والآيات الكريمة تبدأ بقوله تعالى:" هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب" بداية الآية تعطي دلاله على ما يأتي بعدها فهي تخص المتقين وبالتالي فالعجائبي في وصف أشجار الجنة وثمارها يحمل معاني الآيات ويكون بذلك بمثابة الترغيب للمؤمن، أي أن وصف ما يلقاه المؤمن من نعم في الجنة ومن أصناف الخيرات وألوانها شكل من أشكال الترغيب وهو احد أساليب الدعوة.

ومن وصف جزاء المتقين في الجنة إلى وصف حالة الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله وفي سبيل رفع راية الإسلام ونعرض نموذج أخر يتجلى من خلاله الوصف العجائبي المرتبط دائما بالترغيب والدعوة إلى الجهاد وذلك من خلال وصف حاله الشهداء وجزائهم في الجنة.

## العجائبي في وصف جزاء الشهداء:

قال تعالى:"وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ [1]"

عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها ،وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش. فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن مقيلهم قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا! لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب!..."

## تجليات العجائبي من خلال نص التأويل:

يحيلنا هذا النص إلى السرد العجائبي من خلال الوصف ، حيث يصور لنا كيف جعل الله تعالى أرواح شهداء احد في أجواء في طير خضر ، تطير في الجنة حيث ترد انهار الجنة، وتأكل من ثمارها وتأوي فتنام في قناديل من ذهب في ظل العرش ، هذا الوصف الجميل لحال الشهداء إنما هو وجه من أوجه السرد العجائبي الذي يغذي خيال المتلقي بكل أصناف الإدهاش ،ويمنحه مساحه لا متناهية من الخيال الممزوج بالجمال، فيرسم لوحه لهذا المشهد المقتطف من حياه الخلود والنعيم في الجنة، لوحة لا تقل عجائبية عن الوصف ، أرواح في جوف الطيور ،طير خضر ،مسحة جماليه تثير دهن المتلقي، تدفعه لمحاوله الوصول إلى اللحظة مشهد عجيب في رحاب الجنة، تلك الأرواح التي ماتت في سبيل الله تطير في أجواف الطيور الجميلة الخضراء، تشرب من انهار الجنة التي قيل عنها في روايات أخرى أنها من عسل وخمر ولبن وتأكل من ثمارها التي لا تنفذ والتي ما رأت لها عين من مثيل في الصنوف والألوان وتأوي إلى قناديل من ذهب، وصف عجيب رائع يحرك خوالج النفس ويمنحها حلاوة العيش في هذا الفضاء العجائبي الذي تطاله الأيدي ولا تطاله الأعين ولا العقل بالتصور والإدراك.

[1] سورة آل عمران: الآية 169.

## الوظيفة الأدبية والجمالية:

الوصف بما فيه من عجيب يفجر طاقه الخيال والإبداع عند المتلقي الذي يجد نفسه أمام فضاء خارق لا يستطيع إدراكه إلا عن طريق العملية التخيلية التي تمنحه ثراءا فكريا يكسبه دفعا نحو الإبداع، فأغلبية النصوص السردية التي تصف المعالم التي ترتبط بالغيبيات مثل الجنة والنار، تفتح مجال التأويلات وكلما كان الخيال حرا والسرد منفتحا على العديد من التأويلات و كلما كان الإبداع اكبر وكلما كان النص الأدبي أجمل هذا بالإضافة إلى الأثر الذي يتركه العمل على المتلقي من تحقيق المتعة وإثراء لدهن القارئ وتوجيهه إلى الدلالات الغامضة والتي تخدم السرد بشكل اكبر من خلال إيقاظ شغف الاستطلاع والبحث في معاني ودلالات النص وبالتالي تحقيق التأثير المطلوب في المتلقي وخلق فيه رغبه دائما في اكتشاف العوالم العجائبية.

## الوظيفة الدينية:

يعمل العجائبي في هذا النص على حث المؤمنين على الجهاد في سبيل الله من خلال كشف مصير الشهداء المطمئن وان العطاء يستحق التضحية بالنفس في سبيل الله و الرسول وهذا واضح من خلال تتمه النص ،في قوله :" يا ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله بنا ! لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب !..."[1] تتمة النص تبين لنا الغرض الديني الذي يحققه الوصف العجيب لحال الشهداء وهو تحفيز المسلمين على مواصله الجهاد وعدم التراجع خوفا من الموت، لان الشهادة نقلة في الحياة وليست موتا ، هي نقلة إلى جوار الله، وما جاء في الوصف تعديل لمفهوم الموت حتى كان في سبيل الله ، وللمشاعر المصاحبة له في نفوس المجاهدين أنفسهم، وفي النفوس التي يخلفونها من ورائهم ، وإفساح لمجال الحياة ومشاعرها وصورها، بحيث تتجاوز مظاهر الحياة الزائلة وتستقر في مجال فسيح عريض لا تعترضه الحواجز التي تقوم في أذهاننا و تصوراتنا ، فالموت في سبيل الله هو نقلة من صورة صوره( من جسد الإنسان إلى روح في أجواف طير خضر) ومن حياة إلى حياة( من شقاء الدنيا إلى نعيم الجنة )

[1] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي قرآن، تح: محمود شاكر، ج7، ص385.

وفقا لهذا المفهوم الجديد الذي إقامته هذه الآية في قلوب المسلمين، سارت خطى المجاهدين الكرام في طلب الشهادة[1] وتتداخل الوظيفة النفسية والاجتماعية مع الوظيفة الدينية المحققة.

**العجائبي في الإخبار عن وقوع القدر من خلال تأويل الأية:**

قال تعالى:" أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ ﴿٧٨﴾" عن مجاهد قال كان في من كان قبلكم امرأة وكان لها أجير فولدت جارية فقال لأجيرها اقتبس لنا نارا فخرج فوجد بالباب رجلا فقال له الرجل: ما ولدت هذه المرأة قال: جارية قال: إما أن هذه الجارية لا تموت حتى تبغى بمائة ويتزوجها أجيرها ويكون موتها بالعنكبوت قال فقال: الأجير في نفسه فانا أريد هذه بعد أن تفجر بمائة لاقتلنها فأخذ شفرة فدخل فشق بطن الصبية وخرج على وجهه وركب البحر وخيط بطن الصبية وتموجلت فبرائه فشبت وكانت تبغي فأتت ساحلا من سواحل البحر فأقامت عليه تبغى ولبث الرجل ما شاء الله ثم قدم ذلك الساحل ومعه مال كثير فقال لامرأة من أهل الساحل أبغين امرأة من أجمل امرأة في القرية أتزوجها فقالت ها هنا امرأة من أجمل الناس ولكنها تبغي قال ائتني بها فاتتها فقالت قدم رجل له مال كثير وقد قال لك كذا فقلت له كذا فقالت أني قد تركت البغاء ولكن إن أراد تزوجته قال فتزوجها فوقعت منه موقعا في فينا هو يوم عندها إذا اخبرها بأمره فقالت أنا تلك الجارية أرأته الشقة في بطنها وكد كنت ابغي فما ادري بمائة أو أقل أو أكثر قال فإنه قال لي يكون موتها بعنكبوت قال فبنى لها برجا بالصحراء وشيده فبين ما هما يوما في ذلك البرج إذا عنكبوت السقف فقال هذا عنكبوت فقالت هذا يقتلني؟! لا يقتله أحد غيري فحركته فسقط فاتت فوضعت إبهام رجلها عليه فخدشته وساح سمه بين ظفرها واللحم فاسودت رجلها فماتت.

ومن خلال ما جاء في تأويل الآية فإننا نجد العجيب يتجلى في السرد ،السرد العجائبي ومفارقة الموت والحياة وكذا التنبؤ بالمستقبل.

[1] أنظر السيد قطب: في ظلال القرآن، ص827.

**السرد العجائبي ( مفارقه الموت والحياة):**

إن القارئ للقرآن الكريم وسورة النساء لا يجد فيها ما يدل على قصة المرأة التي ماتت بالعنكبوت وما لهذه الأحداث من مفارقة فمن خلال ما تناوله الطبري استنادا إلى بعض الرواة فهو يبدأ لنا في سرد الأحداث والتي تبدأ بتنبؤ الرجل بالمستقبل فالعجيبة هنا يتجلى من خلاله وقوع التنبؤ فعلا فهو قد ذبح الرضيعة وقال أن سبب موتها هو العنكبوت ثم هرب بعدها لكن مع مرور الوقت فقد تزوج هذه الرضيعة التي ذبحها فكيف له أن يستطيع التنبؤ بالغيب إذ أن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى إضافة إلى أن هذه الرضيعة التي تزوجها قد ماتت بالعنكبوت فعلا رغم أنه قد قام ببناء برج وسط الصحراء خوفا من موتها لكن قدرة الله تعالى تفوق كل شيء وهذا هو تفسير الآية" إنما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة " أي أن الله تعالى إذا قدر لأحد الموت فلا يستطيع أي احد تغير هذا رغم فعله لأي شيء كان واختبائه في أي حصن منيع عالي رفيع في الموت سوف يدركه لا محالة فالعجيب هنا يمكن في وقوع التنبؤ وكذا العجيب من خلال السرد ومفارقة الموت والحياة.

جاء تفسير ابن كثير للآية (78) من سورة النساء أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيده[1] فالمقصود أن كل أحد سائر إلى الموت لا محالة ولا ينجيه من ذلك شيء وسوء عليه جاهد أو لم يجاهد فإن له أجل محتوما و رمضان مقسومة كما قال خالد بن الوليد حين جاءه الموت على فراشه: لقد شهدت كذا وكذا موقفا، وما من عضو من أعضاء إلا وفيه جرح من طعنة أو رمية وها أنا أموت على فراشي فلا نامت أعين الجبناء.

" ولو كنتم في بروج مشيدة" أي: حصينة منيعة عالية رفيعة أم السيد قطب فقد فسرها بأن الموت حتم في موعده المقدرة ولا علاقة له بالحرب والسلم ولا علاقة له بحصانه المكان الذي يحتمي به الفرد أو قلة حصانته (...) إنه ليس معنى هذا إلا يأخذ الإنسان حذره وحيطته وكل ما يدخل في طوقه من استعداد و أهبة ووقاية.

[1] ابن كثير، تفسير القرآن، سورة النساء، الآية 78 ص508.

فقد سبق أن أمرهم الله بأخذ الحذر وفي مواضيع أخرى أمرهم بالاحتياط في صلاة الخوف وفي سور أخرى أمرهم باستكمال العدة والأهبة...لكنها هذا كله شيء وتعليق الموت والأجل به شيء أخر.[1]

ونحن هنا اليوم لسنا بصدر التحقق من صدق المرويات وصحتها وإنما طرح فكرة اختلاف التفسيرات، واكتشاف جنس العجيب في مرويات الطبري المسندة إلى الإسرائيليات.

وهنا نبرز قدرة العجائبي على خدمة السرد والاحتفاظ بالتوتر في ذهني المتلقي، والنص الذي بين أيدينا يحتفظ بالتسلسل في السرد العجيب، الذي يشد المتلقي إليه وذلك من خلال عرض التفاصيل بشكل مدهش يحرك فضول وتردد القارئ حول تصديق هذه الأحداث.

فالمعلوم أن الله تعالى هو خالق الكون والبشر وهو من له القدرة على التنبؤ بالمستقبل أو غيره ولا يوجد لأحد سواه هذه القدرة ولهذا لمحنا العجيب يتجلى في التنبؤ بالمستقبل ومفارقة الموت والحياة لكن ما نلاحظه من خلال هذا النص أنه لا يستند إلى ما جاء في النص القرآني إنما يستند إلى ما يعرف بالمرويات الإسرائيلية والمعلوم أنها محرفة وهذا ما يؤكد فرضية الشك وعدم التصديق ما يمنح النص خاصية خلق التردد عند المتلقي فيجد نفسه أما الحقيقي استنادا إلى الإيمان المطلق بقدرة الله، وبين الغير حقيقي استنادا إلى كون النص يبدو عليه ضلال الإسرائيليات المسندة إلى ثقافة دينية محرفة.

## الوظيفة الدينية:

يعمل العجائبي في هذا النص على حث المؤمنين على الجهاد في سبيل الله من خلال كشف مصير الشهداء وأن العطاء سيحقق التضحية بالنفس في سبيل الله.

[1] سيد قطب: في ظلال القرآن، ص1067.

فقضاء الله واقع لا محالة وإرادته سبحانه وتعالى هي النافذة فالموت أمر محتمل لا مهرب منه فهو لا بد أن يدرككم في أي مكان ولو سكنتم في شواهق القصور التي يسكنها ذوي الثراء والنعمة أو في القلاع والحصون التي تقطنها حامية الجند حيث يقول كعب بن زهير:

كل ابن أنثى وان طالت سلامته

يوما على آلة حدباء محمول.

**الوظيفة الأدبية و الجمالية:**

يحقق العجائبي الوظيفة الأدبية والجمالية، من خلال خلق حالة من الاندهاش والحيرة حول ما جاء في النص فالنص العجائبي لا يخلو من الوظيفة الادبية، التي اساسها تحقيق الإنفعال، والمحافظة على جذب اهتمام المتلقي، حيث يشكل السرد في النص، عاملا مهما في خلق العجائبي وتحقيقه في النصوص، من خلال خلق فضاء يعمل على إثارة عناصر التشويق والإثارة والغرابة في النص، فالسرد العجائبي، يخلق فضاء ليس له مثيل على ارض الواقع، ووظيفة العجائبي هو خلق فضاءات جديدة، تكسب النص ثراءا من حيث جذب القارِئ وإثارته، وهدا مايعطي النص الأدبي قبلية لإحتواء العديد من التأويلات .

# خاتمـــة

# خاتمة

لكل دراسة بداية ونهاية وهاهي دراستنا تنتهي بوصولنا إلى خاتمة نستعرض فيها أهم النتائج التي كانت حصيلة لما تم تناوله في هذا البحث، حيث تمثلت في ما يلي:

العجائبي كما تقدمه المعاجم اللغوية والأدبية هو الدهشة والانفعال والتردد عند التعرض لحدث فوق طبيعي غير مألوف.

العجائبي هو عدم قدرة الشخص على تحديد موقف معين أمام حدث غير مألوف خارج عن نطاق المنطق .

العجائبي هو عجز المتلقي عن تفسير ظاهرة ما وفق القوانين الطبيعية المألوفة فيترتب عنه مجموعة من الانفعالات النفسية كالخوف والقلق أو الفرح والتسلية أو التردد والرهبة أو حب الاستطلاع.

ينطلق الأدب العجائبي من المتناقضات التي تنبني على التعجيب من خلال المعقول واللامعقول، والمألوف واللامألوف، والحلم والحقيقة، والشعور واللاشعور، والطبيعي وفوق الطبيعي، هذه الازدواجية هي التي تحقق الشعور بالتردد، والحيرة، والغرابة، والاندهاش والخوف، والضياع.

يتجلى العجائبي في بعض السرود العربية القديمة، حيث يتجلى في القص الديني، والأساطير والخرافات والسير الشعبية والأدب الصوفي وأدب الرحلات وصولا إلى كتب التفسير.

يتجسد العجائبي في النصوص الأدبية والنصوص الدينية بأشكال مختلفة منها :العجائبي المبالغ فيه، والزمن العجائبي والحدث العجائبي والشخصية العجائبية والسرد العجائبي.

تسلل العجائبي إلى نصوص التفاسير عن طريق بعض القصاص ممن عرفوا بالمرويات المأخوذة عن الإسرائيليات.

ارتبط العجائبي في نصوص التفسير في جامع البيان عن آي القرآن بأخبار الجنة ووصف ثمارها وأخبار القبر ووصف عذابه، كما يرتبط بقصص الأنبياء، مثل قصة آدم عليه السلام وقصة داوود وقصة أيوب وموسى وعيسى وادم.

# خاتمة

للعجائبي في نصوص التأويل خصوصية تميزه عن غيره من النصوص الأدبية الأخرى وذلك من خلال الوظائف الدينية التي يحققها.

ترتبط دلالات العجائبي في نصوص التأويل بدلالة القصة والتي ترتبط أساسا بدلالات الآية، لذا لا يخرج عن معاني الآيات.

تحمل بعض الأخبار المتعلقة بقصص الأنبياء مثل فتنة داوود وفتنه سليمان وكذا خروج ادم من الجنة، بذور الثقافات الشعبية والمعتقدات الدينية المحرفة.

العجائبي وهو صناعه المدهش بصور إبداعيه تتحرر من كل القيود لكن العجيب الديني المرتبط بالقصص الدينية الراسخة في الثقافة الإسلامية يرتبط بأصول العقيدة، ويهدف إلى تحقيق غايات دينية أساسها الدعوة إلى توحيد الله والصبر على البلاء وشكر الله على النعم والدعوة إلى الجهاد وإظهار قوة الله ووحدانيته والترغيب في الجنة والترهيب من النار.

الوظيفة الدينية التي يحققها العجائبي من خلال النماذج المختارة هي الدعوة إلى الصبر على البلاء وإثبات قيمة الصبر وجزاءه من خلال قصة أيوب، الدعوة إلى شكر الله على النعم وإثبات قيمة الشكر من خلال قصة سليمان، التحذير من هوى النفس وإتباع ملذات الحياة الدنيا والدعوة إلى التوبة والعودة إلى الله من خلال قصة داوود وآدم عليهما السلام، بيان نصر الله لأنبيائه وإنقاذهم من الفتن و مكائد أعدائهم من خلال قصة عيسى، الترغيب في الجنة ودعوة إلى الإيمان والعمل الصالح والتقرب إلى الله من خلال أخبار الجنة.

التحذير من عقاب الله للكافرين من خلال وصف عذاب القبر.

العجائبي وسيلة لتحقيق الإرشاد الديني.

بالإضافة إلى الوظائف الدينية للعجائبي هناك وظيفة أدبية يحققها في النص وتمثلت فيما يلي:

# خاتمة

يخلق العجائبي في نصوص التفسير فضاءات عدة تسمح للمتلقي بممارسة عملية التخيل والإبداع بشكل أوسع مما يمنح النص قابلية لتقبل تأويلات مختلفة من شأنها أن تثري النص وتوسع العملية الإبداعية عن طريق زيادة المتعة، المرهونة بخيال المتلقي المبدع.

برغم من أن للعجائبي غايات دينية بسبب ارتباطه بالقص الديني الذي ينص على الاعتبار لا تسليه إلا أنه يخلق فضاءا للإبداع وتحرير النص والفكر والخيال وتوجيه المتلقي إلى اكتشاف ما يكتنزه القص الديني من سحر وجمال.

يحرك العجائبي انفعالات نفسية لدى المتلقي، مما يجعله يعيش تجارب شعورية عدة في آن واحد، فقد يجتمع شعور الخوف والدهشة والتسلية والتردد والانطلاق نحو الاكتشاف والفرح والحزن في فوضى شعورية عارمة تزيد من خصوصية وسحر النص.

وفي الأخير نتمنى من الله عز وجل أن نكون قد وفقنا في بحثنا هذا ونكون قد أصبنا بعض الأهداف المسطرة غايتنا، كما نتمنى أن يكون إضافة وفائدة إلى المكتبة ويكون فاتحة لبحوث أخرى في هذا المجال خاصة وان الإسرائيليات بما تحتويه من أعاجيب شكلت مادة ثرية ساهمت في فتح مجال حيوي للإبداع الأدبي وذلك من خلال تأثير ما جاءت به المرويات العجائبية على النصوص الإبداعية العربية فنجد أثر لمركب سليمان الطائر في قصة علاء الدين والبساط السحري، وأثر خاتم سليمان في المرويات وارتقاء عيسى الذي اتخذه الأدب الصوفي نموذج لارتقاءاتهم وكذا أثر من قصة أيوب فيما يعرف ينبوع الحياة كل هذا يعكس مدى تأثير ما جاءت به المرويات من أعاجيب على السرد العربي و العمل الإبداعي بشكل خاص.

# قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش.

### ❖ المصادر

- تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن :لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تح :الدكتور عبد الله بن المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحري والدراسات العربية الاسلامية بدر هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ج16.
- ________________، ج20.
- ________________، ج19.
- تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تح :محمود محمد شاكر مكتبة ابن تيمية القاهرة، ج1.
- ________________، ج2.
- ________________، ج5.
- ________________، ج7.
- ________________، ج8.
- ________________، ج18.
- تفسير الطبري :جامع البيان عن تأويل آي القران، تح :الدكتور ستار عواد معروف عصام فارس الحرستاني مؤسسة الرسالة، ج1.
- الطبري محمد بن جرير :جامع البيان عن تأويل آي القرآن تحقيق صدقي جميل العطار دار الفكر بيروت، ط1، ج1،.1995 .

### ❖ المراجع العربية

- ابراهيم صحراوي :السرد العربي القديم الأنواع والوظائف والبنيات الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف، لبنان، الجزائر، ط1،/2008 1429/ .
- ابن كثير تفسير القرآن العظيم.

- الإسرائيليات في تفسير الطبري) دراسة في اللغة والمصادر العبرية :( امال محمد عبد الرحمن ربيع القاهرة /2001/ 1422/.
- ألف ليلة وليلة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط5.
- الإمام الدكتور عبد الحليم محمود :الإسراء والمعراج، دار المعارف، ط11، القاهرة،2004 .
- تأويل القرآن المجلد الاول، ط1، مؤسسة الرسالة بيروت1994 .
- تزفيتان تودوروف :مدخل الى الأدب العجائبي، ترجمة الصديق بوعلام دار الكلام الرباط المغرب، ط1، 1993.
- تفسير الحنبلي :فتح الرحمن في تفسير القرآن للإمام القاضي مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي مجلد 4، تح :نور الدين طالب وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قطر، ط1، دار النوادر، لبنان، بيروت /1430 2009.
- تفسير القرآن العظيم :للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي دار ابن جزم 701) 774هـ(.
- التفسير والمفسرون :الدكتور محمد حسين الذهبي مكتبة وهبة القاهرة، ج1.
- حسين علام :العجائبي في الأدب، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1،2010 .
- الخامسة علاوي :العجائبية في الرواية الجزائرية، دار التنوير، الجزائر2013 .
- ركان الصفدي: الفن القصصي في النثر العربي، حتى مطلع القرن الخامس الهجري، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق،2011.
- سعيد علوش :معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني ودار سوشبريس، بيروت، الدار البيضاء، ط1،1405 .
- سعيد يقطين :استاذ العربي مفاهيم وتجليات الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف الرباط، ط1، 2012/ 1433.
- سناء شعلان :فضاءات التخييل مقاربات في التشكيل والرؤى والدلالة في الإبداع القصصي الوراق للنشر عمان، ط1،2012 .
- سناء كامل شعلان :السرد الغرائبي والعجائبي في الرواية والقصة القصيرة في الأردن نادي الجسرة الثقافي والانتمائي قطر(ط2) ، مكتبة نور لتحميل الكتب http://www.Noor.book.com .

- سيد قطب :في ظلال القرآن.
- سيد قطب :في ظلال القرآن، تحقيق علي بن نافع الشحود.
- شعيب حليفي :شعرية الرواية الفانتاستيكية، دار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف دار الأمان الرباط، ط1،2009 .
- شعيب حليفي :هوية العلامات )في العتبات وبناء التأويل (دار الثقافة الدار البيضاء، ط1،2005 .
- صلاح عبد الفتاح :تعريف الدارسين بمنهج المفسرين دار القلم دمشق، ط1،2002 .
- ضياء الكعبي :السرد العربي القديم ( الأنساق الثقافية واشكالية التأويل) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1،2005 .
- ضياء الكعبي :السرد العربي القديم الأنساق الثقافية وإشكالية التأويل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط1،2005 .
- عبد الرحمن بن ناصر السعدي :تيسير الكريم الرحمن في تفسير كريم المنام، دار التوفيقية للطباعة القاهرة مصر 2012، ط2،2015 .
- عبد الصبور شاهين :أبي آدم قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة، دار أخبار اليوم قطاع الثقافة القاهره مصر)د.ط) (د.س).
- عبد القاهر الجرجاني كتاب التعريفات، تح :عبد المنعم الخفي)د.ط (دار الرشاد القاهرة.
- عبد القاهر الجرجاني :كتاب التعريفات، تح :عبد المنعم الخفي(د.ط) ، دار الرشاد القاهرة،(دط).
- عبد الله ابراهيم :النثر العربي القديم بحث في البنية السردية، ط1،2002 ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث قطر.
- عبد الله ابراهيم :النثر العربي القديم، بحث في البنية السردية المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث إدارة الثقافة والفنون قسم الدراسات والبحوث الدوحة قطر، ط1،2002 .
- عبد الله سليم الرشيد :شعر الجن في التراث العربي) مظاهر وقضايا ودلالات(، الرياض، ط1 ، 1433 2012.
- عبد الله سليم الرشيد :شعر الجن في التراث العربي( مظاهر قضايا ودلالات) الرياض، ط1، /1433 2012.
- عبد المالك مرتاض :نظرية الرواية بحث في تقنيات سرد.

- عبد الملك قجور :القصة ودلالتها في رسالة الغفران وحي بن يقظان، ط1،2009 .
- عبد الناصر :المنامات في الموروث الحكائي العربي) دراسة في النص الثقافي والبنية السردية( المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط1،2008 .
- فريدريش فون دير لاين :الحكاية الخرافية نشأتها مناهج دراستها فنيتها ترجمة نبيلة إبراهيم دار غريب (د.ط) القاهرة (د.ت).
- قحطان صالح قحطان :الأدب والسياسة قراءة في قصة النملة والثعلب.
- القزويني :عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات، ط1، مكتبة الإسكندرية مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت2000 .
- كتاب ألف ليلة وليلة دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط.5،2009 .
- كمال أبو ديب :الأدب العجائبي والعا لم الغرائبي في كتاب العظمة والفن السرد العربي، دار الساقي بالاشتراك مع دار اوريكس للنشر لبنان، ط1،2007 .
- لؤي علي خليل :النثر الحكائي) أدب المعراج والمناقب (التكوين للتأليف والترجمة والنشر دمشق، د.ط، 2007.
- مجلة عبدالمجيد :بدراوي :المكان العجائبي في ألف ليلة وليلة، حكايات السندباد البحري نموذجا، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد13 ،2013 .
- محمد اركون :الفكر الإسلامي، قراءة علمية، المركز الثقافي العربي مركز الإنماء القومي بيروت الطبعة2 ، 1996.
- محمد الطاهر بن عاشور :تفسير التحرير والتنوير، الجزء22 ، الدار التونسية للنشر، تونس1984 .
- محمد حسين الذهبي :التفسير والمفسرون الجزء الأول مكتبة وهبة القاهرة مصر)د.س) (د.ط).
- محمد عبد السلام كفافي :الأدب المقارن دراسات في نظرية الادب والشعر القصصي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1،1971 .
- محمد عبد السلام كفافي :الأدب المقارن دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي.
- مرتضى عبد الملك :الميثولوجيا عند العرب (دراسة لمجموعة من الأساطير والمعتقدات) المؤسسة الوطنية للشباب الجزائري.

- المسعودي أبو حسن علي :مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح :محي الدين مطبعة السعادة مصر، ط4، 1964، ج2.
- نضال الصالح :النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق2001 .
- وحيد العسفي :العجيب والغريب في كتب تفسير القرآن الاوائل للنشر والتوزيع سوريا دمشق، ط1،2006 .
- وفيق سلاطين وبتول عدي يوسف :عجائبية الزمان والمكان في نصوص الكرامة الصوفية، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد41 ، العدد2 ،2019 .


❖ **المعاجم:**


- ابن منظور :لسان العرب تحقيق عامر أحمد حيدر ورجب عبد المنعم خليل إبراهيم، ج1، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1،2005/ 1426/ .
- بطرس البستاني :محيط المحيط )قاموس عصري للغة العربية ( تح :محمد عثمان دار الكتب العلمية بيروت، ط1،2009 ، ج6.
- الفراهيدي الخليل بن أحمد :كتاب العين، مج3 ، تدقيق وترطيب عبد الحميد الهنداوي منشورات دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1،)2003 ض.ق (ماده عجب ) .
- محمد مرتضى الحسيني الزبيدي :تاج العروس من جواهر القاموس، تح :عبد المنعم خليل إبراهيم الأستاذ كريم محمد محمود لبنان، ط1،2008 /1428 ، ج3.
- المعجم الوسيط :معجم اللغة العربية الإدارة العامة للمجتمعات وأحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية القاهرة، ط4،1426، 2005 .
- ياقوت الحموي :معجم الأدباء ،إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، ج 1، دار المغرب الإسلامي ، بيروت لبنان، ط1، 1993.


❖ **الرسائل الجامعية** :

- بشرى مرواني وخوله الزواوي :عجائبية السرد في كتاب مئة ليلة وليلة مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص أدب عربي قديم جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي 2018/ 2019/.
- جديد خيرة :العجائبي في الرواية المغاربية المعاصرة روايات الميلودي شغموم نموذجا أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي ل.م.د تخصص الرواية المغربية والنقد الجديد قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس.2018 / 2017 .
- حيدر عبد عودة الصرخي :الحقيقه العجائبية والغرائبية في القص القرآني، سليمان عليه السلام انموذجا، رسالة مكملة للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية، مادة الدراسات العليا جامعة آل البيت / 2014 2015.
- رائد عزات محمد الضابوس :قضايا العقيدة في سورة الإسراء وأثرها على الفرد والمجتمع درجة ماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة بإشراف الدكتور عماد الدين عبد الله الشنقيطي الجامعة الإسلامية غزة 11/ 18/ 2015./.
- سعيد يقطين :من قضايا التلقي والتأويل )تلقي الأحلام وتأويلها في الثقافة العربية( منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط المملكة المغربية.
- سميرة بن جامع :العجائبي في المخيال السردي في ألف ليلة وليلة، رسالة نيل شهادة الماجستير في الأدب العربي القديم بإشراف صالح المباركة جامعة لخضر باتنة.2010/ 2009
- علاوي الخامسة :العجائبية في أدب الرحلات رحلة ابن فلان نموذج رسالة شهادة الماجستير في الأدب العربي جامعة منتوري قسنطينة، 2005.
- عيساوي السيد أحمد :ابن بطوطة والعجائبية في الرحلات مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في اللغة والأدب العربي قسم اللغة والأدب العربي جامعة أبو بكر بلقايد 2017-2018.
- فاطمة الزهراء عطيه :العجائبية وتشكلها السردي في رسالة التوابع والزوابع، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية بإشراف علي عالية جامعة بسكرة.2015 2014 .
- محمد دحماني :حكايات كرامات الأولياء في منطقة الشلف مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص الأدب الشعبي، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر2006/ 2005 .

**المجلات:**

• عبد المجيد بدراوي :المكان العجائبي في ألف ليلة وليلة حكاية السندباد البحري مجلة كلية الآداب واللغات جامعة محمد خيضر بسكرة العدد13 ، 2013 مجلة

• وفيق سليطين، وبتول عدي يوسف :عجائبية الزمان والمكان في نصوص الكرامة الصوفية مجلة جامعة للبحوث والدراسات العلمية سلسلة الآداب والعلوم الانسانية المجلد 41 العدد(2 )، ت نشر 2019/ 3 / 17 مجلة.

**موقع الكتروني:**

• موقع الكتروني :قانون الجذب العام 2021/08/13 الساعه16:38.ht tps://mawdoo3.com

• صالح حديد :أشكال التعبير في السيرة الشعبية العربية مجله2011 ، ع 20:الأدب الشعبي : www.fo/kulturebh.org/ar/index.php?issue:2

- معجزتا الاسراء و المعراج( نظرات تحليلية): https//www.alkhaleeg;ae
- سيف بن ذي يزن، الخطاب العجائب في السيرة الشعبية االعربية، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، العام الثاني، عدد5، فبراير 2015. ميلود عبيد منقور، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر، archive.a/sharekh.og/article.
- https://www.islamweb.net

ت دخول:5جوان 2021 16:00. نشر هذا المقال يوم 2006/10/18

- االسلام ويب حديث الاسراء والمعراج ،تاريخ نشر:الخميس 4ذو ال1422هـ 4جوان 2021 19:22

# فهرس المحتويات

| فهرس المحتويات | الصفحة |
|---|---|
| **الشكر** | |
| **مقدمة** | أ–هـ |
| الفصل الأول :مدخل إلى الأدب العجائبي | |
| • إشكالية ترجمة مصطلح العجائبي | 7 |
| • مفهوم العجائبي لغة | 7 |
| • مفهوم العجائبي اصطلاحا | 12 |
| • مفهوم الأدب العجائبي | 16 |
| • العجائبي في منجز الأدب العربي | 18 |
| –العجائبي في منجز الأدب الغربي | 20 |
| الفصل الثاني تجليات العجائبي في السرد العربي القديم العجائبي في القص الديني | |
| • القرآن الكريم | 26 |
| • الحديث الشريف | 35 |
| • العجائبي في الحكاية الشعبية | 41 |
| • العجائبي في الأسطورة | 42 |
| • العجائبي في الخرافة | 45 |
| • العجائبي في السيرة الشعبية | 56 |
| • العجائبي في القص الصوفي | 60 |
| • العجائبي في أدب الرحلة | 70 |
| • العجائبي في التفاسير | 77 |
| الفصل الثالث :تجليات العجائبي في كتاب جامع البيان عن تأويل آي القرآن | |
| • التعريف بالطبري | 86 |
| • ولادته | 86 |

| | |
|---|---|
| • تعليمه | 86 |
| • وفاته | 87 |
| • آراء العلماء فيه | 88 |
| • التعريف بالكتاب جامع البيان عن تأويل آي القرآن منهج الطبري في التفسير | 96 |
| –قيمة الكتاب من حيث تناوله للعجيب | 104 |
| • تجليات العجائبي في كتاب جامع البيان عن تأويل آي القرآن | 105 |
| • العجائبي في قصة سليمان | 105 |
| • العجائبي في قصة تسخير الريح | 107 |
| • عجائبية الزمن | 111 |
| • الوظيفة الدينية | 119 |
| • الوظيفة النفسية والإجتماعية | 121 |
| • العجائبي في قصة ملكة سبأ | 122 |
| • وصف العرش | 124 |
| • الإتيان بالعرش | 125 |
| • الزمن العجائبي | 126 |
| • العجائبي في فتنة سليمان | 128 |
| • السرد العجائبي | 130 |
| • الأحداث العجائبية | 131 |
| • الوظيفة الأدبية والجمالية | 132 |
| • العجائبي في قصة داوود | 133 |
| • عجائبية الأحداث | 134 |
| • الوظيفة الأدبية والجمالية | 139 |
| • الوظيفة الدينية | 140 |
| • العجائبي في قصة أيوب | 142 |
| • السرد العجائبي | 143 |

| | |
|---|---|
| • الوظيفة الأدبية والجمالية | 149 |
| • الوظيفة الدينية | 149 |
| • الوظيفة النفسية والإجتماعية | 150 |
| • العجائبي في قصة آدم عليه السلام | 150 |
| • نزول آدم وحواء من الجنة | 151 |
| • السرد العجائبي | 154 |
| • الوصف العجائبي | 155 |
| • الوظيفة الأدبية والجمالية | 158 |
| • الوظيفة الدينية | 160 |
| • العجائبي في قصة موسى عليه السلام | 162 |
| • العجائبي في قصة إنفلاق البحر | 164 |
| • عجائبية المكان | 167 |
| • عجائبية الشخصية | 167 |
| • قصة موسى والعصا | 168 |
| • وصف الحية | 169 |
| • الحدث العجيب | 172 |
| • الوظيفة الادبية والجمالية | 173 |
| • الوظيفة الدينية | 180 |
| • تكليم الله لموسى | 183 |
| • الحدث العجيب | 186 |
| • العجائبي في قصة عيسى | 187 |
| • وفاة عيسى | 187 |
| • عملية المسخ | 188 |
| • ارتقاء عيسى | 189 |
| • عجائبية السرد | 190 |

| | |
|---|---|
| • الوظيفة الجمالية والادبية | 191 |
| • العجائبي من خلال الاخبار | 192 |
| • العجائبي في تاويل الاية 124 سورة طه | 192 |
| • العجائبي في وصف عداب القبر | 193 |
| • الوظيفة الجمالية والأدبية | 195 |
| • الوظيفة الدينية | 196 |
| • العجائبي في وصف ثمار الجنة | 197 |
| • الوظيفة الأدبية والجمالية | 199 |
| • الوظيفة الدينية | 199 |
| • العجائبي في وصف جزاء الشهداء | 200 |
| • الوظيفة الأدبية والجمالية | 201 |
| • الوظيفة الدينية | 201 |
| • العجائبي في الأخبار عن وقوع القدر | 202 |
| • السرد العجائبي | 203 |
| • الوظيفة الدينية | 204 |
| • الوظيفة الأدبية والجمالية | 205 |
| **خاتمة** | 207 |
| **قائمة المصادر والمراجع** | 211 |
| **فهرس المحتويات** | 219 |
| **ملخص الدراسة** | 224 |

# ملخص الدراسة

عالجت دراستنا هذه العجائبي في جامع البيان عن تأويل آي القران لأبو جعفر الطبري، من خلال المرويات من الأخبار والقصص الموجودة فيه، تطرقنا من خلالها إلى مواطن توظيف العجائبي بكل أشكاله، في قصص الأنبياء وأخبار الجنة والقبر، ونظرا لطبيعة المرويات وأصلها الذي يمتد إلى الثقافة الدينية اليهودية والنصرانية المحرفة بالإضافة إلى المعتقدات الشعبية والخلفية الأسطورية، فقد كانت هذه القصص والأخبار زاخرة بكم من هائل من الأعاجيب والخوارق، إذ نلحظ طغيان العجائبي من خلال السرد والشخصيات وكذا الأحداث والزمن والوسائل العجيبة وكان للبعد الديني حضور قوي من خلال الوظائف التي يحققها العجائبي في نصوص المرويات، فارتباط العجائبي بقصص الأنبياء جعله يرتبط بأصول العقيدة من خلال ما تضمنه العجائبي من رسائل مبطنة تم إيصالها عن طريق السرد العجائبي ومن هنا نستنتج أن توظيف العجائبي في المرويات التي تضمنها كتاب جامع البيان عن تأويل آي القران لم يخلو أبدا من جوهر العقيدة الإسلامية بالرغم من التحريف الواضح في القصص، إلا أن القصة بقيت محافظة على دلالتها الدينية، فلم تكتفي النصوص العجائبية بالوظيفة الأدبية بل حرصت على تحقيق الوظيفة الدينية، ليصبح العجائبي وسيلة لصناعة المدهش ولتحقيق الإبداع وفق ما تدعو إليه العقيدة والدين، فلا يخرج العجيب الديني عن الغاية الاعتبارية التوجيهية، فيصبح بذلك وسيلة لتحقيق الإدهاش والعبرة والتوجيه معا.